30 نصيحة مفيدة تُسْعِدُكَ في الدُّنْيَا .. وَتَأْخُذُ بيَدَيْكَ إِلى الجَنَّةِ

جمع وتأليف

هاني سعد غنيم



بطاقة فهرسة

الطبعة الأولى 2018

مكتبة جزيرة الورد
اســم الكتاب : 30 نصيحة مفيدة تسعدك في الدنيا وتأخذ بيدك إلى الجنة
المــــــؤلف : هاني سعد غنيم
رقـم الإيداع :



إِهْدَاء

-إِلى زَوْجَتي الطَّيِّبَةِ وَالأُمِّ الحَنُونِ الَّتي بَذلَتْ وَتَبْذلُ جُهْدًا رَائِعًا؛ حَتَّى خَرَجَتْ كُتُبي كُلُّهَا إِلى النُّورِ؛ لِتُنِيرَ القُلُوبَ وَالعُقُولَ بفَضْلِ اللهِ تَعَالى.

- إِلى آلِ شُومَان المحْتَرِمِينَ ببلقَاس وَالمنصُورَةِ؛ وَعَلَى رَأْسِهِمُ المهَنْدِسُ مُحَمَّد عَلِي شُومَان، وَالمهَنْدِسُ الشّرْبيني، وَالمحَاسَبُ الأُسْتَاذ السَّيِّد، وَالمهَنْدِسُ عَبْدالحَمِيد، الّذِينَ تَرَكُوا بَصْمَةً وَاضِحَةً وَتأْثِيرًا عَظِيمًا في هَذا البَلَدِ الطَّيِّبِ بأَعْمَالِهِم وَتَوَاضُعِهِم، فَكَانُوا نِعْمُ المواطِنُونَ لِوَطِنِهِم، وَنِعْمَ الدُّعَاةُ لِدِينِهِم بأَخْلاقِهِم وَقِلَّةِ كَلاَمِهِم وَعَظِيمِ أَفْعَالِهِم، فَهَذا جَزَاءُ الصّابرِينَ الملْتَزِمِينَ المتَوَاضِعِينَ، قَالَ اللهُ تعَالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا [مريم:96] اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا وَإِيَّاهُمْ مِنْ هَؤُلاَءِ، وَتَقَبَلْ مِنَّا وَمِنْهُمْ صَالِحَ الأَعْمَالِ خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وَاجْزِهِمْ عَنَّا وَعَنْ بَلَدِنَا خَيْرَ الجَزَاءِ.

- إِلى الدُّكْتُورِ أَحْمد عَبْدالله وَزَوْجَتِهِ الدُّكْتُورَة سَارة أَبُو العِزِّ؛ صَاحِبَيِ الخُلُقِ الرّفِيعِ وَالأَدَبِ الجَمّ والكَرَمِ الشَّدِيدِ، اللَّذَيْنِ أَدْخَلا عَلَيْنَا السَّعَادَةَ بزِفَافِهِمَا، أَدْعُو اللهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمَا بالذُّرِّيَّةِ الطَّيِّبَةِ، وَيجْعَلَ مجْرَى حَيَاتِهِمَا يَسِيرًا، وَأَنْ يَرْزُقَهُمَا رِزْقًا مُبَارَكًا وَفِيرًا، وَلاَ يجْعَل مجْرَى حَيَاتِهِمَا عَسِيرًا .. اللَّهُمَّ آمِين.

- إِلى الأُسْتَاذَةِ / هَيَام عَبْدِالحَلِيمِ الّتي فَضَّلَتِ الإِدَارَةَ عَلَى التَّدْرِيسِ فَأَبْدَعَتْ؛ وَكَانتْ نِعْمَتِ المرَبيةُ الفَاضِلَةُ وَالأُسْتَاذةُ الخَبيرَةُ وَالأُمُّ الرَّحِيمَةُ أَثْنَاءَ إِدَارَتِها مدْرَسَةَ بلْقَاس الثّانَوِيَّة بَنَات، فَقَادَتِ العَمَلِيَّةَ التربَوِيَّةَ إِلى بَرّ الأَمَانِ باقْتِدَارٍ.

- إِلى رُوحِ المَرْحُومَةِ بإِذْنِ اللهِ الأُخْتِ الأُسْتَاذَةِ / نادِيَة الجَمِيل، الّذِي أثّرَتْ فِينَا جَمِيعًا برَحِيلِهَا المفَاجِئِ أَثْنَاءَ صُحْبَتِهَا لَنَا؛ فَلَمْ نَرَ مِنْهَا إِلاّ كُلَّ خَيْرٍ.

- إلى أَحْبَابي أَوْلاَدِ أَخوَاتِي وَأَزْوَاجِهِنَّ: مَي وإبرَاهِيم أبُو زيد، عَليّ وَمَيَّادة، حَسَن وسَارة، دُعَاء وزَكِي العَطَّار، أَسْمَاء ومحمَّد عَلاّم، آيَة ومحمَّد حَسَّان، أَمِيرَة وعبْدالله، هِبَة

ومحمَّد مُوسَى، هنْد ورَامِي رُقيَّة، هَالَة وإيهَاب المنْسِي.

- إلى كُلِّ نَاصِحٍ أَمِينٍ؛ يحِبُّ الخَيْرَ للآخَرِينَ كَمَا يحِبُّ لنَفْسِهِ؛ مُبْتَغِيًا مِنْ وَرَاءِ ذلِكَ رِضَا رَبِّهِ وَعَظِيمَ رَحمَتِهِ وَمُرَافَقَةَ نَبيِّهِ وَرُؤْيَةَ وَجْهِ رَبِّهِ؛ فَالدِّينُ النَّصِيحَةُ (1) كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في حَدِيثِهِ البَلِيغِ المُوجَزِ المُؤَثِّرِ، وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ(2): «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ» فَالنُّصْحَ النُّصْحَ يَا عِبَادَ اللهِ.

- إلى الإِخْوَةِ وَالأَخَوَاتِ أَسَاتِذَةِ التّربِيَةِ الإسْلاَمِيَّةِ وَاللُّغَةِ العَرَبيَّةِ؛ تِلْكُمُ الأُسْرَةِ الطّيبَةِ بمَدْرَسَةِ بلْقَاس الثّانَوِيَّةِ بَنَات: (نعَايم البَسْيُونِي- جمَال حُسَين - سَحَر عَبْد المنْجِد - مُطِيعَة إبرَاهِيم - صَفَاء عَفِيفِي - هشَام فَارُوق- محمَّد السَّمَاحِي - محْمُود عَمَّار – حمْدِين مَنْصُور - سَيِّد حَامِد - اعتِمَاد فَاضِل - نادِيَة فَرَّاج - نفِيسَة شُومَان - نوَال عَلي - مَهَا ذَهَب؛ عَبير طَاهِر)؛ حَيْثُ سَعِدْتُ سَعَادَةً بَالِغَةً بصُحْبَتِهِم وَالانْتِمَاءِ إلى أُسْرَتِهِم المبَارَكَةِ (التّربيَة الإسْلاميَّة وَاللُّغَة العَرَبيَّة) بهَذا الصّرْحِ التّربَوِيِّ التَّعْلِيمِيِّ العَرِيقِ.

(1) (صحيح): البخاري 21، مسلم 55.
(2) (صحيح): البخاري 57

مُقَدِّمَةُ المؤَلِّفِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى أَشْرَفِ الأَنْبيَاءِ وَالمرْسَلِينَ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ إلى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْد ..

فَهَذِهِ النَّصَائِحُ الثّلاَثُونَ - وَالحَمْدُ للهِ - نَصَائِحُ هَادِفَةٌ بإِذنِ اللهِ تعَالى، اخْتَرْتُهَا بعِنَايَةٍ بَالِغَةٍ، تَجْمَعُ بَيْنَ خَيْرَيِ الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ أَكُونَ وُفِّقْتُ في جَمْعِهَا، إِنّهَا نَصَائِحُ تُسْعِدُكَ في الدّنْيَا، وتَأْخُذُ بيَدَيْكَ إلى الجَنَّةِ والنّجَاةِ مِنَ النّارِ بإِذْنِ اللهِ تعَالى؛ قَالَ اللهُ تعَالى: فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ [آل عمران:185]

فَأَعْظَمُ الخِزْيِ - يَوْمَ القِيَامَةِ- دُخُولُ النَّارِ، وَأَعْظَمُ الفَوْزِ - يَوْمَ القِيَامَةِ - دُخُولُ الجَنَّةِ، فَهُوَ الفَوْزُ المبينُ وَالفَوْزُ العَظِيمُ وَالفَوْزُ الكَبيرُ كَمَا سَمَّاهُ اللهُ في القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ فَاللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ أَهْلِ الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى.

فَكُنْ مَصْدَرًا لِسَعَادَةِ الآخَرِينَ دَائِمًا؛ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مِغْلاقًا لِلشَّرِّ؛ كُنْ لِوَالِدَيْكَ بَارًّا، وَلأخِيكَ سَنَدًا، وَلأُخْتِكَ مَعِينًا وَمُعينًا، وَلِصَدِيقِكَ وَفِيًّا، وَلِجَارِكَ مُحْسِنًا، وَلِمَرِيضِكَ رَحِيمًا وَدَاعِيًا؛ وَلِقَرِيبِكِ وَاصِلاً، وَلِغَيْرِكَ مُذَكِّرًا بالخَيْرِ وَناصِحًا؛ فَالدُّنيَا زَائِلَةٌ، وَكُلُّنَا إلى اللهِ رَاحِلُونَ؛ فَمَنْ مِنّا يَتْرُكُ بَصْمَةً وَذِكْرَى قَبْلَ مَوْتِهِ يَا عِبَادَ اللهِ؟! فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (1): «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالى خَزَائِنَ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ مِغْلاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلاً لِمَنْ جَعَلَهُ مِغْلاقًا لِلْخَيْرِ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ»

(1) (حسن): صحيح الجامع 4108.

كُنْ كحبَّاتِ اللُّؤْلُؤِ السُّكَّرِ المتَلأْلِئَةِ حَتّى إذا اخْتَفَيْتَ مِنْ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ تَرَكْتَ طَعْمًا جَميلاً في أَفْوَاهِ الآخَرِينَ، واعْلَمْ يَقِينًا أنَّ مَالَكَ الَّذِي تَتَكَبَّرُ بهِ يَشْتَرِي سَرِيرًا جَميلاً؛ لَكِنَّه لاَ يَشْتَرِي نوْمًا مُريحًا، يَشْتَرِي دَوَاءً لَكِنَّه لاَ يَشْتَرِي العَافِيَةَ، يَشْتَرِي كُلَّ شَيْءٍ إلاَّ السَّعَادةَ وَحُبَّ اللهِ تعَالى، وَاعْلَمْ أَنَّ الدُّنيَا مَتَاعٌ فَانٍ مَهْمَا طَالَتْ؛ فَالدُّنيَا قَوْسَانِ؛ فَأَمَّا القَوْسُ الأَوَّلُ فَهُوَ مِيلاَدُكَ، وَأَمَّا الثَّانِي فَهُوَ وَفَاتُكَ؛ فَضَعْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا مُفِيدًا يَنْفَعُكَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَلاَ تَضَعْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا يَضُرُّكَ!.

جَمِّلْ حَيَاتَكَ بذِكْرِ اللهِ، وَزَيِّنْ طَرِيقَكَ برِضَا اللهِ، وَانْصَرِفْ عَنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُ اللهَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ شَيْءَ يُغْنِيكَ عَنِ اللهِ، فَلاَ مَلْجَأَ إلاَّ إِلى اللهِ تعَالى.

فَرَبُّكَ رَبٌّ عَظِيمٌ حَلِيمٌ كَرِيمٌ؛ لاَ مَثِيلَ لِحِلْمِهِ وَمَغْفِرَتِهِ وَرَحمَتِهِ وَكَرَمِهِ عَلَى العِبَادِ؛ رَبٌّ عَظِيمٌ وَسِعَتْ رَحمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، رَبٌّ عَظِيمٌ يَتَوَدَّدُ إلى عِبَادِهِ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهُم، رَبٌّ عَظِيمٌ سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، رَبٌّ عَظِيمٌ يَفْرَحُ بتَوْبَةِ العَاصِي، وَيَتَبَشْبَشُ بقُدُومِهِ إِلَيْهِ، رَبٌّ عَظِيمٌ يَنْزِلُ إِلى السّمَاءِ الدّنيَا كُلَّ لَيْلَةٍ؛ لِيُنَادِيَ عِبَادَهُ لِيَغْفِرَ لَهُم وَيُعْطِيَهُمْ مِنْ فَيْضِ خَزَائِنِهِ وَيُجيبَ دُعَاءَهُم؛ رَبٌّ عَظِيمٌ غَفَرَ لامْرَأَةٍ بَغِيّ مِنْ بَني إِسْرَائِيلَ؛ لأَنّهَا سَقَتْ كَلْبًا، رَبٌّ عَظِيمٌ غَفَرَ لِرَجُلٍ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ثمَّ نوَى التّوْبَةَ وَعَزَمَ عَلَيْهَا فَتَابَ عَلَيْهِ وَرَحِمَهُ، رَبٌّ عَظِيمٌ أَدْخَلَ امْرَأَةً الجَنَّةَ بسَبَبِ تَمْرَةٍ أَطْعَمَتْهَا بنْتَيْهَا الضَّعِيفَتَيْنِ؛ رَبٌّ عَظِيمٌ يجْزِيكَ عَلَى الحَسَنَةِ بعَشْرِ أَمْثالِهَا وَالسّيّئَةِ بوَاحِدَةٍ مِثْلِهَا، رَبٌّ عَظِيمٌ يَجْزِيكَ عَلَى العَمَلِ اليَسِيرِ الأَجْرَ الكَبيرَ، رَبٌّ عَظِيمٌ يَغْفِرُ ذنُوبَكَ وَلَوْ بَلَغَتْ عَنَانَ السَّمَاءِ؛ رَبٌّ عَظِيمٌ لو دَعَوْتَهُ وَرَجَوْتَهُ غَفَرَ لَكَ مَا كَانَ فِيكَ وَلا يُبَالِي، رَبٌّ عَظِيمٌ لَوْ أَتَيْتَهُ بقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَهُ لا تُشْرِكُ بهِ شَيْئًا لأتَاكَ بقُرَابِهَا مَغْفِرَةً! فَالحَمْدُ للهِ الَّذِي بنِعْمَتِهِ تتِمُّ الصّالِحَاتُ.

وَلَقَدْ رَاعَيْتُ في هَذِهِ النَّصَائِحِ أَنْ تَكُونَ مِنَ المبشّرَاتِ، وَفِيهَا مِنَ التّفَاؤُلِ مَا فِيهَا، وَفِيهَا الفَأْلُ الحَسَنُ الَّذِي كَانَ يُعْجِبُ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ لأَنَّ التَّفَاؤُلَ مِنَ الإِيمَانِ، وَالتَّشَاؤُمَ مِنَ الشّرْكِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ(1): «لاَ طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ(2)» وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيّ ﷺ قَالَ(3): «لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيّبَةٌ» فَالكَلِمَةُ الطَّيّبَةُ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ تَنْفَعُكَ.

وَيَا حَبَّذا لَوِ اجْتَمَعَ التَّفَاؤُلُ مَعَ الظّنّ الحَسَنِ في اللهِ تعَالى لَعَاشَ العَبْدُ مِنَّا سَعِيدًا مَدَى حَيَاتِهِ؛ لاَ يحمِلُ لهَذِهِ الدّنيَا هَمًّا أَوْ غَمًّا؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ(4): «إِنَّ اللهَ - جَلَّ وَعَلا - يَقُولُ: «أَنَا عِنْدَ ظَنّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ» قَالَ اللهُ تَعَالى: فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ [الصافات:87] فَمَاذا تَظُنُّ برَبّكَ يَا عَبْدَاللهِ؟! إِنْ ظَنَنْتَ أَنّهُ سَيَشْفِيكَ - وَأَنْتَ مَرِيضٌ - فَسَوْفَ يَشْفِيكَ، وَإِنْ ظَنَنْتَ أَنّهُ سَيُفَرّجُ كَرْبَكَ فَسَوْفَ يُفَرّجُ كَرْبَكَ، وإن ظَنَنْتَ غَيْرَ ذلِكَ فَسَوْفَ يَقَعُ لَكَ، فَهَؤُلاَءِ قَوْمٌ ظَنُّوا برَبِّهِم سُوءًا فَوَقَعَ لَهُم، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ [فصلت:23]

وَقَالَ اللهُ تعَالى في المُنَافِقِينَ وَالمُشْرِكِينَ الظَّانّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ: وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا [فصلت:23] نَسْأَلُ اللهَ العَفْوَ وَالعَافِيَةَ.

(1) (صحيح): البخاري 135.
(2) خيرها الفأل: أن يتفاءل، أي: يتوقع الخير في الأمور كلها؛ لأنها بتدبير الخالق جل وعلا.
(3) (صحيح): البخاري 139.
(4) (صحيح): أحمد 35، السلسلة الصحيحة 1663.

فَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ بيَدِكَ سُلْطَانًا أَوْ أَمْرًا أَوْ رِزْقًا أَوْ قُوَّةً؛ قَالَ اللهُ تَعَالى: يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ [آل عمران:154] فَأَنْتَ فَقِيرٌ إلى اللهِ الغَنيِّ؛ ضَعِيفٌ إلى القَوِيِّ، ذَلِيلٌ إلى العزِيزِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

إنّني لأَدْعُو اللهَ - سُبحَانَهُ وَتعَالى- فَهُوَ خَيْرُ مَنْ سُئِلَ، وَأَجْوَدُ مَنْ أَعْطَى، وَأَكْرَمُ وَأَحْلَم مَنْ عفَا، وَأَعْظَمُ مَنْ غفَرَ، وَأَسْرَعُ مَنْ حَاسَبَ، وَأَرْحَمُ مَنْ عَاقَبَ، وَأبرُّ مَنْ أَجَابَ، وَأَعْدَلُ مَنْ حَكَمَ، وَأَرْأفَ مَنْ مَلَك، وَهُوَ أَرحَمُ الرّاحمِينَ وَخَيرُ الغَافِرين؛ فَإذا رَحِمَ اللهُ عَبْدَهُ فَلاَ عَذابَ، وَإذا رَزَقَهُ رَبُّهُ فَلاَ حِسَابَ؛ وَإذا أَرَاهُ وَجْهَهَ في الجَنَّةِ فَلاَ حِجَابَ.

أَدعُو اللهَ أَنْ يَنفَعَ به عُمُومَ المسلِمِين وَقَارِئِيه في كُلِّ مَكَانً، وَأَنْ يَكُونَ مُفِيدًا نَافِعًا هَادِفًا، وَيَجعلَه زَادًا لي في مِيزَانِ حَسَناتي وَحَسَنات وَالِدَيّ وَحَسَناتِ قَارِئِيه وَالمنتَفِعينَ بمَا احتوَاهُ مِنْ قُرآنٍ وَسُنَّة.

وَلَكِنِ اعْلَمْ أَنّهُ مَنِ اتّقَى اللهَ كَفاه، فَادعُ اللهَ أن تكُونَ منهُم؛ فَإنّ اللهَ يَسمَع مَن نادَاهُ، وَمَن سأَلَ اللهَ بصِدْقٍ كَشَف عَنه بَلواهُ وَحَمَاه، وَحَقّق لَهُ سُؤْلَه وَمُنَاهُ، وَمَنْ اسْتَعَانَ بهِ أَعَانهُ وَوَقَاه، أَلَيسَ كَذلِكَ؟! قُلْ: بَلى وَأنتَ مُطمئنُّ النَفْسِ؛ فَادْعُ لِنَفسِكَ وَلأُمَّتِكَ - دَائِمًا - بالعَفوِ والمعَافَاةِ في الدّنيَا وَالآخِرة، قال اللهُ تَعالى: وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا [الطلاق:3].

وَصَلَّى اللهُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

العَبْد الفَقِير إِلى عَفْوِ رَبّهِ القَدِيرِ

هاني سعد غنيم

مصر- الدَّقَهْلِيَّة- بلْقَاس- شَارِع سَاحِل طِعِيمَة

المتفَرِّع منْ مَيْدَان الشَّلالفَة

النَّصِيحَةُ الأُولى: اذْكُرِ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِكَ لِتَكُونَ فِي مَعِيَّتِهِ دَائِمًا

أَنْتَ تَذْكُرُ وَتَعْبُدُ وَتَدْعُو مَنْ لَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ؛ تَعْبُدُ إِلَهًا عَظِيمًا؛ لاَ شَرِيكَ وَلاَ مَثِيلَ لَهُ؛ مَوْصُوفًا بِصِفَاتِ الكَمَالِ وَنُعُوتِ الجَلاَلِ؛ مُنَزَّهًا عَنِ العُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ، قَائِمًا بِالملْكِ وَالتَّدْبِيرِ؛ يَأْمُرُ وَيَنْهَى، يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ، يَرْضَى وَيَغْضَبُ، يَتَأَذَّى وَيَفْرَحُ، يُحِبُّ وَيَسْخَطُ، يُعْطِي وَيَمْنَعُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، يُعِزُّ وَيُذِلُّ، يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ، يُجِيبُ دَعْوَةَ المظْلُومِ، وَيُغِيثُ الملْهُوفَ، وَيُغْنِي الفَقِيرَ، وَيَجْبُرُ الكَسِيرَ، يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجُ كَرْبًا، وَيَفُكُّ عَانِيًا، وَيقْسِمُ ظَالمًا، وَيَقْبَلُ تَائِبًا، قَالَ تَعَالى: إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ [يس:82-83].

فَاللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، لِذَا نَحْنُ نَقُولُ في الصّلاَةِ: اللهُ أَكْبَرُ، وَلَمْ نَقُلْ: اللهُ كَبيرٌ؛ فَاللهُ أَكْبَرُ، وَكَفَى بِهَا كَلِمَةً، وَكَفَى بِهَا مَعْنًى وَدلاَلَةً؛ فَإِنْ كُنْتَ كَبِيرًا فَاللهُ أَكْبَرُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ عَظِيمًا فَاللهُ أَعْظَمُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ قَوِيًّا فَاللهُ أَقْوَى مِنْكَ، مَرَضٌ يَسِيرٌ - يَا أَخِي- يُحِيلُ قُوَّتَكَ ضَعْفًا، ثُمَّ يُحِيلُ ضَعْفَكَ جُثَّةً هَامِدَةً، فَتَصِيرُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ، بَعْدَ أَنْ كُنْتَ مِلْءَ السّمْعِ وَالبَصَرِ بَينَ النّاسِ؛ فَاللهُ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعَزُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَعْلَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ،

وَأَقْدَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَحْكَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَكْرَمُ مِنْ كُلِّ شَيْء، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَأَكْرَمُ الأَكْرَمِينَ، وَأَقْدَرُ القَادِرِينَ، يَعْلَمُ السِرَّ وَأَخْفَى، حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَيُّومٌ لاَ يَنَامُ، شَهِدَتْ بوَحْدَانِيَّتِهِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ.

فَاللهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ في عَظَمَتِهِ وَعِزَّتِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَكَرَمِهِ؛ فَإِنْ كُنْتَ عَظِيمًا في قَوْمِكَ فَاللهُ أَعْظَمُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ قَوِيًّا في نَفْسِكَ وَعَلَى غَيْرِكَ فَاللهُ أَقْوَى مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ رَحِيمًا بوَلَدِكَ فَاللهُ أَرْحَمُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ حَلِيمًا بِخَصْمِكَ فَاللهُ أَحْلَمُ مِنْكَ؛ وَصَدَقَ رَبُّنَا إذ أَثْنَى عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ [الشورى:11] فمَا طَابَتِ الدّنيَا إلاَّ بِذِكْرِ اللهِ، وَلاَ طَابَتِ الآخِرَةُ إلاَّ برَحْمَةِ اللهِ، وَلاَ طَابَتِ الجَنَّةُ إلاَّ بِرُؤْيَةِ وَجْهِ اللهِ؛ فَتَأَمَّلْ بقَلْبِكَ كَلاَمِي جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا.

- مِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ العَظِيمَةِ وَالأُجُورِ الكَرِيمَةِ:

1- حِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ الشَّيْطَانِ:

فَذِكْرُ اللهِ يَجْعَلُكَ في حِصْنٍ حَصِينٍ بَعِيدًا عَنِ الشَّيْطَانِ؛ فَعَنْ زَيْدِ بْنِ سَلاَّمٍ عَنْ جَدِّهِ مَمْطُورٍ عَنِ الحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ أَنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ قَالَ(1): «وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرًا، وَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ طَلَبَهُ الْعَدُوُّ سِرَاعًا فِي أَثَرِهِ فَأَتَى حِصْنًا حَصِينًا فَتَحَصَّنَ فِيهِ، وَإِنَّ الْعَبْدَ أَحْصَنُ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِذَا كَانَ فِي ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» وَآمُرُكُمْ بِذِكْرِ اللهِ: أي: آمُرُكُمْ بالذِّكْرِ وَالصّلاَةِ وَتِلاوَةِ القُرْءَان وَكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَكُلُّهَا مِنَ الذّكْرِ؛ فَيَا مَنْ يَشْكُو مَسَّ الشَّيْطَانِ وَوَسْوَسَتَهُ؛ أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامَةِ الصَّلاةِ وَمَعِيَّةِ الرَّحْمَنِ وَتِلاوَةِ القُرْءَانِ وَهَدْيِ سَيِّدِ الأَنَامِ ﷺ؟!.

(1) (صحيح): أحمد 16718، صحيح الجامع 1724.

فَاللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالى- يَقُولُ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:200-201] يَنزَغَنَّكَ: أيْ: يَصْرِفَنَّكَ وَيُبْعِدَنَّكَ وَيُوَسْوِسُ لَكَ، طَائِفٌ: الشّيْطَانُ يَطُوفُ حَوْلَكَ؛ لِيَصْرِفَكَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى.

قَالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ: لَوْ لَمْ يَكُنْ في الذِّكْرِ إلا أَنْ يَكُونَ حِرْزًا لَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ لَكَفَى؛ فَالشَّيْطَانُ يَدْخُلُ إِلَيْكَ مِنْ بَابِ الغَفْلَةِ؛ لِيَصُدَّكَ عَنِ الحَقِّ وَالهُدَى، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾[الزخرف:36] يَعْشُ: يَغْفُل(1)، نُقَيِّض: نُهَيِّئ، فَإِذَا ذَكَرَ العَبْدُ رَبَّهُ تَصَاغَرَ الشَّيْطَانُ حَتَّى صَارَ كَالذُّبَابَةِ، فعَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الهُجَيْمِّي عَنْ رِدْفِ النَّبِيِّ قَالَ: كُنْتُ رَدِيفَ النَّبيِّ ﷺ فَعَثَرَتْ دَابَّةٌ فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ(2): «لا تَقُلْ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ؛ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ وَيَقُولُ بِقُوَّتِي؛ وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللهِ؛ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ؛ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ.

(1) الأعشى: الرَجلُ الذي لا يَرَى ليلاً، تقول العرب: ناقة عَشْوَاء، أي: لا ترى ليلاً فتتخبط في سيرها؛ ويقصد بالفعل يَعْشُ: من أصابه عَمَى البصيرةِ فأبعدَهُ عن ذكْرِ اللهِ تعَالَى.
(2) (صحيح): أحمد 22582، صحيح الجامع 7401.

2- مَعِيَّةُ اللهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ: قَالَ اللهُ تَعَالى(1): أَنَا مَعَ عَبْدِي حَيْثُمَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ، أيْ: أَنَا مَعَ عَبْدِي بِالحِفْظِ عَوْنًا وَنَصْرًا وَتَأْيِيدًا وَتَوْفِيقًا وَهِدَايَةً؛ فَذِكْرُكَ رَبَّكَ ذِكْرٌ لَكَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ت قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَقُولُ اللهُ تَعَالى(2): «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي(3)، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» فَالشَّخْصُ مِنَّا قَدْ يَسْعَدُ كَثِيرًا؛ عِنْدَمَا يَذْكُرُهُ وَزِيرٌ أَوْ أَمِيرٌ أَوْ حَتَّى رَئِيسُهُ في العَمَلِ وَيُثْنِي عَلَيْهِ خَيْرًا أَمَامَ زُمَلاَئِهِ في مَحْفَلٍ عَامٍّ، فَكَيْفَ بالعَبْدِ الذلِيلِ إِذَا ذَكَرَهُ اللهُ العَزِيزُ الجَلِيلِ الكَرِيمِ في مَلأٍ مِنَ المَلائِكَةِ المقرَّبِينَ وَأَثنَى عَلَيْهِ عِنْدَهُم؟! وَكَيْفَ بالعَبْدِ الفَقِيرِ إِذَا ذَكَرَهُ اللهُ الغَنِيُّ الكَبيرِ في مَلأٍ مِنَ المَلائِكَةِ المقرَّبِينَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ عِنْدَهُم؟! وَكَيْفَ بالعَبْدِ الضَّعِيفِ إِذَا ذَكَرَهُ اللهُ القَوِيُّ في مَلأٍ مِنَ المَلائِكَةِ المقرَّبِينَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ عِنْدَهُم؟! فنَحْنُ نَسْمُو بكَ إِلَيْكَ، وَنَسْمُو بذِكْرِكَ إِلَيْكَ، وَنَسْمُو برَحْمَتِكَ إِلَيْكَ، فَاللَّهُمَّ ارْفَعْنَا وَلاَ تَضَعْنَا؛ وَيَحْضُرُنِي هُنَا مَا قَالَهُ أَخِي الحَبِيبُ الدُّكْتُورُ / السّعِيد الشّربيني الأُسْتَاذ بجَامِعَةِ لَنْدَن - برِيطَانيَا في مُحَاضَرَةٍ عَامَّةٍ بمسْجِدِ الجَمْعِيَّةِ الشّرْعِيَّةِ بمَدِينَتي بلْقَاس - دَقَهْلِيَّة، عَنِ الذّكْرِ وَفَوَائِدِهِ في الذّبْحِ وَالتّسْمِيَةِ عَلَى المذبُوحِ، حَيْثُ ذكَرَ الدّكْتُورُ سِرًّا مِنْ أَسْرَارِ البَسْمَلَةِ عَلَى الذّبيحَةِ؛ حَيْثُ أَجْرَى بحْثًا مَعَ زُمَلائِهِ العُلَمَاءِ بجَامِعَةِ لَنْدَن عَلَى دَجَاجَةٍ مَرِيضَةٍ بفَيْروس أَنْفْلوَنزَا الطُّيُورِ، وَعِنْدَمَا ذَبحُوهَا باسْمِ اللهِ تَطَيَّبَتْ وَتَطَهَّرَتْ مِنَ الفَيْرُوسِ؛ فَلَمْ يَظْهَرْ أَثَرٌ لَهُ بَعْدَ الذّبحِ الشّرْعِيِّ لَهَا وَالتّسْمِيَةِ عَلَيْهَا! فَالحَمْدُ للهِ عَلَى نِعْمَةِ الإسْلاَمِ، فَكُلَّ يَوْمٍ نَزْدَادُ يَقِينًا وَإِيمَانًا بنَبيّنَا ﷺ وَتَعَالِيمِ دِينِنَا.

---

(1) (صحيح): ابن ماجة 3792، صحيح الجامع 1906.
(2) (صحيح): البخاري 7405، مسلم 2675.
(3) أي: إن ظن عبدي أني أقبل عمله الصالح وأثيبه عليه وأغفر ذنوبه إن تاب منها فله مني ذلك، وإن ظن أني لا أفعل به ذلك فله مني ذلك، وفيه ترجيح الرجاء على الخوف.

3- التَّبَرُّكُ بِهِ بِذِكْرِ الجَوَارِحِ كُلِّهَا للهِ تَعَالَى:

مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ باللهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ؛ أَمِنَ بِهِ كُلُّ خَائِفٍ، وَعَزَّ بِهِ كُلُّ ذَلِيلٍ، وَأَنِسَ بِهِ كُلُّ مُسْتَوْحِشٍ، وَاغْتَنَى بِهِ كُلُّ فَقِيرٍ، وَقَوِيَ بِهِ كُلُّ ضَعِيفٍ.

تَوَاضَعْ لِرَبِّ العَرْشِ عَلَّكَ تُرْفَعُ		فَمَا خَابَ عَبْدٌ لِلمُهَيْمَنِ يَخْضَعُ
وَدَاوِ بِذِكْرِ اللهِ قَلْبَكَ إِنَّه		لأَشْفَى دَوَاءٍ لِلقُلُوبِ وَأَنْفَعُ

ذِكْرُ اللهِ فِيهِ تَبَرُّكٌ باسْمِهِ -سُبْحَانَهُ- وَتَعْظِيمٌ لَهُ، وَمُخَالَفَةٌ لأُمُورِ المشْرِكِينَ وَإِقْرَارٌ بِالأُلُوهِيَّةِ، وَاعْتِرَافٌ بِالنِّعْمَةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، وَأَمَانٌ لِلخَائِفِ وَاسْتِعَانَةٌ باللهِ، وَذِكْرُ اللهِ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ، وَيُرْضِي الرَّحْمَنَ، وَيَجْلِبُ الرِّزْقَ، وَيُزِيلُ الغَمَّ عَنِ القَلْبِ، وَيَجْلِبُ لِلذَّاكِرِ الفَرَحَ وَالسُّرُورَ، وَيُنَوِّرُ الوَجْهَ، وَيَحُطُّ الخَطَايَا، وَيَشْغَلُ اللِّسَانَ بالحَقِّ، وَيُبْعِدُ عَنْهُ الفُحْشَ وَالبَاطِلَ؛ فَأَمَّا ذِكْرُ النَّفْسِ الرِّضَا وَالوَفَاءُ مَعَ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَذِكْرُ اليَدِ الجُودُ وَالسَّخَاءُ، وَذِكْرُ اللِّسَانِ الثَّنَاءُ وَالدُّعَاءُ، وَذِكْرُ العَيْنِ التَّأَمُّلُ والبُكَاء، وَذِكْرُ الأُذُنِ الإِنْصَاتُ وَالإِصْغَاءُ، وَذِكْرُ القَلْبِ الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ؛ وَذِكْرُ الجَسَدِ التَّسْلِيمُ لِمَنْ بَسَطَ الأَرْضَ وَرَفَعَ السَّمَاءَ، فَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَوْلِكَ يُسَبِّحُ رَبَّهُ وَيَذْكُرُهُ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ت أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺخَطَبَ إِلى لِزْقِ جِذْعٍ(1) وَاتَّخَذُوا لَهُ مِنْبَرًا فَخَطَبَ عَلَيْهِ؛ فَحَنَّ الجِذْعُ حَنِينَ النَّاقَةِ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَّهُ فَسَكَنَ (2).

(1) (صحيح): الترمذي 3627، صحيح الجامع (594/5).
(2) لزق: يقال: داره لزق دار فلان، أي: لازقه ولاصقه, حنين الناقة: صات كصوت الناقة، وسببُ الحَنِينِ مَا قد كَانَ يسمعُه من الذّكر.

4- بِالذِّكْرِ يَغْفِرُ اللهُ ذَنْبَكَ، وَيُبَاهِي بِكَ مَلائِكَتَهُ:

بِالذِّكْرِ يُغْفَرُ ذنْبُك وَتُؤجَرُ أَجْرًا عَظِيمًا؛ فَالذِّكْرُ غِرَاسُ الجَنَّةِ، وَمُنْجٍ مِنْ عَذابِ اللهِ فَي الآخِرَةِ؛ وَهُوَ سَبَبُ رَحْمَتِكَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، فَاحْرِصْ عَلَى أَنْ تَكُونَ مِنَ الذَّاكِرِينَ وَبخَاصَّةٍ في جَوْفِ الليْلِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا أَوْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ».

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺخَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابهِ فَقَالَ«مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ لِمَا هَدَانَا لِلإِسْلامِ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ، فَقَالَ: آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلا ذَاكَ؟! قَالُوا: آللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ لِتُهْمَةٍ لَكُمْ ،إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلائِكَةَ» هَؤُلاءِ حَصَلُوا عَلَى الأَجْرِ العَظِيمِ وَالثَّوَابِ الكَرِيمِ.

(1) (صحيح): أبو داود 1309، صحيح الترغيب والترهيب 626.

5- السَّعَادَةُ وَتَجَنُّبُ الشَّقَاءِ:

إِنَّ الجَالِسَ مَعَ الذَّاكِرِينَ يَسْعَدُ بِهِم؛ لأَنَّهُم هُمُ القَوْمُ الَّذِينَ لاَ يَشْقَى بِهِم جَلَيسُهُم؛ لِذَا.. جَعَلَ اللهُ مَلاَئِكَةً سَيَّارَةً في الطُّرُقَاتِ؛ لِتَسْتَمِعَ إِلى مَجَالِسِ الذِّكْرِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ت قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1):«إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً؛ يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي؟! قَالُوا: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟! قَالَ: فَيَقُولُونَ: لا وَاللهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟!

قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟! قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟! قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟! قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟! قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟! قَالَ: يَقُولُونَ: لا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟! قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنْ الْمَلائِكَةِ: فِيهِمْ فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ؛ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» فَانْظُرْ إِلى بَرَكَةِ أَهْلِ الإِيمَانِ وَحُسْنِ صُحْبَتِهِمْ! فَالسّعَادَةُ الَّتي عَمَّتْهُمْ نَالَهُ جُزْءٌ عَظِيمٌ مِنْهَا.

(1) (صحيح): البخاري 6408، مسلم 6780.

6- غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ، وَحُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ:

بِاللهِ عَلَيْكَ لَوْ سَبَّحْتَ الآنَ فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَبَحَمْدِهِ، هَلْ كَلَّفَكَ هَذَا القَوْلُ شَيْئًا؟! قَالَ المَعْصُومُ ﷺ (1): «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِه» المِيزَانُ أَيْ: مِيزَانُ الحَسَنَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، بَلْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثٍ آخَرَ(2): «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ» سُبْحَانَ اللهِ! كَمْ ضَيَّعْنَا مِنْ نَخِيلٍ وَثَوَابٍ عَظِيمٍ مِنْ رَبٍّ جَلِيلٍ! قَالَ النَّبيّ ﷺ(3): «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ» وَقَالَ ﷺ(4): «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ».

7- دُخُولُ الجَنَّةِ عِنْدَ الْمَوْتِ:

إنّ الذِّكْرَ عَمَلٌ مِنْ أَعْمَالِ الجَنَّةِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(5): إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: المَسَاجِدُ، قُلْتُ: وَمَا الرَّتْعُ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ».

وَأُبَشِّرُكَ بِهَذَا الحَدِيثِ في فَضْلِ الذِّكْرِ؛ فَعَنِ الأَغَرّ أَبِي مُسْلِمٍ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ(6): «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ،

(1) (صحيح): البخارى 6406، مسلم 2694، الترمذى 3467.
(2) (صحيح): الترمذى 3464، صحيح الجامع 4572.
(3) (صحيح): البخارى 6405، مسلم 2691، الترمذى 3466.
(4) (صحيح): البخارى 6406، مسلم 2695، الترمذى 3467.
(5) (صحيح): الترمذي 3431، جامع الترمذي (5 / 534).
(6) (صحيح): الترمذي 3430، صحيح الترغيب والترهيب (3 / 3481).

وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ: لا إِلَهَ إلا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ اللهُ: لا إِلَهَ إلا أَنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ اللهُ: لاَ إِلَهَ إلا أَنَا لِيَ الْمُلْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إلا اللهُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللهِ، قَالَ: لا إِلَهَ إلا أَنَا وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا بِي، وَكَانَ يَقُولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ».

8- المَلائِكَةُ تَحُفُّكَ وَالرّحْمَةُ تَغْشَاكَ وَاللهُ يَذْكُرُكَ:

اذْكُرِ اللهَ؛ حَتَّى تَحُفَّكَ الملائِكَةُ، وَيَذْكُرَكَ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ؛ فَقَدْ رَوَى أبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيّ وَأَبُو هُرَيْرَةَ ت أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولَ اللهِ ﷺ (1) يَقُولُ: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إلا حَفَّتْهُمُ الملائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ» فَأَيُّ أَجْرٍ بَعْدَ هَذَا الأَجْرِ العَظِيمِ! فَاللهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ الذِينَ تَغْشَاهُمْ رَحْمَتُكَ في الدُّنيَا وَالآخِرَةِ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَذكُرُ اللهَ في كُلِّ أحيَانِهِ كَمَا أَخْبَرَتْنَا أُمُّنَا عَائِشَةَ(2)؛ فَإِذَا قَرَأْتَ أَوْ قُمْتَ مَثَلاً فَقُلْ: بِسْمِ اللهِ، وَمَعْنَاهَا: أَقْرَأُ أَوْ أَقُومُ مُسْتَعِينًا بِاسْمِ اللهِ، تَقُولُ: أَكَلْتُ بِالملْعَقَةِ، سَافَرْتُ بالقِطَارِ، فَالبَاءُ لِلاسْتِعَانَةِ؛ لِذَا.. فَأَيُّ عَمَلٍ لاَ يَبْدَأُ بِاسْمِ اللهِ فَهُوَ أَبْتَرُ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ(3): «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لا يَذْكُرُ اللهَ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ» وَالتِّرَةُ: حَسْرَةٌ وَنُقْصَانٌ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ«مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِابْنِ آدَمَ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهَا إِلاَّ حُسِرَ عَلَيْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ».

(1) (صحيح): مسلم 2699، أبو داود 1455، الترمذي 2945.
(2) (صحيح): مسلم 373، أبو داود 18، الترمذي 3384.
(3) (صحيح): أبو داود 4856، صحيح الجامع 6477.

9- يُثَقِّلُ مِيزَانَ حَسَنَاتِكَ، وَتَسْبِقُ بسَبَبِهِ الأَغْنِيَاءَ:

فَالذِّكْرُ أَعْظَمُ شَيْءٍ وَأَثْقَلُ لِمِيزَانِ حَسَنَاتِك؛ فَعَنْ أَبِي سَلاَّمٍ عَنْ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: «بَخٍ بَخٍ؛ خَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي الْمِيزَانِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالْوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ».

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ («أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى»، قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: مَا شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ ذِكْرِ اللهِ.

10- إِحْيَاءُ القُلُوبِ:

الغَفْلَةُ عَنِ الذِّكْرِ مَوَاتٌ لِلقُلُوبِ؛ فَالَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرهُ كَالحَيِّ وَالميّتِ، قَالَ المَعْصُومُ ﷺ(1): «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»، وَيُوصِي رَسُولُ اللهِ ﷺأَحَدَ الصّحَابَةِ ت عِنْدَمَا قَالَ لَهُ: أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ، قَالَ ﷺ (2): «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ» إِنَّهَا وَصِيَّةٌ بَلِيغَةٌ؛ فَالمَيّتُ يَبُسَ لِسَانُهُ وَأَعْضَاؤُهُ أَمَّا الحَيُّ الذَّاكِرُ فَهُوَ لَيْسَ بِغَافِلٍ، فَفِي كُلِّ أَعْضَائِهِ بَرَكَةٌ وَنَضَارَةٌ بذِكْرِ اللهِ؛ وَالذِّكْرُ بَعدَ الذِّكرِ يَجْعَلُ قَلْبَكَ آمِنًا مُطْمَئنًّا، وَعَيْنَكَ بَاكِيةً: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾ [الحديد:16]

ثُمَّ نَهَاهُمُ المَولى عَنْ أَنْ يَكُونُوا كَأهْلِ الكِتَابِ؛ فَنَحْنُ أُمَّةٌ خَيِّرَةٌ ذَاكِرَةٌ شَاكِرَةٌ: ﴿وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: 16].

(1) (صحيح): البخارى 6407، مسلم 779.
(2) (صحيح): الترمذى 3375، ابن ماجة 3793، صحيح الجامع 7700.

النَّصِيحَةُ الثَّانِيَةُ: أَقِمْ صَلاَتَكَ تَسْعَدْ بحَيَاتِكَ وَتَفُزْ عِنْدَ مَمَاتِكَ

إنَّ الَّذِينَ لَمْ يَشْعُرُوا بعِظَمِ الصّلاَةِ فَتَرَكُوهَا، وَلَمْ يَذُوقُوا لَذّةَ العِبَادَةِ فَأَهْمَلُوهَا، وَهُمْ مَا خُلِقُوا إلاَّ لَهَا، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ فَلَمْ يَرْكَعُوا أَوْ يَسْجُدُوا فَانْقَطَعُوا عَنْ رَبِّهِمْ بِانْقِطَاعِهِم عَنْ صَلاَتِهِمْ؛ وَالصَّلاَةُ عَهْدُهُمُ الوَثِيقُ مَعَ اللهِ تَعَالى؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اللهُ عَلَى العِبَادِ؛ مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ كَانَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللهِ عَهْدٌ، إنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ».

أَمَّا المكْرَمِينَ الَّذِينَ حَافَظُوا عَلَى صَلَوَاتِهِم كَمَا أَمَرَهُمْ رَبُّهُم؛ فَأَخْلَصُوا نِيّاتِهِم، وَأصْلَحُوا أَعْمَالَهُم وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (34) أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ (35) [المعارج:34-35] فَالصّلاَةُ (مَطَارٌ) تُقْلِعُ مِنْهُ الرُّوحُ إلى بَارِئِهَا حَامِدَةً ذَاكِرَةً شَاكِرَةً رَبَّهَا عَامِلَةً؛ بَعِيدَةً عَنِ الفَوَاحِشِ، قَالَ تَعَالى: وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ [العنكبوت:45] وَلاَ عَمَلَ للإِنْسَانِ أَنْفَعُ مِنَ الصّلاَةِ؛ فَالرَّسُولُ ﷺ لَمْ يُرَخِّصْ لِرَجُلٍ أَعْمَى! فَمَا بَالُكَ بالمبْصِرِ؟! فَعَنْ أَبى هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى النّبيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إنَّهُ لَيْسَ لي قَائِدٌ يَقُودُنِى إلى المَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺأَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ في بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ(2): «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاَةِ» فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ» وَفي حَدِيثٍ رَائِعٍ آخَرَ عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ

(1) (صحيح): النسائي 461، صحيح الجامع 3243.
(2) (صحيح): مسلم (2 / 124).

قَالَ: خَرَجَ رَجُلانِ في سَفَرٍ فَحَضَرَتِ الصَّلاةُ وَلَيْسَ مَعَهُمَا مَاءٌ فَتَيَمَّمَا صَعِيدًا طَيِّبًا فَصَلَّيَا، ثُمَّ وَجَدَا المَاءَ في الوَقْتِ؛ فَأَعَادَ أَحَدُهُمَا الصَّلاةَ وَالوُضُوءَ، وَلَمْ يُعِدِ الآخَرُ، ثُمَّ أَتَيَا رَسُولَ الله ﷺ فَذَكَرَا ذلِكَ لَهُ فَقَالَ لِلَّذِي لَمْ يُعِدْ(1): «أَصَبْتَ السُّنَّةَ وَأَجْزَأَتْكَ صَلاتُكَ، وَقَالَ ﷺ لِلَّذِي تَوَضَّأَ وَأَعَادَ: لَكَ الأَجْرُ مَرَّتَيْنِ» فَلاَ تَتْرُكِ الصّلاَةَ

إلاَّ بالمَوْتِ؛ فَالصَّلاَةُ عِمَادُ الدِّينِ وَلَنْ يَقُومَ دِينٌ بلاَ عِمَادٍ، أَلَيْسَ كَذلِكَ؟! قُلْ: بَلَى!!.

فَكُلُّ أَعْمَالِنَا فِعْلاً مُتَعَلِّقَةٌ بالصَّلاَةِ وَقَبُولِهَا، وَمَعَ ذلِكَ تَجِدُ عَدَدًا كَبيرًا مِنَ المسْلِمِينَ لاَ يُصَلُّونَ؛ وَأَنا أَتَعَجَّبُ أَشَدَّ العَجَبِ مِنْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمَا بنِعَمٍ عَظِيمَةٍ؛ وَمَعَ ذَلِكَ تَجدُهُمَا لاَ يُصَلِّيَانِ للهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ! تَرَكَ كُلٌّ مِنْهُمَا صِلَتَهُ القَوِيَّةَ وَعَهْدَهُ الوَثيقَ مَعَ رَبِّهِ! أَلَيْسَ هَذَانِ بِمُسْلِمَيْنِ؟! فَعَنْ مِحْجَنٍ أَنَّهُ كَانَ في مَجْلِسٍ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فَأُذِّنَ بالصَّلاة، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ وَمِحْجَنٌ في مَجْلِسِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ(2): «مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ؟! أَلَسْتَ بِرَجُلٍ مُسْلِم؟! قَالَ: بَلَى وَلَكِنِّي كُنْتُ قَدْ صَلَّيْتُ في أَهْلِي؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا جِئْتَ فَصَلِّ مَعَ النَّاسِ؛ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ صَلَّيْتَ».

فَالحِفَاظُ عَلَى الصّلاَةِ دَلِيلُ إِيمَانٍ فَالْزَمْ، قَالَ اللهُ تَعَالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ [التوبة:18] فَهُنَاكَ ثَلاَثَةُ أَنْوَاعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التِّجَارَةِ لَمْ وَلَنْ تَبُورَ؛ لَيْسَ فِيهَا خَسَارَةٌ، طَرِيقُهَا مَكْسَبٌ فَقَطْ، فَلِمَاذا لاَ تُكْثِرُ مِنْهَا؟!

(1) (صحيح): أبو داود 286، صحيح أبي داود 365.
(2) (صحيح): النسائي857، سنن النسائي (2 / 112).

قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ۝٣٠﴾ [فاطر: 29- 30] فَاتْلُ القُرْآنَ، وَالْزَمِ الصّلاَةَ، وَأَكْثِرْ مِنَ الإِنْفَاقِ في سَبيلِ اللهِ.

وَإِيَّاكَ وَالتَّكَاسُلَ عَنِ الصَّلاَةِ؛ فَالتّكَاسُلُ وَالتّأَخُّرُ عَنِ الصّلاَةِ دَلِيلُ نِفَاقٍ فَاحْذَرْ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾ [التوبة:54] وَقَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:142] فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ قَالَ(1): « وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ؛ وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ(2)؛ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفّ».

لَقَدْ تَعَلَّمَ الصّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ هَذا الأَمْرَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ في مَرَضِهِ الّذي مَاتَ فِيهِ، وَأَنّهُ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى دَخَلَ في الصَّفّ» فَمَا أَجْمَلَهَا مِنْ كَلِمَاتٍ! وَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ وَصِيَّةٍ وَمَوْعِظَةٍ! فَالتّأْخِيرُ عَنِ الصّلاَةِ مُخَالَفَةٌ عَظِيمَةٌ نقَعُ فِيهَا إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ تَعَالى، فَعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى في أَصْحَابهِ تَأَخُّرًا فَقَالَ لَهُمْ(«تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ؛ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ(3)».

(1) (صحيح): أحمد3926، مسلم 654.
(2) يهادي بين رجلين: يسندانه؛ لأنه غير قادر على السير وحده من شدة مرضه وضعفه.
(3) لا يزال قوم يتأخرون أي: عن الصفوف الأُوَلِ، حتى يؤخرهم: يؤخِّرُهم عن رحمته وعظيم فضله ورفعة المنزلة والخشية والعلم والجنَّة ونحو ذلك من الأجور، فما بالك بمَنْ لا يُصَلِّي؟!

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «مَنْ سَمِعَ المُنَادِيَ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُذْرٌ، قَالُوا: وَمَا العُذْرُ؟! قَالَ: خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلاةُ الَّتِي صَلَّى» وَفي حَدِيثٍ مَاتِعٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلى المَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ(2): «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَجِبْ».

فَالمسَاجدُ مَصَانِعُ الرّجَالِ، وَهَلْ فَقَدَتِ الأُمَّةُ سِيَادتَهَا للأُمَمِ وَرِيَادتَهَا إلاَّ بَعْدَ أَنْ ضَيَّعَتِ الصّلاَةَ؟! وَجُعِلَتْ المسَاجدُ لِغَيْرِ أَغْرَاضِهَا؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3):«إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ في الْمَسْجِدِ فَقُولُوا: لا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ. وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً فَقُولُوا: لا رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ».

لَقَدْ حَافَظَ الصّحَابَةُ عَلَى الصّلاَةِ وَمَنْ تَبِعَهُم مِنَ الأَجْيَالِ المتَتَالِيَةِ الأُولى مِنَ التّابعِينَ وَغَيْرِهِم فَفَتَحُوا الدّنيَا كُلَّهَا، وَمَاتَ بَعْضُهُم وَهُوَ في الصّلاَةِ، وَمَا الفَارُوقُ عُمَرُ شَهِيدُ المحْرَابِ عَنَّا ببَعِيدٍ، فَعَنْ مُصْعَب بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعَ عَامِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ الزّبَيْرِ رَحِمَهُ اللهُ المؤَذّنَ وَهُوَ مَرِيضٌ يَجُودُ بنَفْسِهِ وَمَنْزِلُهُ قَرِيبٌ مِنَ المسْجدِ فَقَالَ: خُذُوا بيَدِي إِلى المسْجدِ، فَقِيلَ لَه: إِنَّكَ عَلِيلٌ، فَقَالَ: أَسْمَعُ دَاعِيَ اللهِ فَلاَ أُجِيبُهُ، فَأَخَذُوا بيَدِهِ فَدَخَلَ في صَلاَةِ المغْرِبِ فَرَكَعَ مَعَ الإِمَامِ رَكْعَةً ثمَّ مَاتَ(4).

(1) (صحيح): سنن أبي داود 551، صحيح مشكاة المصابيح 1068.
(2) (صحيح): مسلم 653.
(3) (صحيح): صحيح الجامع1/ 160، مشكاة المصابيح 733، الإرواء 1295.
(4) صفة الصفوة (2/ 132).

وَمِنْ عِظَمِ فَوَائِدِ الصَّلاَةِ أَنّهَا تُوَحِّدُ الجَمِيعَ بَعْدَ هَذا التّشَرْذمِ وَالتّفَرُّقِ وَالتّحَزُّبِ الّذِي مَلأَ المجْتَمَعَ المسْلِمَ وَبخَاصَّةِ مُجْتَمَعُنَا المصْرِيُّ بَعْدَ قِيَامِ ثَوْرَةِ 25 مِنْ يَنَايرَ، فَتَأْتِي الصّلاَةُ لِتَجْمَعَ هَذِهِ الأحْزَابَ كُلَّهَا في صَفٍّ وَاحِدٍ في الصَّلاَةِ بَيْنَ يَدَيِ العَلِيمِ الخَبيرِ؛ لِذَا حَذّرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مُخَالَفَةِ الصّفّ في الصّلاَةِ؛ لأنّهَا تَعْدِلُ مُخَالَفَةً في القَلْبِ، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ يَقُولُ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ(1): «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ» فاللّهُمَّ أَحْسِنْ لَنَا البَدْءَ وَالخِتَامَ يَا رَحِيمُ يَا رَحْمَنُ، وَاقْبضْنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا، فَعَنْ أَبي أُمَامَةَ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ(2): «ثَلاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ، إنْ عَاشَ رُزِقَ وَكُفِيَ، وَإِنْ مَاتَ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ، مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فَسَلَّمَ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ، وَمَنْ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ، وَمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللهِ».

فَأَوّلُ فَرِيضَةٍ بَعْدَ التّوْحِيدِ وَإِخْلاَصِ النّيَّةِ لِلعَزِيزِ الحَمِيدِ الصّلاَةُ، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ [البينة:5] وعَنِ ابنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3): «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ البَيْتِ(4)».

---

(1) (صحيح): البخاري 676، مسلم 659.
(2) (صحيح): صحيح الترغيب والترهيب 321.
(3) (صحيح): البخاري 8، مسلم16.
(4) أعمال الإسلام خمسة: أي: هي كالدعائم بالنسبة للبناء لا وجود له إلا بِهَا.

لِمَـاذَا أُصَـلِّي؟!

هُنَاكَ أَسْبَابٌ عَدِيدَةٌ أُصَلِّي مِنْ أَجْلِ أَنْ يَتَفَضَّلَ رَبِّي بهَا عَلَيَّ .. مِنْهَا:

1- زِيَادَةُ الإِيمَانِ في القَلْبِ وَرَجَاءُ اليَوْمِ الآخِرِ؛ وَهَذَا سَبَبٌ مُهِمٌّ، قَالَ تَعَالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ [التوبة18].

2- أَنَّ الصَّلاَةَ سَبَبٌ لِقَبُولِ الأَعْمَالِ وَالابْتِعَادِ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ.

3- وَهِيَ سَلاَمَةٌ مِنَ الاتّصَافِ بِصِفَاتِ المنَافِقِينَ، وَسَلاَمَةٌ -أَيْضًا- مِنَ الحَشْرِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَارُونَ وَهَامَان.

4- وَسَبَبٌ عَظِيمٌ لتَفْرِيجِ الهَمّ وَتَقْوِيَةِ القَلْبِ وَانشِرَاحِهِ.

5- وَمُنَشِّطَةٌ لِلْجَوَارِحِ وَجَالِبَةٌ لِلرّزْقِ؛ حَافِظَةٌ لِلنّعَمِ دَافِعَةٌ لِلنّقَمِ.

6- وَكَاشِفَةٌ لِلغُمَّةِ وَمُنزّلَةٌ لِلرَّحْمَةِ وَقَامِعَةٌ لِلشَّهَوَاتِ وَمُقَرّبَةٌ مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَرَافِعَةٌ لِلدَّرَجَاتِ وَمُكَفِّرَةٌ لِلسّيّئَاتِ.

7- وَصِلَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ، وَعَلَى قَدْرِ صِلَتِكَ باللهِ تَنْفَتِحُ لَكَ الخَيْرَاتُ، وَتَقِلُّ الشّرُورُ وَالآفَاتُ، وَسَبَبٌ عَظِيمٌ لِتَسْلِيَةِ المسْلِمِ عِنْدَ المَصَائِبِ.

8- وَسَبَبٌ لِحُسْنِ الأَخْلاَقِ بَيْنَ النَّاسِ وَطَلاَقَةِ الوَجْهِ وَسُمُوِّ النَّفْسِ.

9- وَسَبَبٌ في تعَارُفِ المسْلِمِينَ، فَتَعَارُفُ المسْجِدِ أَسْمَى التَّعَارُفِ.

بَعْضُ عُقُوبَاتِ تَارِكِ الصَّلاَةِ:

1- هَذَهِ عُقُوبَةُ رَجُلٍ يُصَلِّي! .. فَمَا بَالُكَ بِمَنْ لاَ يُصَلِّي!:

عَنِ ابنِ مَسْعُودٍ ت عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ(1): «أُمِرَ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ يُضْرَبُ فِي قَبْرِهِ مِائَةَ جَلْدَةٍ فَلَمْ يَزَلْ يَسْأَلُ وَيَدْعُو؛ حَتَّى صَارَتْ جَلْدَةً وَاحِدَةً فَامْتَلأَ قَبْرُهُ عَلَيْهِ نَارًا؛ فَلَمَّا ارْتَفَعَ عَنْهُ وَأَفَاقَ قَالَ: عَلاَمَ جَلَدْتُمُونِي؟! قَالَ: إِنَّكَ صَلَّيْتَ صَلاَةً بِغَيْرِ طُهُورٍ، وَمَرَرْتَ عَلَى مَظْلُومٍ فَلَمْ تَنْصُرْهُ».

وَلَقَدْ حَذَّرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الصّلاَةِ بغَيْرِ وُضُوءٍ؛ فَعَنْ أَبِي قِلاَبَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (2): «لاَ يَقْبَلُ الله صَلاَةً بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلاَ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ» وَفي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «لا يُقْبَل الله صَلاة مَنْ أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأ» فَقُلْتُ في قرَارَةِ نَفْسِي: إِذَا كَانَ هَذَا الرَّجُلُ يُضْرَبُ لأَنَّهُ صَلَّى بِغَيْرِ وُضُوءٍ؛ فَمَا بَالُكَ بالَّذِي لاَ يَتَوَضَّأُ وَلاَ يُصَلِّي! كَيْفَ يَكُونُ عِقَابُهُ؟! سَلِّمْ – يَارَبّ - سَلِّمْ؛ فَالأَمْرُ خَطِيرٌ.

وَهُنَاكَ أُنَاسٌ إِذَا قُلْتَ لَهُمْ: ارْكَعُوا لاَ يَرْكَعُونَ، أَيْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: صَلُّوا فَلَمْ يُصَلُّوا، فَمَا عِقَابُهُم؟! قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المرسلات:47-50].

(1) (صحيح): صحيح الترغيب والترهيب 7384.
(2) (صحيح): مسلم 224.

2- لَوْلاَ هَؤُلاَءِ الضُّعَفَاءُ لأَحْرَقَ النَّبِيُّ ﷺ بُيُوتَهُم عَلَيْهِم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيُ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ(1): «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ؛ ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا؛ ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً فَيَؤُمَّ النَّاسَ ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ؛ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ» أُخَالِفُ: أَذْهَبُ إِلَيْهِمْ، فَأُحَرِّقُ: أُبَالِغُ فِي الحَرْقِ، وَلَقَدْ امْتَنَعَ النَّبِيُّ الرَّحْمَةُ المهْدَاةُ؛ لِوُجُودِ الصّبْيَةِ الصّغَارِ وَالشّيُوخِ الرُّكّعِ وَالبَهَائِمِ الرّتّعِ وَالنِّسَاءِ وَالعَبِيدِ وَالفِئَاتِ الضَّعِيفَةِ، وَلَوْلاَ هَؤُلاَءِ لَصَبَّ اللهُ عَلَيْنَا العَذَابَ صَبًّا.

3- يَشْرَبُ مِنْ طِينَةِ الخَبَالِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيُ اللهُ عَنْهُ- عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ(2): «مَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ سُكْرًا مَرَّةً وَاحِدَةً فَكَأَنَّمَا كَانَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا فَسُلِبَهَا(3)، وَمَنْ تَرَكَ الصَّلاةَ سُكْرًا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، قِيلَ: وَمَا طِينَةُ الخَبَالِ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: عُصَارَةُ أَهْلِ جَهَنَّمَ».

(1) (صحيح): البخاري 644، مسلم 651.
(2) (صحيح): أحمد 6621، صحيح الترغيب والترهيب 2385.
(3) سُكْرًا: إمَّا تَغَافُلاً، وإمَّا فَضَّلَ عليها تناوُل المسْكِرَات؛ فغاب عقلُهُ عنها فلم يُدْرِك وقتها.

النَّصِيحَةُ الثَّالِثَةُ: أَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ وَصِلْ مَنْ قَطَعَكَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ القَائِلُ في سَمْعِ الزَّمَانِ وَبَصَرِهِ هَذا القَوْلَ المُؤَثِّرَ(1): «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ» عُدْ إلى قَوْلِ النَّبيِّ ﷺ: صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ؛ وَلَمْ يَقُلْ: صِلْ مَنْ وَصَلَكَ؛ لأَنَّ هَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ، وَكَذَا لَمْ يَقُلْ: اظْلِمْ مَنْ ظَلَمَكَ، وإِلاَّ انْقَلَبَ المجْتَمَعُ إلى غَابَةٍ، القَوِيُّ يَأْكُلُ الضَّعِيفَ، وَالضَّعِيفُ لَنْ يَسْكُتَ وَإِنَّمَا يَتَرَبَّص لِلْقَوِيِّ، فَمَا أَبْلَغَ قَوْلَ النَّبيِّ! وَمَا أَعْظَمَهُ! إِنَّهَا كَلِمَاتٌ مَعْدُودَاتٌ؛ لاَ تَتَعَدَّى أَصَابِعَ اليَدَيْنِ.. إِنَّهُ قَوْلٌ لاَ يَقُولُهُ إلاَّ نَبيٌّ مُلْهَمُ!.

إذا كُنتَ في كُلِّ الأُمورِ مُعاتِبًا	
	صَديقَكَ لَم تَلقَ الَّذي لا تُعاتِبُه(2)
فَعِش واحِدًا أَو صِل أَخاكَ فَإِنَّهُ	
	مُقَارِفُ ذَنبٍ مَرَّةً وَمُجانِبُه
إِذا أَنتَ لَم تَشرَب مِرارًا عَلى القَذى	
	ظَمِئتَ وَأَيُّ الناسِ تَصفو مَشارِبُه

فَالنَّبيُّ -هُنَا- يُعَالِجُ أَمْرَاضًا اجْتِمَاعِيَّةً خَطِيرَةً تَكَادُ تَفْتِكُ بِالأُمَّةِ، وَأُذَكِّرُكَ بِحَدِيثٍ رَوَاهُ عَمْرُو بنُ عَبْسَةَ في وَقْتٍ اتُّهِمَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ -وَرَسُولُ اللهِ مِنْ هَذَا الاتِّهَامِ بَرِئٌ- بِأَنَّهُ أَتَى؛ فَعَابَ الآلِهَةَ وَسَفَّهَ الأَحْلاَمَ وَفَرَّقَ الأَرْحَامَ؛ فَفَرَّقَ بَيْنَ الأَبِ وَابْنِهِ، وَبَيْنَ الأُمِّ وَابْنَتِهَا وَبَيْنَ الأَخِ وَأَخِيهِ، لاَ وَاللهِ، فَالأَمْرُ خِلافُ ذَلِكَ تَمَامًا؛ فَرَسُولَ اللهِ ﷺ يَجْمَعُ وَلاَ يُفَرِّقُ؛ وَهَذَا تَنْبِيهٌ آخَرُ مُهِمٌّ وَمُؤَثِّرٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،

(1) (صحيح): أحمد 16999، صحيح الترغيب والترهيب 2536.
(2) هذه الأبيات لبشار بن برد.

فَأَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ مِنْ أَهْلِكَ، وَإِنْ قَطَعُوكَ، فَهَذِهِ أَعْلَى دَرَجَاتِ صِلَةِ الرَّحِمِ، يَقُولُ فِيهِ ﷺ (1): «لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ، وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا» في الحَدِيثِ وَاصِلٌ وَمُكَافِئٌ وَقَاطِعٌ، فَالوَاصِلُ مَنْ يَتَفَضَّلُ ولا يُتَفَضَّلُ عَلَيْهِ وَهُوَ الأَحْسَنُ، وَالمُكَافِئُ الّذِي لاَ يَزِيدُ في الإِعْطَاءِ عَلَى مَا يَأْخُذُ، وَالقَاطِعُ وَهُوَ الأَسْوَأُ: مَنْ يُتَفَضَّلُ وَلاَ يَتَفَضَّلُ، فَالمُكَافِئُ هُوَ الزَّائِرُ مَنْ زَارَهُ؛ مُكَافَأَةٌ بِمُكَافَأَةٍ؛ وَزِيَارَةٌ بِزِيَارَةٍ، إِنَّمَا الوَاصِلُ الّذِي زَارَ مَنْ قَطَعَهُ، وَتَغَلَّبَ عَلَى نفْسِهِ وَشَيْطَانِهِ وَهَوَاهُ؛ فَمَنْ غَفَرَ غَفَرَ اللهُ لَهُ، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِ؛ أَلاّ تُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكَ؟! فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ(2): «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ، وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ؛ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا؛ وَهُمْ يَعْلَمُونَ».

مَنْ مِنَّا يَتَمَثَّلُ هَذَا الخُلُقَ الجَمِيلَ العَظِيمَ؟!

وَهَذَا حَدِيثٌ آخَرُ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ(3): «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنَفِّذَهُ دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ؛ حَتَّى يُخَيِّرَهُ في أَيِّ الْحُورِ شَاءَ» فَالصَّفْحُ الجَمِيلُ هُوَ أَلاَّ تُؤْذِيَ مَنْ آذَاكَ، أَيْ: تَصْفَحُ عَنْهُ وَلا تَمَسّهُ بِسُوءٍ؛ فَلاَ تُقَابِلْ ظُلْمًا بِظُلْمٍ، ادْفَعْ ظُلْمَهُ بِحَقٍّ لَكَ، فَإِلَّمْ تَقْدِرْ فَاصْبِرْ؛ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ، فَمَنْ مِنَّا يَتَمَثَّلُ هَذَا الخُلُقَ الجَمِيلَ العَظِيمَ؟! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:14].لَكِنَّ الخُلُقَ الأَفْضَلَ مِنْهُ أَنْ تُحْسِنَ إِلَيْهِ وَلاَ تَبْدَأَ بِإِسَاءَةٍ أَبَدًا، وَعَلَيْكَ بِالإِحْسَانِ؛ فَهَذَا خُلُقٌ أَعْظَمُ مِنَ الأَوَّلِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ [الشورى:40].

(1) (صحيح): البخاري 5991، أبو داود 1697، الترمذي 1908.
(2) (صحيح): أحمد 6505، صحيح الجامع 897.
(3) (صحيح): أحمد 15192، أبو داود 4777، الترمذي 2021.

إذَا مَا هَجَانِي نَاقِصٌ لا أُجيبُهُ		فإنِّيَ إنْ جاوبتُهُ فلِيَ الذَّنْبُ(1)
أُنزِّهُ نَفْسِي عَنْ مُسَاوَاةِ سِفْلَةٍ		ومنْ ذَا يعَضَّ الكلبَ إنْ عضَّهُ الكلبُ

فَأَحْسِنْ إلى مَنْ أَحْسَنَ إلَيْكَ، وَأَحْسِنْ إلى مَنْ أَسَاءَ إلَيْكَ، الإمَامُ البُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ- كَانَ يَجْلِسُ بَيْنَ تَلاَمِيذِهِ وَأَمَامَهُ المحْبَرَةُ، فَمَرَّتْ مِنْ أَمَامِهِ جَارِيَتُهُ، فَتَعَثَّرَتْ فِيهَا فَوَقَعَتْ عَلَى الإمَامِ وَأَوْرَاقِهِ وَقَمِيصِهِ، فَنَظَرَ طُلاَّبُهُ إلَيْهِ؛ لِيَنْظُرُوا مَاذَا يَفْعَلُ بِهَا؟! فَقَالَ لَهَا: اذهَبي فَأَنْتَ حُرَّةٌ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ لَهُ: لَقَدْ أَغْضَبَتْكَ! فَقَالَ: وَقَدْ أَرْضَيْتُ اللهَ فِيهَا؛ أَلَمْ يَقُلِ المولَى: وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ [الرعد:22] فَإنْ صَادَفَ هَذَا الإحْسَانُ أُنَاسًا مُحْسِنِينَ فَهُمْ أَهْلٌ لَهُ، وَإنْ صَادَفَ أُنَاسًا مُسِيئِين فَأَنْتَ أَهْلٌ لَهُ، وَلاَ تُقَابِلْ إحْسَانًا بِإسَاءَةٍ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِكَ؛ فَالإسَاءَةُ وَالإحْسَانُ لاَ يَسْتَوِيَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ [فصلت:34] فَقَدِّمْ الخَيْرَ وَالإحْسَانَ لِنَفْسِكَ قَبْلَ أَنْ تَلْقَى اللهَ تعَالى.

(1) هذان البيان لابن الوردى.

النَّصِيحَةُ الرَّابعَةُ: صِلْ رَحِمَكَ وَفُزْ بفَوَائِدِهِ وَثِمَارِهِ

لِصِلَةِ الأَرْحَامِ فَوَائِدُ عَائِدَةٌ بِالخَيْرِ عَلَى الفَرْدِ وَالمجْتَمَعِ المسْلِمِ؛ فَيَصِيرُ بِسَبَبِهَا الفَرْدُ مَحْبُوبًا وَالمجْتَمَعُ مُتَمَاسِكًا، فَصِلْ رَحِمَكَ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- وَلاَ تَسْمَعْ لِهَذا المثَلِ الشَّيْطَانِيِّ: الأَقَارِبُ كَالَعَقَارِبِ، وَهَاكُمْ هَذِهِ الفَوَائِدَ؛ وَالَّتِي جَمَعْتُهَا لَكَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ المعْصُومِ ﷺ.

الفَائِدَةُ الأُولَى: طُولُ العُمُرِ وَالبَرَكَةُ فِي الرِّزْقِ:

طُولُ العُمُرِ وَالبَرَكَةُ في الرِّزْقِ؛ فَمَنْ أَرَادَهُمَا مَعًا فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ في أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» فَعُمُرُكَ مَدَدٌ مِنَ اللهِ تَعَالى، وَرِزْقُكَ مَدَدٌ مِنَ اللهِ تعَالى، وَالبَرَكَةُ كُلُّهَا مِنَ اللهِ أَلَيْسَ كَذلِكَ؟! قُلْ: بَلَى، إِذًا .. صِلْ رَحِمَكَ يُبَارِكْ رَبُّكَ في كُلِّ شَيْءٍ بَيْنَ يَدَيْكَ.

الفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: غُفْرَانُ الذُّنُوبِ بِوَصْلِهَا:

منْ أَرَادَ غُفْرَانَ ذَنْبِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ لَهُ(«إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا؛

فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟! فَقَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟! قَالَ: لاَ، قَالَ: فَهَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَبِرَّهَا» فَالرَّجُلُ سَتَرَ عَلَى نَفْسِهِ وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبَهُ، وَكَذَلِكَ سَتَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ فَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ ذَنْبِهِ، وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ أَخْلاَقِ النَّبِيِّ؛ فَكَانَ إِذَا فَعَلَ صَحَابِيٌّ ذَنْبًا يَقِفُ الرَّسُولُ ﷺ نَاصِحًا بِقَوْلِهِ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا! وَلاَ يَذْكُرُ اسْمَ هَذَا الصّحَابِيِّ، فَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، وَانْظُرْ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ: هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟!.

الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ: مُضَاعَفَةُ الثَّوَابِ:

لَقَدْ أَمَرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِنَّ أَرَدْتَ أَنْ تَتَصَدَّقَ فَتَصَدَّقْ عَلَى الفَقِيرِ القَرِيبِ لَكَ فَقَالَ ﷺ«إِنَّ الصَّدَقَةَ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ» أَيْ: أَنَّ لَكَ ثَوَابَيْنِ -إِنْ شَاءَ اللهُ- وَاللهُ يُضَاعِفُ لَكَ الخَيْرَ، لَوْ كَانَ لَكَ جَارٌ قَرِيبٌ وَجَارٌ غَيْرُ قَرِيبٍ فَابْدَأْ بِالجَارِ القَرِيبِ وَزِدْهُ؛ لأَنَّ لَهُ حُقُوقًا مُتَعَدِّدَةً؛ لَهُ حَقُّ الإِسْلاَمِ وَحَقُّ الجِيرَةِ وَحَقُّ القَرَابَةِ، أَمَّا الآخَرُ فَلَهُ حَقَّانِ؛ حَقُّ الإِسْلاَمِ وَحَقُّ الجِيرَةِ.

الفَائِدَةُ الرَّابِعَةُ: صِلَةُ الأَرْحَامِ مَاءٌ تُطْفِئُ النَّارَ:

قَطِيعَةُ الرَّحِمِ نَارٌ، هَكَذَا شَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَعِنْدَمَا نَزَلَتِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:214] دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا فَعَمَّ وَخَصَّ، وَقَالَ ﷺ : «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا, وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْر أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلالِهَا أَيْ: سَأَبُلُّهَا بِالمَاءِ، وَهَذِهِ أَلْفَاظٌ اسْتِعَارِيَّةٌ جَمِيلَةٌ، فَلَيْسَ هُنَاكَ في العَرَبِ كُلِّهِم -وَهُمْ مَنْ هُمْ في بَلاغَتِهِم وَفَصَاحَتِهِم- مَنْ هُوَ أَبْلَغُ مِنْ رَسُولِ اللهِ! فَقَدْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الكَلِمِ.

إِذًا .. مَا الَّذِي أَتَى بِالمَاءِ هُنَا؟! لأَنَّ قَطِيعَةَ الرَّحِمِ نَارٌ في الدُّنْيَا تُؤَدِّي إِلَى النَّارِ في الآخِرَةِ، وَالمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ هِيَ المَاءُ، فَصِلْ رَحِمَكَ، وَأَطْفِئْ نَارَكَ بِنَفْسِكَ؛ حَتَّى لاَ تَكُونَ مَثْوَاكَ في الآخِرَةِ.

الفَائِدَةُ الخَامِسَةُ: دُخُولُ الجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ:

عَمَلٌ يَهْدِيكَ إِلَى الجَنَّةِ، فَعَنْ أَبِي أَيُّوبَ خَالِدٍ بنِ زَيْد الأَنْصَارِيِّ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ أَعْمَلُهُ؛ يُدْنِينِي مِنَ الجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ قَالَ ﷺ(1): «تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ ذَا رَحِمِكَ، فَلَمَّا أَدْبَرَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنْ تَمَسَّكَ بِمَا أُمِرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ صِلَةَ الرَّحِمِ مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي تُدْخِلُكَ الجَنَّةَ، وَفي حَدِيثٍ آخَرَ مَاتِعٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (2): «وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ»

في الحَدِيثِ رَجُلٌ رَقِيقٌ رَحِيمٌ أَيْ: قَلْبُهُ بِهِ لِينٌ وَرَحْمَةٌ وَشَفَقَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي قُرْبِى وَمُسْلِمٍ، يَرْحَمُ كُلَّ مَنْ يَسْتَحِقُّ الرَّحْمَةَ مِنْ عِبَادِ اللهِ، فَهَذَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

الفَائِدَةُ السَّادِسَةُ: صِلَةُ الرَّحِمِ تَجْلِبُ مَحَبَّةَ الأَهْلِ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3): «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُم مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ في الأَهْلِ؛ مَثْرَاةٌ في المَالِ؛ مَنْسَأَةٌ في الأَثَرِ» تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُم أَيْ: اعْرَفُوا أنسَابَكُمْ لتَصلُوهَا.

فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَازِلَةٌ رَأَيْتَ أَهْلَهُ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَفْزَعُ إِلَيْهِمْ؛ طَالِبًا الغَوْثَ، فَتَرَاهُمْ يَفْرَحُونَ لِفَرَحِهِ؛ فَتَتَضَاعَفُ فَرْحَتُهُ، وَيَهْتَمُّونَ لِهَمِّهِ، فَيُخَفِّفُونَ عَنْهُ كَثِيرًا؛ وَهَذَا مِنْ حَقِّهِ عَلَيْهِمْ، وَلَكَ أَنَّ تَتَخَيَّلَ مَعِيَ رَجُلاً لَيْسَ لَهُ قَرَابَةٌ! كَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ في فَرَحِهِ وَحُزْنِهِ؟! إِذًا.. سَتَجِدُهُ إِذَا فَرِحَ لاَ يَجِدُ مَنْ يُشَارِكُهُ فَرْحَتَهُ، وَإِذَا أَصَابَهُ أَلَمٌ لاَ يَجِدُ مَنْ يَهْتَمَّ بِهِ وَقْتَ أَلَمِهِ.

(1) (صحيح): مسلم 13.
(2) (صحيح): مسلم 2865، أبو داود 4895.
(3) (صحيح): الترمذي 1989، صحيح الجامع 2965.

الفَائِدَةُ السَّابِعَةُ: صِلَةُ الرَّحَمِ بُرْهَانٌ عَلَى الصَّلاَحِ وَالتَّقْوَى:

صِلَةُ الأَرْحَامِ بُرْهَانٌ عَلَى صَلاَحِ البَاطِنِ بِالتَّقْوَى وَالخَوْفِ مِنَ اللهِ؛ وَصَلاَحُ الظَّاهِرِ بِحُسْنِ الخُلُقِ مَعَ عِبَادِ اللهِ، وَخَيْرُ دَلِيلٍ عَلَى قَوْلِي هَذَا أَخْلاَقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَعَ أَرْحَامِهِ وَجِيرَانِهِ، لِهَذَا السُّلُوكِ الحَسَنِ وَصِفَاتِ المرُوءَةِ العَظِيمَةِ الَّتي تَحَلَّى بهَا النَّبيّ ﷺ تُقْسِمُ زَوْجُهُ خَدِيْجَةُ ل أَعْظَمُ نِسَاءِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالَّذِي بَشَّرَهَا الله بِبَيْتٍ في الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لا صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ(1) وَتَقُولُ: وَاللهِ لَنْ يُخْزِيَكَ اللهُ أَبَدًا؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتقْرِي الضَّيْفَ، وَتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ(2)، وَتُعِينُ عَلَي نَوَائِبِ الدَّهْرِ، بِاللهِ عَلَيْكَ، رَجُلٌ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الكَرِيْمَةِ وَتِلْكَ الأخْلاقِ العَظِيمَةِ.. هَلْ يُخْزِيهِ رَبُّهُ؟! وَانْظُرْ إِلَى دِقَّةِ قَوْلِ خَدِيجَةَ: لَن يُخْزِيَكَ، وَلَمْ تَقُلْ: لَنْ يَبْتَلِيَكَ، لِماذَا؟ لأَنَّهُ يُبْتَلَى الأَخْيَارُ الأَبْرَارُ، أَمَّا الخِزْيُ فَعِقَابٌ مِنَ اللهِ، فَمِنْ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ: وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ [الشعراء:87].

الفَائِدَةُ الثَّامِنَةُ: أَسْرَعُ النَّاسِ ثَوَابًا:

اعْلَمْ أَنَّ ثَوَابَ وَفَضْلَ وَخَيْرَ صِلَةِ الرَّحِمِ عَظِيمٌ جِدًّا؛ فَصِلَةُ الرَّحِمِ تَنْفَعُكَ في الدّنيَا وَعِنْدَ الموْتِ وَفي الآخِرَةِ؛ أَمَّا الدّنيَا: فَأَسْرَعُ شَيْءٍ تَنَالُ عَلَيْهِ الأَجْرَ وَالثَّوَابَ مِنَ اللهِ في الدّنيَا هُوَ صِلَةُ الرَّحِمِ حَثًّا وَتَحْفِيزًا لِلنَّاسِ عَلَى مُوَاصَلَةِ أَرْحَامِهِم وَأَقَارِبِهِم؛ فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ أَنَّ النّبيَّ ﷺ قَالَ(3): «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلُ اللهُ تعَالى لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ في الدّنيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُهُ لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ» وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(4): «وَإِنَّ أَعْجَلَ الطَّاعَةِ ثَوابًا صِلَةُ الرَّحمِ؛ حَتَّى إِنَّ أَهْلَ البَيْتِ لَيَكُونُوا فَجَرَةً فَتَنْمُو أَمْوَالُهُم وَيَكْثُرُ عَدَدُهُم إِذا تَوَاصَلُوا».

---

(1) (صحيح): البخارى 1792، مسلم 2433.
(2) الكَلُّ: الثقل، ويدخل في حَمْلِ الكَلِّ الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك، أَمَّا كسب المعدوم فهو إعطاء الفقير تبرعًا، النَّوَائب: الحوادث.
(3) (حسن): ابن ماجة 4201, صحيح الترغيب والترهيب 2.
(4) (صحيح): صحيح الجامع 5705.

النَّصِيحَةُ الخَامِسَةُ: لاَ تَقْطَعْ رَحِمَكَ؛ فَالقَطِيعَةُ عَاقِبَتُهَا وَخِيمَةٌ

اخْتَرْتُ لَكَ مِنْهَا العُقُوبَاتِ الآتِيَةَ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُجَنِّبَنَا إِيَّاهَا.

العُقُوبَةُ الأُولَى: لاَ يُسْتَجَابُ دُعَاؤُهُ:

أَحْيَانًا يَدْعُو أَحَدُنَا فَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُ، فَعَلَيْهِ أَنْ يُفَتِّشَ في نَفْسِهِ جَيِّدًا وَفي فِعْلِهِ بِأَقَارِبِهِ؛ أَتَدْرِي لِمَاذَا؟! لأَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لاَ يُطْلَبُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ لاَ بِمَعْصِيَتِهِ؛ لَعَلَّهُ يَكُونُ قَاطِعَ رَحِمٍ أَوْ يَدْعُو بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ(1): «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: مَا الاسْتِعْجَالُ؟! قَالَ: يَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ» قِيلَ في الفَتْحِ الرَّبَّانِيِّ(2): (يَدْعُ بِإِثْمٍ) مِثَالُ ذَلِكَ كَأَنْ يَقُولُ أَحَدُنَا: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي سَرِقَةَ مَصْرِفِ كَذَا أَوْ قَتْلَ فُلانٍ أَوْ الزِّنَا بِفُلانَةٍ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَالإِثْمُ: الذَّنْبُ وَالمعْصِيَةُ، وَالمُرَادُ هُنَا أَنْ يَدْعُوَ بِمَا لاَ يَحِلُّ لَهُ، فَكُلُّ دُعَاءٍ احْتَوَى عَلَى مُحَرَّمٍ حَرِيٌّ أَنْ لاَ يُسْتَجَابَ لِصَاحِبِهِ، وَكَيْفَ يُسْتَجَابُ لِمَنْ يَتَجَرَّأُ فَيَطْلُبُ حَرَامًا؟! فَادْعُ اللهَ كَمَا يُرِيدُ يَسْتَجِبْ لَكَ كَمَا تُرِيدُ.

(أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ) كَأَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِي مَثَلاً، وَإِنْ كَانَ هَذا مِنَ الإِثْمِ أَيْضًا، فَهُوَ تَخْصِيصٌ بَعْدَ تَعْمِيمٍ، وَمِنْ قَطِيعَةِ الرَّحِمِ أَيْضًا الإِسَاءَةُ إِلَيْهَا، وَالدُّعَاءُ الَّذِي فِيهِ إِسَاءَةٌ لِلرَّحِمِ مِنْ مَوَانِعِ الإِجَابَةِ بَلْ تَوَعَّدَ اللهُ قَاطِعَ الرَّحِمِ أَنْ يَقْطَعَهُ مِنْ رَحْمَتِهِ.

(1) (صحيح): مسلم 6871، الترمذي 3381.
(2) الفتح الرباني للساعاتي، ج14/266.

العُقُوبَةُ الثَّانِيَةُ: عَدَمُ قَبُولِ العَمَلِ الصَّالِحِ:

اللهُ لاَ يَقْبَلُ لَهُمْ أَعْمَالاً صَالِحَةً؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ(1): «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ؛ فَلا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ» وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ(2): «تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ في كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ إلاَّ عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: اتْرُكُوا أَوْ ارْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا».

العُقُوبَةُ الثَّالِثَةُ: عُقُوبَتُهُ مُعَجَّلَةٌ فِي الدُّنيَا:

عُقُوبَةُ الظَّالِمِ وَقَاطِعِ الأَرْحَامِ مُعَجَّلَةٌ في الدُّنْيَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(3): «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ في الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ» فَالظُّلْمُ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ يَقْتَصُّ اللهُ لَهُمَا في الدُّنيَا، فَاللهُ أَمَرَ بِإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَصِلَتِهِم، وَأَنْتَ فَعَلْتَ عَكْسَ ذَلِكَ وَظَلَمْتَ نَفْسَكَ وَظَلَمْتَهُمْ: إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [النحل:90].

(1) (صحيح): البخارى 5984، مسلم 2556، أبو داود 1696.
(2) (صحيح): مسلم 2565.
(3) (صحيح): صحيح سنن أبي داود 4902.

العُقُوبَةُ الرَّابعَةُ: الخِصَامُ عَمَلٌ شَيْطَانِيٌّ:

الخِصَامُ عَمَلٌ شَيْطَانِيٌّ؛ لِذَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُحَذِّرًا(1): «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ؛ وَلَكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ» وَالتَّحْرِيشُ: الإِفْسَادُ وَتَغْيِيرُ القُلُوبِ وَتَقَاطُعُهَا؛ فَالفُرْقَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ قَالَ اللهُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:91] فَالشَّيْطَانُ لاَ يُضْرَبُ بِالعَصَا، إِنَّمَا يُضْرَبُ

بِالطَّاعَاتِ وَالاسْتِغْفَارِ وَفِعْلِ الصَّالِحَاتِ وَذِكْرِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، فَهَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ؟! وَفي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ(2): «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلا تَحَسَّسُوا، وَلا تَجَسَّسُوا، وَلا تَنَاجَشُوا(3)، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا».

العُقُوبَةُ الخَامِسَةُ: لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ:

يُحَذِّرُكَ رَسُولُ اللهِ مَرَّةً أُخْرَى بِقَوْلِهِ ﷺ (4): «لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ» قَالَ سُفْيَان في رِوَايَتِهِ يَعْنِي: قَاطِعُ رَحِمٍ.

(1) (صحيح): مسلم 2812، الترمذي 1937.
(2) (صحيح): البخاري 6066، مسلم 2563.
(3) التحسس: الاستماع لحديث القوم، التجسس: تتبع عورات الآخرين، والتفتيش عن بواطن الأمور، والتناجش: أن يزيد في السلعة وهو لا يريد شراءها بل ليوقع غيره فيها.
(4) (صحيح): البخاري 5984، مسلم 2556.

النَّصِيحَةُ السَّادِسَةُ: اسْتِغْفِرْ؛ فَطُوبَي لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا

إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الغَفُورُ؛ فَمَهْمَا بَلَغَ الذَّنْبُ أَوْ تَكَرَّرَ؛ فَبَابُ المغْفِرَةِ مَفْتُوحٌ؛ وَعَطَاءُ اللهِ مَمْنُوحٌ، وَخَيْرُهُ - صَبَاحَ مَسَاءَ - يَغْدُو وَيَرُوحُ؛ فَإِنْ كَانَ أَحَدُنَا ظَالِمًا فَاللهُ غَافِرٌ، أَوْ كَانَ ظَلُومًا فَاللهُ غَفُورٌ، أَوْ كَانَ ظَلاَّمًا فَاللهُ غَفَّارٌ أَوْ كَانَ أَسْوَأَ الظَّالِمِينَ فَاللهُ خَيْرُ الغَافِرِينَ سُبْحَانَهُ؛ وَلَكِنْ مَا أَخْشَاهُ عَلَى نَفْسِي وَعَلَيْكَ أَنْ أَمُوتَ أَوْ تَمُوتَ عَلَى ذَنْبٍ ومَعْصِيَةٍ؛ فَيَمُوتَ أَحَدُنَا مَذْمُومًا غَيْرَ مَمْدُوحٍ، فَمَنْ يَضْمَنُ لَكَ الحَيَاةَ؛ حَتَّى تَتُوبَ؟! وَمَنْ مِنَّا أَخَذَ عَلَى اللهِ عَهْدًا أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَهُ؟! فَجَدِّدِ التَّوْبَةَ وَالاسْتِغْفَارَ سَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ! وَاسْتَغْفِرْ لَكَ وَلإِخْوَانِكَ وَاقْتَدِ بِنَبِيِّكَ ﷺ القَائِلِ(1): «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأُمَّتِي، وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ» وَادْعُ اللهَ الرَّحْمَةَ؛ فَعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ(2): كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيّ ﷺ الصَّلاَةَ؛ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي».

فَمَا أَجْمَلَ قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ لِعَائِشَةَ (3): «وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ»!! وَهِنيئًا لأُمِّنَا عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَعَنْ أَبيهَا- وَلَنَا بِدُعَاءِ نَبِيِّنَا ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ وَمَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ(4)» وَقَالَ ﷺ: «وَاللهِ إِنَّهَا لَدَعْوَتِي لأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلاَةٍ».

(1) (صحيح): مسلم 820.
(2) (صحيح): مسلم 2697.
(3) (صحيح): البخاري 4690، مسلم 2445.
(4) (حسن): السلسلة الصحيحة (5 / 324).

إِنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّفْ أَحَدًا العِصْمَةَ، إِنَّمَا كَلَّفَهُ إِذَا أَخْطَأَ أَنْ يَتُوبَ إِلى رُشْدِهِ، وَإِذَا عَثَرَتْ قَدَمُهُ أَنْ يَنْهَضَ مِنْ كَبْوَتِهِ؛ لِيَسْتَأْنِفَ طَرِيقَهُ إِلى الغَايَةِ المَنْشُودَةِ، وَأَبْشِرْ.. فَمِنْ أَجْلِكَ أَنْتَ سَمَّى اللهُ نَفْسَهُ: غَافِرَ الذَّنْبِ وَالغَفُورَ وَالغَفَّارَ وَأَهْلَ المغْفِرَةِ وَوَاسِعَ المغْفِرَةِ؛ فَهُوَ خَيْرُ الغَافِرِين: فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَاۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ [الأعراف:155] فَلا تَحْرِمْ نَفْسَكَ المغْفِرَةَ.

إذَا أَوْجَعَتْكَ الذُّنُوبُ فَدَاوِهَا		بِرَفْعٍ بِاللَّيْلِ وَاللَّيْلُ مُظْلِمٌ
وَلاَ تَقْنَطَنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّمَا		قنُوطُكَ مِنْهَا مِنْ ذُنُوبِكَ أَعْظَمُ
فَرَحْمَتُهُ لِلْمُحْسِنِينَ كَرَامَةٌ		وَرَحْمَتُهُ لِلْمُذْنِبِينَ تَكَرُّمُ

فَإِسْلامُنَا العَظِيمُ يَجْعَلُ فُرْصَةَ التَّطَهُّرِ مِنَ الذُّنُوبِ مَمْزُوجَةً بِالتَّزَوُّدِ مِنَ الخَيْرِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالى: إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ [هود:114] وَقَالَ اللهُ في شَأْنِ بَعْضِ عِبَادِهِ النَّاجِينَ بِمَشِيئَتِهِ: وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ [التوبة:102]

فَاعْتَرِفْ بِذَنْبِكَ قَبْلَ أَنْ تَسْتَغْفِرَ رَبَّكَ، فَمَا أَكْثَرَ ذُنُوبَنَا! وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ فَقُلْ: مَا أَعْظَمَ غُفْرَانَ رَبِّنَا لَنَا! فَأَكْثِرْ مِنْ هَذَا الدُّعَاءِ المبَارَكِ الَّذِي كَانَ يَدْعُو بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَعَلَّهُ يَكُونُ مِنْ حَظِّكَ(1): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ البَلاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ القَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ(2)» فَالشَّيْطَانُ تَعَهَّدَ بِغوَايَتِك، وَاللهُ وَعَدَكَ غُفْرَانَ ذُنُوبِكَ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ(3): «قَالَ إِبْلِيسُ: أَيْ رَبِّ.. لا أَزَالُ أُغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: لا أَزَالُ أَغْفِرُ لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي» فَالشَّيْطَانُ لاَ يُضْرَبُ بِالعَصَا؛ إِنَّمَا يُضْرَبُ بِالطَّاعَاتِ وَالاسْتِغْفَارِ وَفِعْلِ الصَّالِحَاتِ وَذِكْرِ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، فَهَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ عَنْ سَاعِدِ الجِدِّ؟!.

اعْتَرِفْ بِذَنْبِكَ، وَاسْتَغْفِرْ رَبَّكَ:

لَوْلاَ الاسْتِغْفَارُ وَالمغْفِرَةُ لَهَلَكَ النَّاسُ جَمِيعًا؛ فَاللهُ يَغْفِرُ وَيَرْحَمُ وَيُمْهِلُ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [النحل:61] فَقَوْلُكَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَبِّ الكَلِمَاتِ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ؛ عنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُول اللهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، قَالَتْ:

---

(1) (صحيح): البخارى 6347، مسلم 2707، النسائي 5491.
(2) جَهْدُ البَلاءِ: كُلُّ ما أصاب الإنسانَ من شدَّةِ المشقَّة، وما لا طاقة لَهُ بِهِ بِحَمْلِهِ، وَلا قُدرةَ لَهُ عَلَى دَفْعِهِ، دَرْكُ الشَّقَاء: شدَّةُ المشقَّة في أمورِ الدُّنيا، وحُصُول الضَّررِ البالغ في الأهل والمالِ والبدنِ، سُوءُ القَضَاء: كلُّ ما يَسُوءُ الإنسانَ ويُحْزِنُهُ منَ الأقْضِيَةِ الواقعةِ عليه؛ المقدَّرَةِ لَهُ، شَمَاتَةُ الأعداء: فرح الأعداءِ بما يقعُ عليكَ من المكرُوهِ وينْزِلُ بكَ منَ المحَنِ.
(3) (صحيح): أحمد11321، صحيح الجامع (1 / 212).

فَقُلْتُ: يَا رَسُول اللهِ ﷺ أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فَقَالَ(1): «خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ فَتْحُ مَكَّةَ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا، يَتَأَوَّلُ الْقُرْءَان (2)».

الاسْتِغْفَارُ سَبَبٌ عَظِيمٌ فِي نُزُولِ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ:

فَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ؛ فَالاسْتِغْفَارُ سَبَبٌ عَظِيمٌ فِي نُزُولِ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ، وَلَقَدْ حَثَّ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا عَلَى الاسْتِغْفَارِ -وَفي هَذَا تَهْيِيجٌ لِلأُمَّةِ عَلَى الاسْتِغْفَارِ وَحَضٌّ لَهَا- إِذْ قَدْ أُمِرَ نَبِيُّهَا الَّذِي هُوَ خَيْرُهَا؛ بَلْ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ بِالاسْتِغْفَارِ لِنَفْسِهِ مَعَ عِصْمَتِهِ؛ لِتَسْتَنَّ بِهِ الأُمَّةُ مِنْ بَعْدِهِ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ وَلأُمَّتِهِ وَهُوَ الأُسْوَةُ الحَسَنَةُ؛ وَفِي ذَلِكَ كَرَامَةٌ عَظِيمَةٌ وَإِكْرَامٌ لِلمُؤْمِنِينَ وَالمؤْمنَاتِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [محمد:19].

(1) (صحيح): مسلم 484.
(2) يتأول: يعمل بما أمر الله به في القرآن.

النَّصِيحَةُ السَّابِعَةُ: أَحْسِنُوا بالوَالَدِيْنِ إِحْسَانًا فِي حَيَاتِهِمَا وَمَمَاتِهِمَا

مِنْ أَعْظَمِ صَنَائِعِ المعْرُوفِ بِرُّ الوَالِدَيْنِ وَهُوَ يُوصِلُكَ إِلى الجَنَّةِ بِإِذْنِ اللهِ، فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (1): «نِمْتُ فَرَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ قَارِئٍ يَقْرَأُ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟! قَالُوا: هَذَا حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: كَذَاكَ الْبِرُّ.. كَذَاكَ الْبِرُّ، وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِأُمِّهِ» أَيْ: هَكَذَا يَفْعَلُ البِرُّ وَالمعْرُوفُ بِأَهْلِهِمَا، فَأَكْثِرْ مِنَ المعْرُوفِ وَالعَمَلِ الصَّالِحِ وَاعْتَصِمْ بِاللهِ؛ وَلِلإِحْسَانِ فَوَائِدُ عَظِيمَةٌ؛ ذَكَرَهَا لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُ كُلِّ بَرٍّ بِوَالِدَيْهِ أَنَّ هَذَا البِرَّ لَنْ يَضِيعَ عَلَيْهِ هَبَاءً.

1-رِضَا اللَّهِ عَنْكَ :

إِنَّهَا لَنِعْمَةٌ مِنْ أَجَلِّ النِّعَمِ؛ أَنْ يَرْضَى عَنْكَ رَبُّكَ، قَالَ اللهُ في الأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ وأَتبَاعِهِم: وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ [التوبة:100] وَأَنَا -كَمُسْلِمٍ- أُرِيدُ هَذَا الرِّضَا بِبِرِّ وَالِدَيَّ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (2): «رِضَا اللهِ فِي رِضَا الوَالِدِ؛ وَسَخَطُ اللهِ فِي سَخَطِ الوَالِدِ».

(1) (صحيح): أحمد 24656، السلسلة الصحيحة 913.
(2) (حسن): صحيح الترغيب والترهيب 2501 / 2.

2- رِفْعَةُ المكَانَةِ وَإِجَابَةُ الدُّعَاءِ وَالشِّفَاءُ مِنَ المَرَضِ:

هَكَذَا البِرُّ يَصْنَعُ بِالأَبْرَارِ وَيَبْلُغُ المنْزِلَةَ بِالمتَّقِينَ! فَعَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟! حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺيَقُولُ «يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ

بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؛ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ».

3- ثَوَابُ المحْسِنِ بِوَالِدَيْهِ كَالمُجَاهِدِ:

عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ أَنَّ نَاعِمًا مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ حَدَّثَهُ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ(1): فَهَلْ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟! قَالَ: نَعَمْ؛ بَلْ كِلاهُمَا، قَالَ: فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا» فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ: هَذَا كُلُّهُ دَلِيلٌ لِعِظَمِ فَضِيلَةِ بِرِّهِمَا، وَأَنَّهُ آكِدٌ مِنَ الجِهَادِ، وَبرُّ الوَالِدَيْنِ فَرْضُ عَيْنٍ، وَالجِهَادُ فَرْضُ كِفَايَةٍ؛ وَتَرْجيحُ فَرْضِ العَيْنِ عَلَى فَرْضِ الكِفَايَة.

(1) (صحيح): مسلم 2549.

4- طُولُ العُمُرِ:

إنّهَا ثَمَرَةٌ مُبَارَكَةٌ وَسَبَبُهَا بِرُّ الوَالِدَيْنِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَأَنْ يُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلاَّ الْبِرُّ، وَلا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِخَطِيئَةٍ يَعْمَلُهَا».

5- جِبْرِيلُ يَدْعُو وَالنَّبِيُّ يُؤَمِّنُ على القُرْب مِنَ النَّارِ !:

أَرَأَيْتُمْ دَعْوَةً دَعَا بِهَا أَمِينُ السَّمَاءِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، بِأَنَّهُ خَابَ وَخَسِرَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ! وَلَقَدْ أَمَّنَ عَلَيْهَا أَمِينُ الأَرْضِ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ، فَكَيْفَ يَرُدُّهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالى؟! عَنْ كَعْب بنِ عُجْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «احْضُرُوا المِنْبَرَ، فَحَضَرْنَا؛ فَلَمَّا ارْتَقَى الدَّرَجَةَ قَالَ: آمِين، ثُمَّ ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: آمِين، ثُمَّ ارْتَقَى الدَّرَجَةَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: آمِين، فَلَمَّا فَرَغَ نَزَلَ عَنِ المِنْبَرِ، قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ: لَقَدْ سَمِعْنَا مِنْكَ اليَوْمَ شَيْئًا مَا كُنَّا نَسْمَعُهُ، قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَرَضَ لِي فَقَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقَيتُ الثَّانِيَةَ قَالَ: بَعُدَ مَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، فَلَمَّا رَقِيتُ الثَّالِثَةَ قَالَ: بَعُدَ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ الكِبَرُ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يُدْخِلاَهُ الجَنَّةَ، فَقُلْتُ: آمِينَ» فَانْتَبِهْ لِحَقِّ الوَالِدَيْنِ وَلاَ تُقَاطِعْهُمَا؛ لأَنَّ حَقَّهُمَا عَظِيمٌ.

(1) (صحيح): صحيح الترغيب والترهيب 2489.

6- الْزَمْهَا؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا:

إِذَا كَانَ الْقَوْلُ: (الجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الأُمَّهَاتِ) لاَ يَصِحُّ حَدِيثًا عَنِ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنَّ هُنَاكَ حَدِيثًا آخَرَ بِهَذَا المفْهُومِ؛ فَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ السَّلَمِيِّ أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرَدْتُ أَنْ أَغْزُوَ وَقَدْ جِئْتُ أَسْتَشِيرُكَ، فَقَالَ(1): «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَالْزَمْهَا؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ رِجْلَيْهَا» فَإِنَّ الشَّيْءَ إِذَا صَارَ تَحْتَ رِجْلِ أَحَدٍ فَقَدْ تَمَكَّنَ مِنْهُ، وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ بِحَيْثُ لاَ يَصِلُ إِلى آخَرَ إِلاَّ مِنْ جِهَتِهِ.

7- الوَالِدَانِ سَبِيلُكَ إِلَى أَوْسَطِ أَبْوَابِ الجَنَّةِ :

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ أَنَّ رَجُلاً أَتَاهُ فَقَالَ: «إِنَّ لِيَ امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلاقِهَا قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوْ احْفَظْهُ» الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ أَيْ: طَاعَةُ الوَالِدِ تُدْخِلُكَ مِنْ خَيْرِ الأَبْوَابِ وَأَعْلاَهَا في الجَنَّةِ, وَالمعْنَى أَنَّ أَحْسَنَ مَا يُتَوَسَّلُ بِهِ إِلى دُخُولِ الجَنَّةِ وَالوُصُولِ إِلى دَرَجَتِهَا العَالِيَةِ مُطَاوَعَةُ الوَالِدِ وَمُرَاعَاةُ جَانِبِهِ.

(1) (صحيح): النسائي 3104، صحيح الجامع 29.

8- الانْتِفَاعُ بِدُعَائِهِمَا؛ فَدُعَاؤُهَمَا مُسْتَجَابٌ:

يَا حَبَّذَا لَوْ دَعَا لَكَ وَالِدَاكَ لَزَادَ الخَيْرُ في بَيْتِكَ وَبَارَكَ اللهُ في صِحَّتِكَ وَأَهْلِكَ وَمَالِكَ وَوَلَدِكَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (1): «ثَلاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لا شَكَّ فِيهِنَّ؛ دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ» دَعْوَةُ المظْلُومِ أَيْ: في حَقِّ الظَّالِمِ وَأَثَرَ الاسْتِجَابَةِ قَدْ لاَ يَظْهَرُ في الحَالِ؛ لِكَوْنِ المجِيبِ تَعَالى حَكِيمًا، وَإِيَّاكَ أَنْ يَدْعُوَ عَلَيْكَ وَالِدَاكَ بِالسُّوءِ.

(1) (صحيح): سنن ابن ماجة 3862، صحيح الجامع 3032.

النَّصِيحَةُ الثَّامِنَةُ: احْذرْ دَعْوَةَ المظْلُومِ وَدَمْعَةَ المحْرُوم

فَالدُّنيَا لاَ تُسَاوِي شَيْئًا عِنْدَ اللهِ تَعَالى، وَلِمَ لاَ وَأَقَلُّ القَلِيلِ في الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدّنيَا؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيّ ت قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (1): «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».

الأَمْرُ الأَوّلُ: لاَ بُدَّ مِن القِصَاصِ يَومَ القِيَامَةِ:

عَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (2): «يَخْلُصُ المُؤْمِنُون مِن النَّارِ فَيُحْبَسُون عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْن الجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانتْ بَيْنهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِن لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ؛ فَوَالَّذِي نفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بمَنزِلِهِ فِي الجَنَّةِ مِنْهُ بمَنزِلِهِ كَان فِي الدُّنْيَا(3)» حَتّى الشّهِيد وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ النّاسِ ثوَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَعَنْ أَبي قَتَادَةَ قَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبيلِ اللهِ تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «نعَمْ إنْ قُتِلْتَ فِي سَبيلِ اللهِ وَأَنْتَ صَابرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبلٌ غَيْرُ مُدْبرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : كَيْفَ قُلْتَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتَ إنْ قُتِلْتُ فِي سَبيلِ اللهِ أَتُكَفَّرُ عَنّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: نعَمْ وَأَنْتَ صَابرٌ مُحْتَسِبٌ مُقْبلٌ غَيْرُ مُدْبرٍ إلاَّ الدَّيْن؛ فَإِنَّ جبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلام قَالَ لِي ذلِكَ».

---

(1) (صحيح): البخاري 3250، مسلم 1881، الترمذي 1648.
(2) (صحيح): البخاري 6054.
(3) إذا خلص المؤمنون: نجوا من السّقوط فيها بعد ما جازوا على الصِّراط، حتى إذا هذِّبوا ونقُّوا: تميزوا وخلصوا من التبعات؛ ليدخلوا الجنة وليس في قلوب بعضـهم على بعض غل، قال الله تعالى: ﴿**وَنزَعْنا مَا فِي صُـدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابلِين**﴾ [الحجر: 47].

الأَمْرُ الثّانِي: البُعْدُ عَنِ البدَعِ وَتَجَنُّبُهَا :

عَلَى المسْلِمِ أَنْ يَجْتَنِبَ البدَعَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَن، فَإِنَّ البدْعَةَ تَحْجُبُ التَّوْبَةَ! فَعَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ احْتَجَزَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِب بدْعَةٍ».

الأَمْرُ الثالِث: تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ :

بَعْدَ رَدِّ الحُقُوقِ إِلى أَهْلِهَا وَبَرَاءَةِ ذِمَّتِكَ مِنْهَا فَأَنْتَ أَصْبحْتَ مُؤَهَّلاً لِتَوْبَةِ رَبِّكَ عَلَيْكَ؛ وَاعْلَمْ -بدَايَةً- أَنَّكَ لَنْ تَتُوبَ إلاَّ إذا تَابَ اللهُ عَلَيْكَ أَوَّلاً، ثُمَّ تَتُوبُ -أَنْتَ- فَيَقْبَلُ تَوْبَتَكَ إنْ شَاءَ اللهُ؛ فَاللهُ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ؛ قَالَ اللهُ في شَأْنِ الثلاَثَةِ الَّذِين خُلِّفُوا: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:118] وَقَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء:27- 28]

فَادْعُ اللهَ في أَوْقَاتِ إجَابَةِ الدُّعَاءِ أَن يَتُوبَ عَلَيكَ؛ وَأَوْقَاتُ الإجَابَةِ مِنْهَا مَا بَينَ الأذانِ وَالإِقَامَةِ وَوَقْتُ السَّحَرِ، وَفي السُّجُودِ وَعِندَ نزُولِ المطَرِ وَدُبرَ الصّلَوَات الخَمسِ المكتُوبَات، وَسَاعَةُ الجُمُعَةِ وَيَومُ عَرَفَةَ وَشَهرُ رَمَضَان وَلَيلَةُ القَدرِ في العَشرِ الخَوَاتِيمِ مِن شَهْرِ رَمَضَان.

الأَمْرُ الرَّابعُ: اعْتِرَافٌ بالذَّنْبِ:

اعْتِرَافٌ بالذَّنبِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:102] فَاللهُ يَغفِرُ كُلَّ الذُّنُوب قَبْلَ الموْتِ؛ فَلاَ تَقُلْ: ذنُوبي كَثِيرَةٌ، وَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، انْتَبهْ فَهَذا قَولٌ خَطِيرٌ، يَتَناقَضُ وَآيَات القُرْءَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:110].

الأَمْرُ الخَامِسُ: الثِّقَةُ فِي وْعدِ اللَّهِ:

الثِّقَةُ في كَلاَمِ اللهِ وَمَوْعُودِهِ لِعِبَادِهِ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:53] فَانْظُرْ إِلى رَحمَةِ اللهِ بعِبَادِهِ وَهُوَ يَفْتَحُ أَمَامَهُم أَبوَابَ العَودَةِ إِلَيهِ! إِنَّهَا أَرجَى آيَةٍ في كِتَاب اللهِ؛ تَفْتَحُ أَبوَابَ الرَّجَاءِ وَالأَمَل أَمَامَ المسْرِفِين؛ فَاللهُ يَتَقَرَّبُ إِلَيْنا؛ فَلِمَاذا نبْتَعِدُ عَنْهُ؟! وَكَذلِكَ الثِّقَة في كَلاَمِ نبيّهِ ﷺ القَائِلِ في الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَنسُ بنُ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ(1): «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بأَرْضِ فَلاةٍ؛ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ في ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنا هُوَ كَذلِكَ إِذا هُوَ بهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذ بخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ؛ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ».

(1) (صحيح): مسلم 2747.

الأَمْرُ السَّادِسُ: الاعْتِصَامُ باللَّهِ :

الاعْتِصَامُ باللهِ، فَمَنِ اعتَصَمَ باللهِ هَدَاهُ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:101] فَالشَّيْطَانُ يَأتِيكَ مِنْ كُلِّ طَرِيقٍ إلاَّ مِن فَوقِكَ؛ لأَنّهُ مَكَانُ اعْتِصَامِكَ برَبِّكَ؛ فَارتِبَاطُكَ باللهِ يَحُولُ بَينَكَ وَبَينَ الشَّيطَان، قَالَ إبلِيسُ مُتَعَهِّدًا بغوَايَةِ ابنِ آدَم: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:16-17] فَالقُعُودُ هُنا لِلمُلازَمَةِ الدَّائِمَةِ؛ حَتَّى يَوْمِ القِيَامَةِ، إنَّهَا حَربٌ بَيْنكَ وَبَين الشَّيْطَانِ، وَلَمْ يَقُلْ: لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ عَلَى صِرَاطِكَ المستَقِيمِ؛ لأَنَّ حَرفَ الجَرِّ: (عَلَى) يُفِيدُ قِصَرَ الوَقتِ مَهمَا طَالَ، تَقُولُ: فُلاَنٌ جَلَسَ عَلَى الكُرسِيّ؛ فَالكُرسِيُّ لَن يَدُومَ لَهُ مَهمَا طَالَ قُعُودُهُ عَلَيهِ.

النَّصِيحَةُ التَّاسِعَةُ: لاَ تَقْطَعْ دُعَاءَكَ؛ فَالدُّعَاءُ يَصِلُكَ بالسَّمَاء

أَحْيَانًا يَدْعُو العَبْدُ المسْلِمُ كَثِيرًا وَيَسْتَعْجَلَ الإجَابَةَ، فَلَمْ تَتَحَقَّقْ لِحِكْمَةٍ مَا؛ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبّي في كِتَابٍ، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ [البقرة:216] فَظَنَّ أَنَّ اللهَ لَنْ يَسْتَجِيبَ لَهُ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «مَا مِنْ عَبْدٍ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يَبْدُوَ إِبِطُهُ يَسْأَلُ اللهَ مَسْأَلَةً إلا آتَاهَا إِيَّاهُ مَا لَمْ يَعْجَلْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَكَيْفَ عَجَلَتُهُ؟! قَالَ: يَقُولُ: قَدْ سَأَلْتُ وَسَأَلْتُ وَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا» وَلَفْظ البُخَارِي: «يُسْتَجَابُ لأحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» وَعِنْدَ مُسْلِمٍ: «فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ» وَيَظُنُّ بربِّهِ ظَنًّا حَسَنًا، قَائِلاً لَهُ: اطْمَئِنَّ؛ فَاللهُ يُجِيبُ دُعَاءَ الفَاجِرِ المظْلُومِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(2): «دعوة المَظْلُومِ مُسْتَجابَةٌ، وإنْ كَانَ فَاجِرًا؛ فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ» أَفَلاَ يُجِيبُ رَبُّنَا دُعَاءَ العَبْدِ النَّقِيِّ التَّقِيِّ الخَفِيّ؟! فَعَلَيْكَ بالشُّكْرِ وَالدُّعَاءِ؛ فَالشُّكْرُ سَبَبٌ لِدَوَامِ النّعَمِ المَوْجُودَةِ، وَالدُّعَاءُ سَبَبٌ لإِيجَادِ النّعَمِ المفقُودَةِ؛ فَالدُّعَاءَ الدُّعَاءَ -عِبَادَ اللهِ- الَّذِي قَالَ فِيهِ رَبُّنَا: وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا [النساء:32].

(1) (صحيح): البخاري 6340، مسلم 6869.
(2) (حسن): صحيح الجامع 3382.

وَفِي حَدِيثٍ رَائِعٍ مَاتِعٍ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[1]: «إِذا تَمَنَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُكْثِرْ فإِنَّما يَسْأَلُ رَبَّهُ» تَمَنّى، أَيْ: سَأَلَ اللهَ مِنْ خَيْرَي الدَّارَيْنِ الأُولَى وَالآخِرَةِ، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ رَبَّه الّذِي رَبَّاهُ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَأَمَدَّهُ بالّنَعِم كُلِّهَا؛ فيُعظِمُ الرَّغبْةَ، ويُوَسِّع المسْأَلَة، ويَسْأَلُهُ القَلِيلَ وَالكَثيرَ؛ فَإِنّهُ يَسْأَلُ رَبًّا غَنِيًّا كَرِيمًا عَظِيمًا: ﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ [الإسراء:100].

فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(2): «مَنْ فُتِحَ لَهُ مِنْكُمْ بَابُ الدُّعَاءِ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ، وَمَا سُئِلَ اللهُ شَيْئًا مِنْ أَنْ يُسْأَلَ العَافِيَةَ(3)» فَاللهُ يَسْمَعُك، وَيُبْصرُ حَالَكَ، وَيُجِيبُ دُعَاءَكَ، وَلاَ يَرُدّ يَدَيْكَ خَائبَتْيْنِ؛ فَمَنِ اتَقَى اللهَ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَ رَبَّهُ بصِدْقٍ هَدَاهُ وَكَشَفَ عَنْهُ بَلْوَاهُ.

لاَ تَسْأَلَنَّ بُنَيَّ آدَمَ حَاجَةً		وَسَلِ الّذِي أَبْوَابُهُ لاَ تُحْجَبُ
اللهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهُ		وَبُنَيُّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ

فَاللهُ يَغْضَبُ إِنْ لَمْ تَسْأَلْهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(4): «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ(5)» وَمَاذا يَحْدُثُ لَوْ غَضِبَ رَبُّك؟! قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ﴾ [طه:81]

(1) (صحيح): صحيح الجامع 437.
(2) (حسن): سنن الترمذي 3548، جامع الترمذي (5 / 552).
(3) وَمَا سُئِلَ اللهُ شَيْئًا، يَعْنِي: أَحَبَّ إِلَيْهِ.
(4) (صحيح): الترمذي 3373، ابن ماجة 3827.
(5) لأن الذي لا يسأل ربَّهُ عز وجل إمَّا أن يكون قانطًا أو مُتكبِّرًا، وكلا الأمرين موجبٌ لغضب الرَّبِّ سبحانه، والمبغوض مغضوب عليه.

نسْأَلُ اللهَ السّلاَمَةَ، فَبالدّعَاءِ تَابَ اللهُ عَلَى آدَمَ وَحَوَّاء عِنْدَمَا قَالاَ: رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ [الأعراف:23] وَنَصَرَ اللهُ بهِ نبيَّهُ نُوحًا عَلَيْهِ السَّلاَمُ: فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ [القمر:10] وَغَفَرَ اللهُ لِنبيِّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَعْدَ قَتْلِهِ نَفْسًا بغَيْرِ نَفْسٍ فقَالَ: قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ [القصص: 16-17].

فَاللهُ أَقْرَبُ إلَيْكَ مِنْ دَمِكَ الَّذِي يَسْرِي في وَرِيدِكَ(1)؛ قَالَ اللهُ تَعَالى: وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ [ق:16] وَاللهُ أَقْرَبُ إلَيْكَ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِكَ، فَعَنْ أَبي مُوسَى الأَشْعَرِيّ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَجَعَلْنَا لا نصْعَدُ شَرَفًا وَلا نَعْلُو شَرَفًا وَلا نهْبِطُ فِي وَادٍ إلاَّ رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بالتَّكْبِيرِ قَالَ(2): فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم(3)؛ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا؛ إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا إنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ؛ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ؛ أَلا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؛ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ» وَاللهُ وَعَدَكَ بالإجَابَة، فَعَنْ سَلْمَانَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ(4): «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ» فَادْعُ رَبَّكَ وَأَنْتَ مُوقِنٌ بالإجَابَةِ.

(1) لذا كان من أدب وبلاغة المؤمن فِي الدعاء دعاؤه: رَبِّ، لا: ربِّي أو يَا رَبِّ، فحذفت الأداة قُربًا؛ لعدم وجود مسافات أو واسطة في الدعاء بين العبد وربه، فالمساغات تتلاشى وتفنى.
(2) (صحيح): البخاري 4205، مسلم 2704.
(3) ارْبَعُوا: ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُم، واخْفِضُوا أَصْوَاتكم؛ فَإنّ رَفْعَ الصّوْتِ إنَّمَا يَفْعَلُه الإنْسَانُ لبُعْدِ مَنْ يُخَاطِبُه لِيُسْمِعَه، وَأَنْتمْ تدْعُونَ اللهَ القَرِيبَ المجِيبَ.
(4) (صحيح): ابن ماجة 3865، سنن ابن ماجة (2 / 1271).

وَالإنْسَانُ مِنّا في حَاجَّةٍ إلى صِلَةٍ عَظِيمَةٍ تَسْكُبُ في قَلْبهِ الأَمْنَ وَالأَمَانَ وَالسَّكِينَةَ وَالثَّبَاتَ وَالاطْمِئْنَانَ، وَلاَ يَكُونُ ذلِكَ إلاَّ إذا أَقْبَلَ العَبْدُ عَلَى رَبِّهِ بالدُّعَاءِ بِذُلّ وَخُضُوعٍ وَانْكِسَارٍ؛ فَيَقْشَعِرُّ جِلْدُهُ، وَيَخْشَعُ قَلْبُهُ، وَتَبْكي عَيْنَاهُ، بَعْدَهَا يَشْعُرُ بِرَاحَةٍ؛ يجِدُ حَلاَوَتَهَا فِي قَلْبِهِ، ثُمَّ تَصْعَدُ أَنْفَاسُ التَّوْبَةِ الطَّاهِرَةِ وَالدُّعَاءُ الصَّادِق، يَعْتَرِفُ فِيهَا العَبْدُ بضَعْفِهِ وَفَقْرِهِ وَتَقْصِيرِهِ، فَبَابُ الدُّعَاءِ مِنْ أَبْوَابِ رَحمَةِ اللهِ العَظِيمَةِ بعِبَادِهِ.

قالَ رَسُولُ الله«لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ؛ حَتَّى يَسْأَلَهُ الْمِلْحَ؛ وَحَتَّى يَسْأَلَهُ شِسْعَ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ(1)» وَعَنْ مُعَاذٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(2): «لاَ يُغنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ البَلاَءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ» فَالحَذرُ لاَ يَمْنَعُ قَدَرَ اللهِ حَتَّى وَلَوْ أَخَذْتَ حِذْرَكَ مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ، فَقَدَرُ اللهِ نافِذ.

وَللدُّعَاءِ مَعَ البَلاَءِ ثَلاَثَةُ مَقَامَاتٍ: أَحَدُهَا: أَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ أَقْوَى مِنَ البَلاَءِ فَيَدْفَعَهُ، وَثَانِيهَا: أَنْ يَكُونَ الدُّعَاءُ أَضْعَفَ مِنَ البَلاَءِ فَيَقْوَى عَلَيْهِ البَلاَءُ فَيُصَابَ بِهِ العَبْدُ؛ وَلَكِنْ قَدْ يُخَفِّفُهُ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا، وَثالِثُهَا: أَنْ يَتَسَاوَيَا فيَعْتَلِجَا، أَيْ: يَضْطَرِبَا وَيَتَقَاوَمَا، وَيَمْنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ حَتّى يَنْزِلَ الأَقْوَى مِنْهُمَا؛ فَيَا رَبِّ سَلِّمْنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ، وَاكْتُبْ لَنَا الخَيْرَ كُلَّهُ.

أَمَّا العَاجِزُ الحَقِيقِيُّ فَعَرَّفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بقَوْلِهِ(3): «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الدُّعَاءِ، وَأَبْخَلُ النَّاسِ مَنْ بَخِلَ بالسَّلاَمِ» فَلَيْسَ أَعجَزُ النَّاسِ مَنْ كَانَ أَعْمَى أَوْ مُقْعَدًا، فَادْعُ اللهَ أَنْ يَرْحَمَكَ كَمَا دَعَا أَهْلُ الكَهْف بقَوْلِهِم: رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا [الكهف:10].

(1) لأن خزائن الجود بيد الله؛ فلا معطيها إلا هو سبحانه، حتى يسأله الملح ونحوه ممن يظن الناس أنها أشياء صَغِيرة تافهة، شسع: حبل الحذاء؛ فإنه إن لم ييسِّرْهُ الله فلن يتيسَّرْ !!.

(2) (حسن): صحيح الجامع 7739.

(3) (صحيح): صحيح الجامع 1044.

أَقْرَبُ مَا يَكُون العَبْدُ مِنَ اللهِ إِذا سَأَلَهُ، وَأَبْعَدُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنَ الخَلْقِ إِذا سَأَلَهُمْ، وَالإِنْسَان المسْلِمُ في هَذِهِ الأَيَّامِ في حَاجَّةٍ شَدِيدَةٍ إِلى رِبَاطٍ قَوِيٍ يَرْبِطُهُ باللهِ؛ فَلاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءَكَ إِلاّ اللهُ تَعَالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء:56].

وَالدُّعَاءُ هُوَ القَاسِمُ المشْتَرَكُ في كُلِّ عِبَادَةٍ؛ فَبَعْدَ كُلِّ عِبَادَةٍ وَكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ تَدْعُو اللهَ أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكَ وَيُحَقِّقَ لَكَ مَا تَأْمَلُهُ في مَرْضَاتِهِ؛ وَأَيْضًا ادْعُ اللهَ أنْ يَقْبَلَهُ حَتّى يُيَسِّرَ لَكَ هَذا العَمَلَ.

النَّصِيحَةُ العَاشِرَةُ: اقْرَأْ القُرْءَانَ الكَرِيمَ كُلَّ يَوْمٍ

كَثِيرٌ مِنَ المسْلِمِينَ إذا اسْتَيْقَظُوا مِنْ نوْمِهِم قَرَأُوا المجَلاّتِ وَالصُّحُفَ؛ وَلَمْ يَبْدَأُوا يَوْمَهُم بالقُرْآنِ، فَالقُرْآنُ مَنْهَجُ حيَاةٍ، فَاجْعَلِ الإسْلاَمَ مَنْهَجَ حَيَاتِكَ، حَتَّى تَمُوتَ عَلَيْهِ، فَهَلْ ضَبَطْتَ حَيَاتَكَ عَلَى مَنْهَجِ الإسْلاَمِ، فَلاَ مَفرَّ مِنَ التَّمَسُّكِ بالإسْلاَمِ - يَا عَبْدَاللهِ - رَضِيتَ أَمْ لَمْ تَرْضَ، لِمَاذا؟ لأنَّهُ يَضْبُطُ حَيَاتَكَ كُلَّهَا، وَيُحَقِّقُ سَعَادَتَكَ في الدُّنيَا قَبْلَ الآخِرَةِ، فَالإسْلاَمُ ضَبَطَ كُلَّ جَوَارِحِكَ وَحَرَكَاتِكَ وَسَكَنَاتِكَ، فَضَبَطَ مِشْيَتَكَ فَقَالَ اللهُ تَعَالى: وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا [الإسراء:37].

وَضَبَطَ نَظَرَكَ فَقَالَ اللهُ تَعَالى: قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ [النور:30].

وَضَبَطَ سَمْعَكَ فَقَالَ اللهُ تَعَالى: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ [الحجرات:12].

وَضَبَطَ لِسَانَكَ فَقَالَ اللهُ تَعَالى: وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا [البقرة:83].

وَضَبَطَ طَمَعَكَ في مُتَعِ الحَيَاةِ غَيْرِ المحَلَّلَةِ لَكَ فَقَالَ اللهُ تَعَالى: وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا [طه:131].

وضَبَطَ شَهْوَتَكَ وَهَذَّبَ أَخْلاَقَكَ فَقَالَ اللهُ تَعَالى: وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ [المؤمنون:5-6].

وَلَمْ يَكْتَفِ القُرْآنُ بذلِكَ بَلْ أَعْلَمَكَ أَنَّ جَوَارِحَكَ كُلَّهَا سَتَشْهَدُ عَلَيْكَ يَوْمَ القِيَامَةِ فَقَالَ اللهُ تَعَالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾[النور:24-25].

وَمَا كَتَبتُ كِتَابي هَذا إلاَّ مِنْ بَابِ تَبْصِيرِ المسْلِمِينَ بشَيْءٍ يَسِيرٍ مِنْ أَسْرَارِ هَذا الكِتَابِ المعْجزِ؛ لِنَتَدَارَسَ وَنتَعَلَّمَ هَذا الكِتَابَ؛ لِيَتَحَقَّقَ فِينَا حَدِيثُ نَبِيّنَا ﷺ، فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ في الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إلى بُطْحَانَ أَوْ إلى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إثْمٍ وَلا قَطْعِ رَحِمٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: أَفَلا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إلى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإبِلِ»؟! وَعَنْ عُثْمَانَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ(1): «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْءَان وَعَلَّمَهُ».

أَضِفْ إلى ذلِكَ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ يَخُصُّ هَذا الكِتَابَ المبَارَكَ عِبَادَةٌ؛ يُؤْجَرُ عَلَيْهَا العَبْدُ، فَالعَبْدُ مِنَّا يَتَقَرَّبُ إلى اللهِ تَعَالى بسِتَّةِ أَوْجُهٍ تَخَصُّ القُرْءَانَ؛ بحَوَاسِّهِ الرَّئِيسَةِ في بَدَنِهِ، يُفَكِّرُ فِيهِ وَيَتَدَبَّرُ آيَاتِهِ بعَقْلِهِ، وَيَتْلُوهُ بلِسَانِهِ، وَيَحْفَظُهُ بقَلْبِهِ، وَيُبْصِرُهُ بعَيْنِهِ، وَيَمَسُّهُ وَيَكْتُبُهُ بيَدِهِ، وَيَسْمَعُهُ بأُذُنِهِ، فَكُلُّ هَذِهِ الأَفْعَالِ عِبَادَاتٌ؛ يَسْتَمْطِرُ وَيَسْتَجْلِبُ بهَا العَبْدُ المؤْمِنُ رَحمَاتِ اللهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(2): «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلْيَقْرَأْ فِي المصْحَفِ» فَاللَّهُمَّ كَمَا هَدَيْتَنَا إلى الإسْلاَمِ دُونَ أَنْ نسْأَلَكَ فَاهْدِنَا إلى الجَنَّةِ وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ، وَاللهَ أَسْأَلُ أَنْ يُلْهِمَنَا السَّدَادَ وَالتَّوْفِيقَ في القَوْلِ وَالعَمَلِ،

(1) (صحيح): البخاري 5027.
(2) (صحيح): السلسلة الصحيحة 2342.

وَيَرْفَعَنَا بِهَذا الكِتَابِ المبَارَكِ، يَومَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إلا مَنْ أَتَى الله بقَلْبٍ سَلِيمٍ؛ فَعَنْ جَابِرٍ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «القُرْءَان شَافِعٌ مُشَفَّعٌ، ومَاحِلٌ مُصَدَّقٌ(2)، فَمَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلى الجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ قَادَهُ إِلى النَّارِ» فَهَذا كِتَابٌ عَظِيمٌ أَنْزَلَهُ اللهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ [إبراهيم:1] (أَنْزَلْنَاهُ) بضَمِيرِ العَظَمَةِ (نا) الفَاعِلِينَ، وَلَمْ يَقُلْ: أَنْزَلْتُهُ، فَمَنِ المنَزِّلُ؟ وَمَا المنَزَّلُ؟ وَعَلَى مَنْ أُنْزِلَ؟ لِيَتَنَاسَبَ ذلِكَ مَعَ عَظَمَةِ هَذا الكِتَابِ العَزِيزِ، فَالَّذِي أَنْزَلَهُ هُوَ اللهُ العَزِيزُ العَظِيمُ ذو الجَلاَلِ أَنْزَلَهُ عَلَى نبيٍّ عَظِيمٍ ذِي جَلاَلٍ، أَنْزَلَ كِتَابًا عَظِيمًا ذا هَيْبَةٍ وَعِزَّةٍ وَجَلاَلٍ.

مَا الغَايَةُ؟ وَمَا الحِكْمَةُ مِنْ نزُولِهِ؟ فَقَالَ اللهُ تَعَالى: إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا [الإسراء:9] (إِنَّ) لِلتَّأكِيدِ، (هَذا) لِلْقُرْبِ، (القُرْآنُ) بالتَّعْرِيفِ لِلتَّعْظِيمِ، فَالقُرْآنُ قَرِيبٌ مِنْ قُلُوبِ المؤْمِنِينَ، مَا الغَايَةُ مِنْهُ؟ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا فَالقُرْآنُ كِتَابُ

(1) (صحيح): السلسلة الصحيحة 2019.
(2) ماحل: مجادل ومدافع، يعني مَنْ اتّبعه وعمل بما فيه فهو شافع له، ومن ترك العمل به نَمَّ على إساءته وصدق عليه فيما يَرْفَع من مَساويه.

هِدَايَةٍ في المقَامِ الأَوَّلِ، فَهَذا الكِتَابُ الكَرِيمُ فِيهِ مِنَ الهِدَايَةِ مَا يَكْفِي الكَوْنَ كُلَّهُ وَيَزِيدُ.

وَهَا هُوَ الفَارُوقُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ(1): أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُم ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بهِ آخَرِينَ» وَقَالَ اللهُ في عَابدِ بَني إِسْرَائِيلَ بلْعَامِ بنِ بَاعُورَاء: وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا [الأعراف:176] فَاللَّهُمَّ فَاجْعَلْنَا جَمِيعًا مِنْ أَهْلِ القُرْءَانِ؛ أَهْلِ اللهِ وَخَاصَّتِهِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(2): «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟! قَالَ: هُمْ أَهْلُ القُرْءَانِ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ» إِنَّكَ وَلِيُّ ذلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيْهِ.

(1) (صحيح): أحمد 233، مسلم 817، ابن ماجة 218.
(2) (صحيح): ابن ماجة 215، صحيح الجامع 2165.

النَّصِيحَةُ الحَادِيَةَ عَشْرَةَ: اشْتَرِ بِمَالِكَ رِضَا المِسْكِينِ وَحُبَّ اليَتِيمِ

مَا سُئِلَ النّبيُّ ﷺشَيْئًا قَطُّ فَقَالَ(1): لاَ.. فَعلَّمَ الصّحَابَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أَجْمَعِينَ- وَعَلَّمَنَا كَيْفَ نُنْفِقُ وَقْتَ العُسْرَةِ وَالأَزْمَةِ؛ فَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيّ قَالَ(2): إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ: «مَنْ يُنْفِقُ نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً -وَالنَّاسُ مُجْهَدُونَ مُعْسِرُون- فَجَهَّزْ عُثْمَانُ ذَلِكَ الْجَيْشَ» فَلَمْ يَكُنْ ﷺ يَتَوَانَى عَنْ نُصْحِ صَحْبهِ الكِرَامِ فِي وَدَفْعِهِم لِلخَيْرِ دَفْعًا، وَحَثِّهِم عَلَى بَذْلِ الطَّاعَةِ الَّتِى تُبْعِدُهُمْ عَنِ كُلِّ شَرّ.

وَعَلَّمَنَا رَسُولُنَا ﷺ كَيْفَ إِذَا تَصَدَّقنَا أَبْقَيْنَا خَيرًا لأَنفُسِنَا! عَنْ عَمْرِو بْنِ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: إِنَّ سَائِلاً وَقَفَ عَلَى بَابِهِمْ فَقَالَتْ لَهُ جَدَّتُهُ حَوَّاءُ: أَطْعِمُوهُ تَمْرًا، قَالُوا: لَيْسَ عِنْدَنَا، قَالَتْ: فَاسْقُوهُ سَوِيقًا، قَالُوا: العَجَبُ لَكِ! نَسْتَطِيعُ أَنْ نُطْعِمَهُ مَا لَيْسَ عِنْدَنَا، قَالَتْ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ (3): « لا تَرُدَّ سَائِلَك وَلَوْ بِظِلْفٍ مُحْرَقٍ(4)».

فَيَا أَيُّهَا الحَبِيبُ نِعْمَ المالُ الصَّالِحُ لِلعَبْدِ الصَّالِحِ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ (5): «يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي مَالِي، قَالَ: وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ يَقُولُ عَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّ النَّبيَّ ﷺقَالَ(6): «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ الْخَفِيَّ».

---

(1) (صحيح): البخارى 6034، مسلم 2311.
(2) (صحيح): أحمد 513، الترمذى 3609، صحيح سنن الترمذى 625/5.
(3) (صحيح): أحمد 26905، صحيح الترغيب والترهيب (1/ 884).
(4) الظلف: لِلْبَقَرِ وَالْغَنَمِ بِمَنْزِلَةِ الْحَافِرِ لِلْفَرَسِ.
(5) (صحيح): أحمد 15870، مسلم 2958، الترمذى 2342.
(6) (صحيح): مسلم 2965.

فَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ كَفَّ فَكَّهُ (حَسَنُ الصَّمْتِ وَالكَلاَمِ)، وَفَكَّ كَفَّهُ (كَرِيم)، أَمَّا شَرُّ النَّاسِ: مَنْ كَفَّ كَفَّهُ (بَخِيل)، وَفَكَّ فَكَّهُ (سَلِيطُ اللِّسَانِ) فَهَلْ اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ أَحَدَ هَؤُلاءِ؟! وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّدَقَةَ الأَوْلَى بِهَا الأَقْرَبُونَ، فَهُمُ الأَوْلَى بِالمَعْرُوفِ، فَالصَّدَقَةُ عَلَى القَرِيبِ صَدَقَةٌ وَصِلَةُ رَحِمٍ، أَمَّا عَلَى غَيْرِهِ فَهِيَ صَدَقَةٌ، وَثوَابُ الاثْنَتَيْنِ عَظِيمٌ؛ فَتَصَدَّقْ تُرْزَقْ؛ تُرْزَقْ خَيْرًا أَوْ صِحَّةً أَوْ مَالاً أَوْ بَرَكَةً أَوْ وَلَدًا صَالِحًا أَوْ فَهْمًا صَحِيحًا أَوْ يَقِينًا صَادِقًا، أَوْ تُرْزَقْ كُلَّ هَذِهِ الأَشْيَاءِ مَعًا؛ فَخَزَائِنُ رَبِّكَ لاَ تَنْفَدْ.

وَاحْرِصْ أَشَدَّ الحِرْصِ أَنْ تَكُونَ صَدَقَتُكَ مِنْ مَالٍ حَلالٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «لا يَقْبَلُ اللهُ صَلاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ وَلا صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ» بَلْ إِنَّ المنْفِقِينَ أَمْوَالَهُم في سَبِيلِ اللهِ وَعَدَهُم رَبُّهُم بِخَيْرٍ عَظِيمٍ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ۝٣٠﴾ [فاطر:29-30] فَالإِنْفَاقُ صِفَةٌ حَمِيدَةٌ يَجِبُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا المُؤْمِنُ، فَأَنْفِقْ؛ قَبْلَ أَنْ يَأتِيَ يَوْمٌ عَظِيمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ، فَكُلُّ يَوْمٍ يَمُرُّ مِنْ دُنْيَاكَ يُقَرِّبُكَ مِنْهُ، وَاعْتَبِرْ بِمَنْ يَمُوتُونَ مِنْ حَوْلِكَ، وَيَتْرُكُونَ أَمْوَالَهُم.

فَالبُخْلُ بِالمَالِ المَوْجُودِ سُوءُ ظَنٍّ بِاللهِ الرَّزَّاقِ المعْبُودِ؛ فَلاَ يَقْلَقُ وَلاَ يَخَافُ مَنْ كَانَ لَهُ أَبٌ، فَكَيْفَ يَقْلَقُ وَيَخَافُ مَنْ كَانَ لَهُ رَبٌّ، وَفَقَدَ الأَبَ؟!!.

(1) (صحيح): أحمد 20185، صحيح الجامع 7746.

هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ مَنْ فَقَدَ أُمَّهُ فَهُوَ (يَتِيمٌ) وَمَنْ فقَدَ أَبَاهُ فَهُوَ (عَجِيٌّ) وَمَنْ فَقَدَ أَبَوَيْهِ فَهُوَ (لَطِيمٌ)؛ فَاليَتِيمُ هُوَ مَنْ فَقَدَ مَنْ يحِبُّهُ، فَقَدَ سَنَدَهُ وَظَهْرَهُ في الحَيَاةِ، فَقَدَ مَنْ يُدَافِعُ عَنْهُ، فَقَدَ مَنْ يحْمِيهِ مِنْ مَصَائِبِ الدّنيَا، فَقَدَ قَلْبًا رَحِيمًا وَعَقْلاً كَبيرًا، فَقَدَ أَبَاهُ الّذِي كَانَ يُؤْوِيهِ، فَقَدَ مَنْ يُقَرّبُهُ، وَيُنْفِقُ عَلَيْهِ وَيَحْتَوِيهِ، فَقَدَ الوَحِيدَ عَلى ظَهْرِ الأَرْضِ الّذِي يَرْجُو اللهَ بصِدْقٍ أَنْ يَكُونَ وَلَدُهُ هَذا خَيْرًا مِنْهُ، فَقَدَ مَنْ إذا أَصَابَهُ الزّمَانُ لَجَأَ إِلَيْهِ لِيُخَفّفَ عَنْهُ، وَلاَذ بِهِ لِيَحْمِيَهُ، فَقَدَ حَبيبًا وَمُعِينًا وَنَصِيرًا، الآنَ يُوَاجهُ الحَيَاةَ مجَرَّدًا مِنَ الأَبِ وَالمعِينِ وَالسّنَدِ وَالنّصِيرِ!! وَلَقَدْ كَرَّمَ اللهُ كُلَّ يَتِيمٍ في شَخْصِ رَسُولِ اللهِ محَمَّدٍ ﷺ فَقَالَ اللهُ مُقْسِمًا: وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ [الضحى:1-8] نلاَحِظُ حَذْفَ

المفعُولِ بهِ مِنَ الفِعْلِ (آوَى) وَلَمْ يَقُلْ آوَاكَ، وَذلِكَ لِعُمُومِ الكَلاَمِ؛ أَيْ: آوَاكَ وَآوَى كُلَّ يَتِيمٍ مِثْلَكَ أَوْ آوَاكَ وَآوَى النّاسَ إِلَيْكَ، وَكَذا (فَأَغْنَى)، أَيْ: أَغْنَاكَ بَعِيدًا عَنْ سُؤَالِ النَّاسِ وَمَذَلَّتِهِمْ وَأَنْتَ يَتِيمٌ، بَلْ وَأَغْنَى النّاسَ بكَ، وَأَغْنَى كُلَّ فَقِيرٍ مِثْلِكَ سَارَ عَلَى دَرْبِكَ، وَاهْتَدَى بهَدْيِكَ، (فَهَدَى)، أَيْ: هَدَاكَ وَهَدَى النّاسَ بكَ، وَهَدَى النّاسَ إِلَيْكَ فَمَا الّذِي جَمَعَ لِرَسُولِ اللهِ قُلُوبَ سَلْمَانَ الفَارِسِيّ وَعُمَرَ القُرَشِيّ وَصُهَيْبِ الرُّومِيّ وَبِلاَلِ الحَبَشِيّ وَأَبِي ذَرّ الغِفَارِيّ وَعَمْرِو بنِ الطُّفَيْلِ الدّوْسِيّ؛ وَهُمْ مِنْ أَعْرَاقٍ شَتَّى وَبِلاَدٍ مُتَعَدّدَةٍ؟! إِنَّهُ اللهُ؛ فَصَارَ هَذا الأُمّيُّ أُمَّةً وَحْدَهُ، فَهَدَى اللهُ عَلَى يَدَيْهِ أُمَّتَهُ، وَهَدَى اللهُ عَلَى يَدَيْ أُمَّتِهِ أُمَمًا عَدِيدَة.

لَيْسَ اليَتِيمُ مِنِ انْتَهَى أَبَوَاهُ		مِنَ الحَيَاةِ وَخَلَّفَاهُ ذَلِيلا
إِنَّ اليَتِيمَ مَنْ يَلْقَى لَهُ		أُمًّا تَخَلَّتْ وَأَبًا مَشْغُولا

وَمِنْ عَجَائِبِ الأَقْدَارِ أَنْ أَصْحَابَ الرّسَالاَتِ السَّمَاوِيَّةِ الثّلاَث وَهُمْ صَفْوَةُ البَشَرِ وَخَيْرُ الأَنْبيَاءِ سَيّدُنا محَمَّدٌ ﷺ وَسَيّدُنَا مُوسَى ﷺ وَسَيِّدُناَ عِيسَى ﷺ وَاجَهُوا أَعْبَاءَ الحَيَاةِ بلاَ أَبٍ؛ حَتَّى لاَ يَقُولُوا: يَا أَبي، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ: يَا رَبّ؛ فَعَنْ بَشِيرِ بْنِ عَقْرَبَةَ الجُهَنِيِّ قَالَ: «لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ أَبِي؟ قَالَ: اسْتُشْهِدَ، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ فَبَكَيْتُ، فَأَخَذَنِي فَمَسَحَ رَأْسِي، وَحَمَلَنِي مَعَهُ وَقَالَ: « أَمَا تَرْضَى أَنْ أَكُونَ أَنَا أَبُوكَ وَتَكُونَ عَائِشَةُ أُمَّكَ؟»» نحْنُ أُمَّةٌ؛ يَكْفُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيَرْحَمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَالَّذِينَ أَسْعَدَهُمُ اللهُ حقيقةً أَسْعَدَهُم بِقَضَاءِ حَوَائِجِ العِبَادِ؛ فَأَغَاثُوا مَلْهُوفَهُم، وَأَحْسَنُوا إِلى مُحْتَاجِهِم، وَرَحِمُوا صِغَارَهُمْ؛ وَسَعَوا عَلَى فُقَرَائِهِمْ وَأَيْتَامِهِم.

النَّصِيحَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: هَلْ تَعْرِفُ حُقُوقَ أَخِيكَ المسْلِمِ عَلَيْكَ؟!

بَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺفي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ حُقُوقَ المسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ فَقَالَﷺ : «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ؛ قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ» فَحُكْمُ هَذِهِ الحُقُوقِ وَاحِدٌ، وَالجَزَاءُ عَلَيْهَا وَاحِدٌ، وَفِيهَا حِرْصُ النَّبِيِّ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ المسْلِمُ الخَيْرَاتِ كُلَّهَا مَعَ أَخِيهِ، وَلاَ يَظْلِمهُ، وَإِلَيْكَ بَيَانًا لَهَا:

الحَقُّ الأَوَّلُ: السَّلاَمُ عَلَيْهِ:

إِذَا قَابَلَكَ أَخُوكَ فَحَيِّهِ بِتَحِيَّةِ الإِسْلاَمِ، وَهِيَ السّلاَمُ عَلَيْكُمْ؛ لِتَحْصُلَ عَلَى عَشْرِ حَسَنَاتٍ، فَإِذَا الْتَزَمَ أَخُوكَ بِقَوْلِ رَبِّهِ وَحَيَّاكَ بِأَحْسَنَ مِنْهَا: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾[النساء:86] فَقَدْ حَصَلَ عَلَى ثَلاَثِينَ حَسَنَةً بِرَدِّهِ عَلَيْكَ التَّحِيَّةَ؛ وَهِيَ وَعَلَيْكُمُ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ(1)،

فَعَنْ أَبِي رَجَاءٍ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلى النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «عَشْرٌ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: عِشْرُونَ ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: ثَلاثُونَ» فَانْظُرْ إِلى كَثْرَةِ الحَسَنَاتِ فَانْهَلْ مِنْهَا؛ فَيَوْمَ القِيَامَةِ سَنَشْكُو قِلَّةَ الحَسَنَاتِ؛ وَلاَ تُحَيِّهِ بِقَوْلِكَ: صَبَاحُ الخَيْرِ أَوْ مَسَاءُ الخَيْرِ فَهَذِهِ تَحِيَّةٌ لاَ خَيْرَ فِيهَا، وَلَيْسَتْ تَحِيَّةَ الإِسْلاَمِ، فَتَحِيَّةُ الإِسْلاَمِ هِيَ تَحِيَّةُ أَهْلِ الجَنَّةِ،

(1) لأخينا الشيخ/ عبد الباقي سالم حافظ رسالة قيمة في التحية بعنوان: (فضل وأحكام تحية الإسلام) مكتبة الإيمان بالمنصورة، فَارْجِعْ إِلَيْهَا إن أردت التَّوسُّع.

قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾ [الأحزاب:44] وَهِيَ تَحِيَّةُ الملائِكَةِ وَالأَنْبِيَاءِ:

﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ [هود:69] فَتَحِيَّةُ أَهْلِ الإِسْلاَمِ السَّلاَمُ؛ فَعَنْ

أَبِي تَمِيمَةَ الهُجَيْمِيِّ، عَنْ رَجُلٍ، مِنْ قَوْمِهِ قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا لَقِيَ الرَّجُلُ أَخَاهُ المُسْلِمَ فَلْيَقُلْ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ» بَلْ مِنْ مُوجِبَاتِ المغْفِرَةِ بَذْلُ السّلاَمِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنَّ مُوجِبَاتِ المغْفِرَةِ بَذْلَ السّلاَمِ وَحُسْنَ الكَلاَمِ» قَالَ أبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق: أَمَا تَرَى مَا يُصِيبُ القَوْمُ عَلَيْكَ مِنَ الفَضْلِ، لا يَسْبقْكَ إِلى السَّلامِ أَحَدٌ، أي: بَادِرْ أَخَاكَ بالسَّلاَمِ لِتَفُوزَ بالأَجْرِ، فَكُنْ سَبَّاقًا إِلى ذلِكَ!.

عِنْدَمَا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ المدِينَةَ المنَوَّرَة، وَاسْتَقَرَّ بِهِ المقَامُ هُنَاكَ قَالَ هَذَا الحَدِيثَ المَاتِعَ؛ بَلْ إِنْ شِئْتَ فَقُلْ: أَوَّلُ بَيَانٍ إِلى الدُّنيَا كُلِّهَا أَطْلَقَهُ في سَمْعِ الزَّمَانِ وَبَصَرِهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَيُّهَا النَّاسُ؛ أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ» وَلَقَدْ حَذَّرَنَا رَسُولُ اللهِ مِنْ هجْرَانِ الأَخِ فَوْقَ ثَلاثٍ

فَقَالَ ﷺ: «لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلامِ(»

يَا هَاجِرِي فَوْقَ الثَّلاَثِ بِلاَ سَبَبٍ		خَالَفْتَ شَرْعَ المصْطَفَى أَزْكَى العَرَبِ
هَجْرُ الفَتَى فَوْقَ الثَّلاَثِ مُحَرَّمٌ		مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ لِمَوْلاَنَا سَبَبٌ

الحَقُّ الثَّانِي: إِجَابَةُ دَعْوَتِهِ:

إِذَا دَعَاكَ أَخُوكَ فَأَجِبْهُ، حَتَّى لَوْ دَعَاكَ إِلى شَيْءٍ يَسِيرٍ مُتَوَاضِعٍ؛ فَهَذَا الأَمْرُ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبيِّ قَالَ ﷺ (1): «لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ(2)» وَهَذا مِنْ حُسْنِ أَدَبِ النّبيِّ ﷺ، فَكَانَ يُجِيبُ هَؤُلاَءِ البُسَطَاءَ الفُقَرَاءَ جَبْرًا لِخَاطِرِهِم وَتَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمُ المنْكَسِرَةِ؛ وَكَذَلِكَ يَجِبُ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في الحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ ﷺ (3): «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ؛ لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ(4)» فَإِجَابَةُ دَعْوَتِهِ زِيَادَةٌ في حُبِّهِ؛ لِذَا أَتَى الأَمْرُ مِنْ رَسُولِ اللهِ بِالإِجَابَةِ؛ لأَنَّ إِجَابَةَ الدَّعْوَةِ تَأْلِيفٌ لِقَلْبِ أَخِيكَ، وَلاَ عُذْرَ في عَدَمِ إِجَابَةِ الدَّعْوَةِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ في مَكَانَ الدَّعْوَةِ خَمْرٌ أَوْ فُحْشٌ أَوْ أَوَانِي فِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ مَا شَابَهَ ذَلِكَ مِنَ المحَرَّمَاتِ؛ فَحِينَئِذٍ لاَ يُجِيبُ الدَّعْوَةَ، وَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَدْعُ لأَخِيهِ، وَمَنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (5): «إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ» فَلْيُصَلِّ: فَلْيَدْعُ لأَهْلِ الطَّعَامِ بِالمغْفِرَةِ وَالبَرَكَةِ؛ لأَنَّ الصَّائِمَ لاَ يَجِبُ عَلَيْهِ الأَكْلُ, لَكِنْ إِنْ كَانَ صَوْمُهُ فَرْضًا لَمْ يَجُزْ لَهُ الأَكْلُ؛ لأَنَّ الفَرْضَ لاَ يَجُوزُ الخُرُوجُ مِنْهُ, وَإِنْ كَانَ نَفْلاً جَازَ الفِطْرُ وَتَرْكُهُ، فَإِنْ كَانَ يَشُقُّ عَلَى صَاحِبِ الطَّعَامِ صَوْمُهُ فَالأَفْضَلُ الفِطْرُ, وَإِلاَّ فَإِتْمَامُ الصَّوْمِ.

---

(1) (صحيح): أحمد 9201، البخاري 5178.
(2) كراع الشاة: ما نُسمِّيه نحن ب (الكوارع)، وكان لا يأكلها إلا فقراء المسلمين.
(3) (صحيح): البخاري 2566، مسلم 1030.
(4) الفِرْسِن: موضع الحافر، ولم تَجْرِ العادة بإهدائه، ولكنه ذُكِرَ؛ للمبالغة في الشَّيْء اليسير؛ ولإنبات المودة وإذهاب الضغينة؛ فالكثير قد لا يَتَيَسَّرُ.
(5) (صحيح): مسلم 1431.

الحَقُّ الثَّالِثُ: النُّصْحُ لَهُ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (1): «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» وَهَذَا القَوْلُ الموجَزُ كَقَوْلِهِم مَثَلاً: النَّاسُ بَنُو تَمِيمٍ، أَيْ: إِنَّهُم أَفْضَلُ النَّاسِ، أَوْ أَكْثَرُهُم عَدَدًا، وَالمَالُ الإِبِلُ، أَيْ: أَنَّ الإِبِلَ أَفْضَلُ أَنْوَاعِ المَالِ، وَكَقَوْلِهِ ﷺ(2): «الحجُّ عَرَفَةُ» يُرِيدُ: أَنَّ مُعْظَمَ الحجِّ الوُقُوفُ بِعَرَفَةَ؛ وَذَلِكَ لأَنَّهُ إِذَا أَدْرَكَ الحَاجُّ عَرَفَةَ فَقَدْ أَمِنَ فَوَاتَ الحجِّ؛ فَعَلَيْكَ أَنْ تَنْصَحَ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المسْلِمِينَ؛ فَالنُّصْحُ للهِ الإِيمَانُ بِهِ وَإِخْلاَصُ العَمَلِ لَهُ وَالجِهَادُ في سَبِيلِهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ تَصْدِيقُهُ وَاتِّبَاعُ سُنَّتِهِ وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهَا، أَمَّا النُّصْحُ لِلْمُسْلِمِ -وَهَذَا هُوَ شَاهِدُنَا- طَاعَتُهُ في المعْرُوفِ وَمُسَاعَدَتُهُ وَإِرْشَادُهُ فِيمَا أَخْطَأَ وَتُذَكِّرُهُ إِذَا نَسِيَ وَتَعْلِيمُهُ مَا يَنْفَعُهُ في دِينِهِ وَدُنْيَاهُ.. إلخ؛ فَاللهُ خَلَّدَ نَمْلَةً في القُرْءَان؛ لأَنَّهَا نَصَحَتْ قَوْمَهَا، فَحَذَّرَتْ وَخَصَّصَتْ وَعَمَّمَتْ كَمَا في قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل:18].

(1) (صحيح): مسلم 55، أبو داود 4944، النسائي 4197.
(2) (صحيح): الترمذي889، أبو داود 1949، صحيح الجامع 3172.

وَإِلَيْكَ هَذِهِ القِصَّةَ؛ لِتَعْلَمَ أَنَّ الصَّدِيقَ مِنَ الممْكِنِ أَنْ يُهْلِكَ صَدِيقَهُ؛ عُقْبَةُ بنُ أَبِي مُعيطٍ.. لَمْ يَتَجَرَّأْ مُشْرِكٌ قَط مِثْلَمَا تَجَرَّأَ هَذَا المشْرِكُ عَلَى النَّبِيِّ فَأَرَادَ أَنْ يَقْتُلَهُ لَوْلاَ لُطْفُ اللهِ ﷻ ثُمَّ وُجُودُ الصّدّيقِ، وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ رَوَثَ الحَيَوَانَاتِ وَهُوَ سَاجِدٌ للهِ العَلِيِّ الكَرِيمِ، هَذَا الرَّجُلُ صَفَا قَلْبُهُ لِلَحَظَاتٍ مَعْدُودَةٍ؛ فَقَرَأَ عَلَيْهِ النَّبيُّ القُرْءَان فَمَسَّ الإِيمَانُ قَلْبَهُ فَأَسْلَمَ أَمَامَ النَّبِيِّ وَنَطَقَ الشّهَادَةَ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى صَدِيقِهِ وَخَلِيلِهِ أُبَيِّ بنِ خَلَفٍ وَأَخْبَرَهُ الخَبَرَ، فَقَالَ: مِنَ الآنَ اخْتَرْ؛ إِمَّا أَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِ مُحَمَّدٍ وَإِمَّا صَدَاقَتِي وَدِينَ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا، فَقَالَ: لاَ بَلْ صَدَاقَتَكَ، وَكَفَرَ بِاللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ في شَأْنِهِ قُرْآنًا، وَوَصَفَهُ اللهُ بِالظَّالِمِ؛ لأَنَّهُ أَشْرَكَ بَعْدَ تَوْحِيدٍ، وَكَفَرَ بَعْدَ إِيمَانٍ، وَصَدَقَ اللهُ إِذْ يَقُولُ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ٢٨﴾ [الفرقان:27-29].

فَانْظُرْ إِلى فِعْلِ الصّدِيقِ في صَدِيقِهِ، وَانْظُرْ في نَفْسِكَ مَنْ تُصَادِقُ؟! يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِطُ، وَقَالَ مُؤَمَّلٌ: مَنْ يُخَالِلُ» فَالإِنْسَانُ مِنَّا يَتَعَلَّمُ مِنَ الحَيَوَانِ وَيَتَأَثَّرُ بِهِ.. فَمَا بَالُكَ بِصَدِيقِهِ؟! فَلا تُصَاحِبْ إِلاَّ تَقِيًّا مُؤْمِنًا، وَاجْعَلْ حُبَّكَ أَخَاكَ -دَائِمًا- للهِ وَبُغْضَكَ إِيَّاهُ للهِ، لِذَا عِنْدمَا أَقُولُ لَكَ: أَنَا أُحِبُّكَ في اللهِ، أَيْ: أُحِبُّكَ؛ لِصِفَاتِكَ وَأَفْعَالِكَ الحَسَنَةِ الَّتِي تُقَرِّبُكَ مِنْ رَبِّكَ، وَكَذَا قَوْلِي لكَ: أُبْغِضُكَ في اللهِ، أَيْ: أُبْغِضُكَ؛ لِصِفَاتِكَ وَأَفْعَالِكَ السَّيِّئَةِ الَّتِي تُبْعِدُكَ عَنْ طَرِيقِ اللهِ.

إذا لَم أَجِد خِلاًّ تَقِيّاً فَوِحدَتي		أَلَذُّ وَأَشهى مِن غَوِيٍّ أُعاشِرُه(1)
وَأَجلِسُ وَحدي لِلعِبادَةِ آمِنًا		أَقَرُّ لِعَيني مِن جَليسٍ أُحاذِرُه

الحَقُّ الرَّابِعُ: تَشْمِيتُهُ:

مُجَرَّدُ أَنْ تَعْطِسَ فَهَذَا الأَمْرُ -وَالَّذِي يَظُنُّهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَمْرًا بَسِيطًا- رَحْمَةٌ بِكَ، فَأَنْتَ -بِفَضْلِ اللهِ عَلَيْكَ- تَطْرُدُ مَيْكُروبَاتٍ مُتَعَدّدَةً لَوْ ظَلَّتْ بِدَاخِلِكَ لَقَتَلَتْكَ، أَوْ سَبَّبَتْ لَكَ آلامًا شَدِيدَةً؛ لِذَا عِنْدَمَا عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا، وَلَمْ يُشَمِّتْ الآخَرَ، فَقِيلَ لَهُ: فَقَالَ ﷺ هَذَا حَمَدَ اللهَ، وَهَذَا لَمْ يَحْمَدِ اللهِ» فَاحْمَدِ اللهَ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- بَعْدَ عَطْسِكَ، وَعَلَى أَخِيكَ أَنْ يُشَمِّتَكَ، أَيْ: أَنْ يَقُولَ لَكَ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَيَكُون رَدُّكَ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُم، فَاللَّهُمَّ اهْدِنَا وَأَصْلِحْ بَالَنَا.

الحَقُّ الخَامِسُ: زِيَارَتُهُ عِنْدَ مَرَضِهِ:

وَأهِيبُ بِإِخْوَانِنَا أَنْ يَحْرِصُوا عَلَى زِيَارَةِ إِخْوَانِهِمْ وَأَهْلِيهِمُ المَرْضَى قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِم، فَسَيَجِدُونَ عِنْدَهُمْ رَبَّ العَالَمِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ؛ حَتَّى لاَ يُعَاتِبَهُمْ رَبُّهُمْ، كَمَا وَرَدَ في الحَدِيثِ القُدْسِيِّ الطَّوِيلِ وَشَاهِدُنَا فِيهِ قَوْلُ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(2): «يَا ابْنَ آدَمَ: مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؛ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ .. (3)».

---

(1) الشافعى: 150- 204هـ.
(2) (صحيح): مسلم 2569، أحمد 8989.
(3) قال الله في السقيا والإطعام: لوجدت ذلك عندي، وقال في الزيارة والعيادة: لوجدتني عنده؛ لأنّكَ إن لم تطعم أخاك أو تسقه فهناك من يطعمه ويسقيه، أما إذا لم يشفه الله تعالى فمن سيشفيه إذاً؟!

انْظُرْ إلى مَعِيَّةِ اللهِ عِنْدَ المرِيضِ، بَلْ لَكَ أَيْضًا فَضْلٌ عَظِيمٌ آخَرُ حَيْثُ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ(1): «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مَشَى في خِرَافَةِ الْجَنَّةِ(2)؛ حَتَّى يَجْلِسَ، فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ؛ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ؛ حَتَّى يُصْبِحَ» وَانْظُرْ إِلى ثَوَابٍ آخَرَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3): «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ في اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ:أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنْ الْجَنَّةِ مَنْزِلا».

الحَقُّ السَّادِسُ: اتِّبَاعُهُ عِنْدَ مَوْتِهِ:

بِدَايَةً سَلْ نَفْسَكَ أَيُّهَا الحَبِيبُ: لِمَاذَا خَرَجْتَ قَاصِدًا الجِنَازَةَ؟! الإِجَابَةُ بِإِيجَازٍ: إِرْضَاءً للهِ؛ وَسَيْرًا عَلَى نَهْجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِعْطَاءَ أَخِيكَ حَقَّهُ عَلَيْكَ؛ ثُمَّ طَلَبًا لِلثَّوَابِ الكَرِيمِ الَّذِي وَعَدَكَ بِهِ نَبِيُّكَ الأَمِينُ، فَمَثَلاً اتِّبَاعُ الجَنَازَةِ، وَالصَّلاةُ عَلَيْهَا لَهُمَا أَجْرَانِ عَظِيمَانِ؛ فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ا قَالَ(4): قَالَ ﷺ : «مَنْ صَلَّى عَلَى جِنَازَةٍ فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنِ انْتَظَرَ حَتَّى يُفْرَغَ مِنْهَا فَلَهُ قِيرَاطَانِ، قَالُوا: وَمَا القِيرَاطَانِ، قَالَ: مِثْلُ الْجَبَلَيْنِ» قَالَ الفَارُوقُ عُمَرُ بَعْدَهَا: لَقَدْ فَرَّطْنَا في قَرَارِيطَ كَثِيرَةٍ، كُلُّ هَذَا الثَّوَابُ يُحْرَمُ بَعْضُنَا مِنْهُ، إِمَّا جَاهِلاً بِهِ وَإِمَّا عَامِدًا إِلَيْهِ! فَلِمَاذَا لاَ نُحَافِظُ عَلَى تَعَالِيمِ نَبِيِّنَا؟!.

(1) (صحيح): أحمد 613، البخارى 5615، الترمذى 969.
(2) خرافة أو خريف: ثمار عظيمة من ثمار الجنة يخرفها ويجتنيها ويأكلها.
(3) (صحيح): أحمد 8331، صحيح الجامع 6387.
(4) (صحيح): البخارى 47، مسلم 945.

وَمِنْ هَدْيِ النَّبيِّ ﷺ عِنْدَ إِغْلاقِ القَبْرِ الوُقُوفُ عِنْدَ القَبْرِ وَالدُّعَاءُ بِإِخْلاصٍ لِلمُتَوَفَّى، فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ الْمَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ فَقَالَ(1): «اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ، وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ» قَالَ الطِّيْبِي: أَيْ: قُولُوا ثَبَّتَهُ اللهُ بِالقَوْلِ الثَّابِتِ، وَاطْلُبُوا لَهُ مِنَ اللهِ -تَعَالى- أَنْ يُثَبِّتَ لِسَانَهُ وَيُوَفِّقَهُ لِجَوَابِ المَلَكَيْنِ(2)؛ فَأَحْيُوا سُنَّةَ نَبِيِّكُمُ الكَرِيمِ ﷺ، ثُمَّ يَأْتِي دَوْرُ التَّعْزِيَةِ بَعْدَ ذَلِكَ؛ بَعْدَ أَنْ أَدَّيْتَ حَقَّ أَخِيكَ المتَوَفَّى؛ وَالحَمْدُ للهِ، فَهَذَا دَوْرُ أَهْلِهِ؛ فَالعَزَاءُ: الصَّبْرُ، وَالتَّعْزِيَةُ التَّصْبِيرُ وَالحَمْلُ عَلَى الصَّبْرِ بِذِكْرِ مَا يُخَفِّفُ الحُزْنَ وَيُهوِّنُ عَلَيْهِ مُصِيبَتَهُ.

فَعَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ(3): «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزِّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إِلا كَسَاهُ اللهُ – سُبْحَانَهُ- مِنْ حُلَلِ الْكَرَامَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَتَكُونُ التَّعْزِيَةُ بِالكَلِمَاتِ الحَسَنَةِ الَّتي تُخَفِّفُ هَذِهِ المصِيبَةِ.

وَذَكِّرْهُمْ بِمَوْتِ النَّبيِّ حَيْثُ افْتَقَدَهُ أَصْحَابُهُ وَأُمَّتُهُ؛ فَافتَقَدُوا مَنْ كَانَ في حَيَاتِهِم مِلْءَ السَّمْعِ وَالبَصَرَ؛ لِذَلِكَ إِذَا أُصِبْتَ -أَيُّهَا الحَبِيبُ- بِمُصِيبَةٍ فَتَعَزَّى بِفَقْدِ النَّبيِّ عَلَيْهَا ﷺ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (4): «إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمْ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي؛ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ» نَعَمْ.. فَإِنَّكَ لَنْ تُصَابَ بِفَقْدِ أَعَزَّ مِنْهُ.

---

(1) (صحيح): أبو داود 3221، صحيح الجامع 4760.
(2) كما فى فيض القدير للمناوى.
(3) (حسن): ابن ماجة1601، صحيح الجامع 5752.
(4) (صحيح): الدارمى 84، صحيح الجامع 347.

النَّصِيحَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ:

ارْقِ نَفْسَكَ إِذا أَحْسَسْتَ بِأَلَمٍ قَبْلَ الذّهَابِ إِلى الطّبيبِ

الرُّقْيَةُ الشّرْعِيَّةُ عِلاَجٌ قُرْآنِيٌّ ونَبَوِيٌّ فَعَّالٌ جدًّا وَالنّاسُ في غَفْلَةٍ عَنْهُ.

أَهَمِيَّةُ الرُّقْيَةِ:

الرُّقْيَةُ الشّرْعِيَّةُ مِنَ الأَهَمِيَّةِ بِمَكَانٍ؛ فَمِنْ أَعْظَمِ الطّاعَاتِ تِلاوَةُ القُرْءَان لَيْلَ نهَارَ، فَالقُرْءَان شِفَاءٌ لِلأمْرَاضِ المعْنَوِيَّةِ كَالحَسَدِ وَالغِلّ وَالحَقْدِ وَأَمْرَاضِ القُلُوبِ وَأَمْرَاضِ المَسّ بالجَانِّ؛ وَلاَ أَكُونُ مُبَالِغًا إذا قُلْتُ: إنّ القُرْءَانَ شِفَاءٌ مِنَ الأَمْرَاضِ الحِسّيّةِ أَيْضًا، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ انْطَلَقُوا في سَفْرَةٍ سَافَرُوهَا حَتَّى نَزَلُوا بِحَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ فَاسْتَضَافُوهُمْ فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمْ، فَلُدِغَ سَيِّدُ ذَلِكَ الحَيِّ، فَسَعَوْا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ أَتَيْتُمْ هَؤُلاَءِ الرَّهْطَ الَّذِينَ قَدْ نَزَلُوا بِكُمْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ فَأَتَوْهُمْ فَقَالُوا: يَا أَيُّهَا الرَّهْطُ؛ إِنَّ سَيِّدَنَا لُدِغَ فَسَعَيْنَا لَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ لاَ يَنْفَعُهُ شَيْءٌ، فَهَلْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ شَيْءٌ؟! فَقَالَ بَعْضُهُمْ: نَعَمْ وَاللهِ إِنّي لَرَاقٍ، وَلَكِنْ وَاللهِ لَقَدِ اسْتَضَفْنَاكُمْ فَلَمْ تُضَيِّفُونَا، فَمَا أَنَا بِرَاقٍ لَكُمْ حَتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلاً! فَصَالَحُوهُمْ عَلَى قَطِيعٍ مِنَ الغَنَمِ فَانْطَلَقَ

فَجَعَلَ يَتْفُلُ وَيَقْرَأُ: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ حَتَّى لَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي مَا بِهِ قَلَبَةٌ، قَالَ: فَأَوْفَوْهُمْ جُعْلَهُمُ الَّذِي صَالَحُوهُمْ عَلَيْهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اقْسِمُوا، فَقَالَ الَّذِي رَقَى: لاَ تَفْعَلُوا حَتَّى نَأْتِيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَنَذْكُرَ لَهُ الَّذِي كَانَ فَنَنْظُرَ مَا يَأْمُرُنَا، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرُوا لَهُ فَقَالَ ﷺ (1): «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ أَصَبْتُمُ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي مَعَكُمْ بِسَهْمٍ».

(1) (صحيح): البخاري 5749، مسلم 2201.

وَإنّ كَثيرًا مِنَ المسْلِمِينَ في غَفْلَةٍ عَن هَذِهِ الرّقْيَةِ النّبَوِيَّةِ المبَارَكَةِ، فَالقُرْءَان كُلُّهُ بَرَكَةٌ وَشِفَاءٌ وَبخَاصَّةٍ سُورَةُ البَقَرَة، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا [الإسراء:82].

وَلْيَكُنْ ظَنُّكَ حَسَنًا برَبّكَ، وَلَدَيْكَ اليَقِينُ فِي اللهِ أنّهُ سَيَشْفِيكَ بمَشيئَتِهِ تَعَالَى، أَلَمْ يَقُلْ رَبُّكَ -جَلَّ وَعَلاَ- حِكَايَةً عَلَى لِسَانِ نَبيّهِ إبْرَاهِيم عَلَيْهِ السّلاَمُ: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ [الشعراء:80].

فَالشَّافِي وَالطَّبِيبُ هُوَ اللهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (1): «اللهُ الطَّبِيْبُ».

وَقَبلَكَ دَاوَى المَرِيضَ الطَّبيبُ		فَعاشَ المَرِيضُ وَماتَ الطَّبيب(2)
فَكُن مُستَعِدّاً لِداعي الفَنَاءِ		فَإِنَّ الَّذي هُوَ آتٍ قَريب

(1) (صحيح): صحيح الجامع 1252.
(2) هذان البيتان لجمال الدين بن مطروح - مصري - عاصر الملك الصالح.

كَيْفِيَّةُ الرُّقْيَةِ الشَّرْعِيَّةِ:

ضَعْ يَدَكَ اليُمْنَى عَلَى رَأْسِ المَرِيضِ، وَادْعُ اللهَ وَأَنْتَ مُوقِنٌ بالإِجَابَةِ؛ فَرَبُّكَ لاَ يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، قَالَ اللهُ تَعَالى: أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ [النمل:62].

قَالَ اللهُ تَعَالى: وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ [غافر:60] بَعْدَ هَذا اليَقِينِ امْسَحْ رَأْسَ المَرِيضِ وَقُلْ: بسْمِ اللهِ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

ثمَّ اقْرَأْ فِي ذِلَّةٍ وَانْكِسَارٍ وَخُشُوعٍ وَافْتِقَارٍ إِلَى رَبِّكَ الغَنِيِّ الكَرِيمِ العَظِيمِ سُورَةَ الفَاتِحَةِ وَآيَةَ الكُرْسِيِّ وَسُورَةَ الإِخْلاَصِ وَالمعوَذّتَيْنِ (سُورَة الفَلَق وسُورَة النّاسِ) ثَلاَثَ مَرَّاتٍ مُتَتَالِيَة.

ثمَّ ضَعْ يَدَكَ مَرَّةً أُخْرَى عَلَى رَأْسِ المَرِيضِ وَادْعُ بأَدْعِيَةِ النّبيِّ الكَرِيم؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَتَى مَرِيضًا أَوْ أُتِيَ بهِ، قَالَ(1): «أَذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَمًا(2)».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُعَوِّذ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ وَيَقُولُ(3): «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ(4)».

---

(1) (صحيح): البخاري 5411.
(2) لا يغادر سقما أي: شفاءً تامًّا لا يترك أثرًا لمرض، الباس: الشدة والألم ونحو ذلك.
(3) (صحيح): البخاري 3191.
(4) يعوذ: من التعويذ وهو الالتجاء والاستجارة، التامة: الكاملة في فضلها وبركتها ونفعها، هامة: كل حشرة ذات سمّ، وقيل: مخلوق يهم بسوء، لامة: العين التي تصيب بسوء، وتجمع الشرّ على المعيون، وقيل: هي كل داء وآفة تلّم بالإنسان.

فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي العَاصِ أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ عُثْمَانُ: بِي وَجَعٌ قَدْ كَادَ يُهْلِكُنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (1): «أَمْسِكْ بيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ(2)» قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللهُ مَا كَانَ بِي فَلَمْ أَزَلْ آمُرُ بهِ أَهْلِي.

أَوْ تَبُلُّ أصْبعَكَ بِرِيقِكَ ثُمَّ تَضَعُهُ فِي التُّرَابِ، ثُمَّ تَمْسَحُ بِهِ عَلَى مَكَانِ الأَلَمِ، وَتَقُولُ كَمَا قَالَ النَّبيُّ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَقُولُ في الرُّقْيَةِ(3): «تُرْبَةُ أَرْضِنَا وَرِيقَةُ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبيَّﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ قَالَ: وَكَانَ النَّبيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَرِيضٍ يَعُودُهُ قَالَ(4): «لا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقَالَ لَهُ: لا بَأْسَ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: قُلْتُ: طَهُورٌ كَلاَّ؛ بَلْ هِيَ حُمَّى تَفُورُ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ تُزِيرُهُ الْقُبُورَ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: فَنَعَمْ إِذًا» وَمَعْنَى طَهُور: مُطَهِّرَةٌ مِنَ الذّنُوبِ وَمُكَفِّرَةٌ لِلْخَطَايَا، تُزِيرُهُ: إِذَا حَمَلَهُ عَلَى الزّيَارَةِ بغَيْرِ اخْتِيَارِه؛ وَالرّجُلُ لَمْ يُعْجِبْهُ دُعَاءُ النّبيِّ ﷺ، فَقَالَ الرّجُلُ مَا مَعْنَاهُ: إِنّنِي مَيّتٌ وَلَنْ أَشْفَى فَالحُمَّى سَتُهْلِكُنِي، فَقَالَ النّبيُّ ﷺ: نَعَمْ بَعْدَ أَنْ تَأَكّدَ مِنْ يَأْسِ هَذَا الرّجُلِ مِنَ الشّفَاءِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ نَبيَّ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ(5): «لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ(6)» قَالَ الطَّبَرِيُّ: كَانَ السَّلَفُ يَدْعُونَ بِهِ وَيُسَمُّونَهُ دُعَاءَ الكَرْبِ؛ فَلاَ كَرْبَ وَأَنْتَ رَبّ.

(1) (صحيح): أحمد 15834، الترمذي 2080، صحيح الجامع 3891.
(2) يجوز التوسل بأسماء الله فتقول: يا عزيز أعزنا، أو يصفة من صفات الله فتقول: اللهم بعزة الله وقدرته ... الحديث، فالعزة صفة العزيز، والقدرة صفة القادر.
(3) (صحيح): البخاري 5746، مسلم 2194.
(4) (صحيح): البخاري 3616.
(5) (صحيح): مسلم 2730.
(6) قال ابن عباس: هو حديث جليل, ينبغي الاعتناء به, والإكثار منه عند الكرب والأمور العظيمة، ومعنى كان إذا حزبه أمر؛ أي: أصابه وألمَّ به أمر شديد.

وَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ(1): «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَعُودُ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَيَقُولُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلاَّ عُوفِيَ».

وَلاَ تَنْسَ أَنْ تَرْقِيَ نَفْسَكَ بالْمُعَوِّذَاتِ، فَعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ(2): «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا مَرِضَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ نَفَثَ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ؛ فَلَمَّا مَرِضَ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ جَعَلْتُ أَنْفُثُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُهُ بِيَدِ نَفْسِهِ؛ لأَنَّهَا كَانَتْ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ يَدِي» وَدَاوِ بالقُرْآنِ نَفْسَكَ؛ فَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى مُشَابِهَةٍ لِسَابقَتِهَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا(3)

قَالَتْ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَيَنْفُثُ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَيْهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا».

---

(1) (صحيح): أحمد 2138، الترمذي 2083، صحيح الجامع 3106.
(2) (صحيح): مسلم 2192.
(3) (صحيح): صحيح البخاري 5016.

النَّصِيحَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: صَلِّ عَلَى النّبيِّ ﷺ حَبيبِ قَلْبَك

لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضْلِ اللهِ تَعَالى عَلَى نَبِيِّهِ الكَرِيمِ ﷺ أَنّهُ صَلَّى عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ كَمَا وَرَدَ في التّحِيَّاتِ؛ وَلِلصَّلاَةِ عَلَى النَّبيّ فَوَائِدُ جَلِيلَةٌ مِنْهَا:

1- مُضَاعَفَةُ الصَّلَوَاتِ وَالحَسَنَاتِ وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ:

عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (1): «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ» فَالبَخِيلُ هُوَ الَّذِي يَبْخَلُ بالصَّلاَةِ عَلَيْهِ عِنْدَ سَمَاعِ اسْمِهِ ﷺ؛ لأَنَّهُ حَرَمَ نَفْسَهُ مِنْ بَرَكَاتٍ كَثِيرَةٍ وَخَيْرَاتٍ نَافِعَةٍ مُفِيدَةٍ؛ مِنْهَا صَلاَةُ رَبِّهِ عَلَيْهِ، فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (2): «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ (3)».

2- رَفْعُ الدُّعَاءِ وَرَجَاءُ قَبُولِه:

عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ(4): كُلُّ دُعَاءٍ مَحْجُوبٌ؛ حَتَّى يُصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ قَالَ(5): إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لاَ يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ؛ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ.

(1) (صحيح): النسائي 1297، صحيح الترغيب والترهيب (2 / 1656).
(2) (صحيح): الترمذي 3546، مشكاة المصابيح (1 / 933).
(3) البخيل: الكامل فِي البخل، ذكرتِ عنده: ذُكِرَ اسمي بمسمع منه، فلم يصل علي؛ لأنه بخل على نفسه حيث حرمها صلاة الله عليه عشرا إذا هُوَ صَلَّى واحدة.
(4) (صحيح): مسلم 2739، أبو داود 1545.
(5) (صحيح): السلسلة الصحيحة 2035.

3-الأَمَانُ مِنَ الحَسْرَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ(1): «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لا يَذْكُرُونَ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبيِّ ﷺ إلا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ القِيَامَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الجَنَّةَ لِلثَّوابِ».

4- اللَّهُ يُصَلِّي عَلَيْكَ بِنَفْسِهِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا» وَفي روَايَةٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالبِشْرُ يُرَى في وَجْهِهِ فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى البِشْرَ في وَجْهِكَ، فَقَالَ (2): «إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ لا يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا».

5- تُكْفَى هَمَّكَ وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ:

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبيهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا ذهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ(3): «يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ اذْكُرُوا اللهَ.. اذْكُرُوا اللهَ؛ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، قَالَ: أُبَيٌّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ؛ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاتِي؟ فَقَالَ: مَا شِئْتَ، قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ

(1) (صحيح): أحمد 9649، صحيح الترغيب والترهيب (2 / 1513).
(2) (صحيح): أحمد 15926، صحيح الجامع 71.
(3) (حسن): الترمذي 2457، السلسلة الصحيحة (2 / 637).

قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: مَا شِئْتَ؛ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاتِي كُلَّهَا، قَالَ: إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ» أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاتِي، أَيْ: دُعَائِي الَّذِي أَدْعُو بِهِ لِنَفْسِي، أَصْرِفُ بِصَلاتِي عَلَيْكَ جَمِيعَ الزَّمَنِ الَّذِي كُنْتُ أَدْعُو فِيهِ لِنَفْسِي، تُكْفَى هَمَّكَ: مَا أَهَمَّكَ مِنْ أَمْرِكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، وَذَلِكَ لأَنَّ الصَّلاةَ عَلَيْهِ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَتَعْظِيمِ الرَّسُولِ ﷺ وَالاشْتِغَالِ بِأَدَاءِ حَقِّهِ مِنْ حُقُوقِهِ، وَإِيثَارِ المدْعُو لَهُ وَهُوَ النَّبيُّ ﷺ بِالدُّعَاءِ عَلَى نَفْسِ الدَّاعِي، فَالنَّبيُّ أَوْلَى بِهِ مِنْ نَفْسِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:6] فَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ خِلاَلٍ جَلِيلَةِ الأَخْطَارِ وَأَعْمَالٍ كَرِيمَةِ الآثَارِ!.

6- إِنَّ صَلاتَكُمْ تَسْمَعُهَا المَلاَئِكَةُ وَتُبَلِّغُهَا رَسُولَ اللَّهِ:

أَلاَ تَعْلَمُ –أَيُّهَا الحَبِيبُ- أَنَّكَ إِذَا صَلَّيْتَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَإِنَّ صَلاَتَكَ تَبْلُغُهُ (1) ؟! فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (2): «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» بَلْ يَقُومُ بِتَبْلِيغِ سَلاَمِكَ إِلى النَّبيِّ ﷺ مَلاَئِكَة؛ يَا لَهُ مِنْ فَضْلٍ! فَعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3): «إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ(4)».

(1) لأخينا / فريد بن محمد فويلة رسالة قيّمة فِي فضائل ومواطن الصلاة على النبي.
(2) (صحيح): أبو داود 2042، صحيح الجامع 3164.
(3) (صحيح): النسائي 1282، صحيح الجامع 2174.
(4) سياحين: يقال: ساح يسيح سياحة إذا ذهب فيها، يبلغوني: من الإبلاغ أو التبليغ وفيه حث على الصلاة والسلام عليه وتعظيم وإجلال لمنزلته؛ حيث سخر الملائكة لهذا الشأن الفخم.

7- أَكْثَرُ النّاسِ قُرْبًا مِنَ النّبِيّ يَوْمَ القِيَامَةِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ (1): «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَيَّ صَلاةً».

8- مَعْرِفَةُ طَرِيقِ الجَنَّةِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلاةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الجَنَّةِ(2)» تِلْكُمُ ثَمَرَةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ ثِمَارِ الصَّلاَةِ وَالتّسْلِيمِ عَلَى النّبيّ الكَرِيمِ، وسَيِّدُنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ سَيِّدُ الأنَامِ وَهُوَ القَائِلُ في يَوْمِ الجُمُعَةِ سَيِّدِ الأَيَّامِ: فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصّلاةِ فِيهِ(3)؛ فَالصّلاةُ الدَّائِمَةُ عَلَيْهِ مَيْزَةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ؛ إِنَّمَا هَذَا الأَمْرُ يَخُصُّهُ؛ لأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ نَالَتْهُ أُمَّتُهُ في الدّنيَا وَالآخِرَةِ فَهُوَ سَبَبُ هَذا الخَيْرِ ﷺ.

(1) (صحيح): صحيح الجامع 6245.
(2) (حسن): صحيح الترغيب والترهيب (2 / 1668).
(3) (صحيح): أبو داود 1531، سنن أبي داود (2 / 88).

النَّصِيحَةُ الخَامِسَةَ عَشْرَةَ: اهْجُرِ المعَاصِيَ تكُنْ مِنَ السُّعَدَاءِ

1- مَنْ تركَ الاعتِرَاضَ عَلَى قَدَرِ اللهِ فَسَلَّمَ لِرَبِّهِ في جَمِيعِ أَمْرِهِ وَأَذعَنَ لَهُ رَزَقَهُ اللهُ الرِّضَا وَاليَقِين، وَأرَاهُ مِنْ حُسْنِ العَاقِبَةِ مَالاَ يَخْطرُ لَهُ ببَالٍ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ(1): «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنعَهُ اللهُ بمَا آتَاهُ(2)».

2- وَمَنْ تركَ الذّهَابَ لِلعَرَّافِين وَالسَّحَرَةِ رَزَقَهُ اللهُ الصَّبْرَ وَصِدْقَ التّوَكُّلِ وَتحَقُّقَ التَّوْحِيدِ، وَجَنَّبَهُ الكُفْرَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(3): «مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد».

3- وَمَنْ تَرَكَ التَّكَالُبَ عَلَى الدّنيَا جَمَعَ اللهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِناهُ في قَلبهِ، وَأَتَتهُ الدّنيَا رَاغِمَةً؛ فَعَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(4): «مَنْ كَانتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْن عَيْنيهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ».

4- وَمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَلَزَمَ الصّدقَ فِيمَا يَأتِي وَيَذرُ، هُدِىَ إلى البرِّ، وَكَان عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَرُزِقَ لِسَانَ صِدْقٍ عِندَ الناسِ، فَسَوَّدُوهُ، وَأَكْرَمُوهُ وَاسْتَمَعُوا لِقَوْلِهِ، فَلَقَدْ قَسَّمَ اللهُ -سُبْحَانهُ- النّاسَ إلَى صَادِقٍ وَمُنافِقٍ فَقَال تَعَالى: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الأحزاب:24]

---

(1) (صحيح): مسلم 1054.
(2) أفلح: فاز وظفر بالمقصود، أسلم: انقاد لربه، ورُزِقَ: من الحلال، كفافًا: ما يكفّ من الحاجات ويدفع الضرورات أو الكفاية بلا زيادة ولا نقص، وقنعَهُ الله: جعله قانعًا بما آتاه.
(3) (صحيح): أبو داود 3904، الترمذي 135، صحيح سنن أبى داود 15/4.
(4) (صحيح): صحيح الجامع 6510، السلسلة الصحيحة 950.

فَالإِيمَانُ أَسَاسُهُ الصّدْقُ، قَالَ تَعَالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾ [يوسف:17] وَالنّفَاقُ أَسَاسُهُ الكَذِبُ، فَلاَ يَجْتَمِعُ كَذِبٌ وَإِيمَانٌ إلاَّ وَأَحَدُهُمَا مُحَارِبٌ للآخَرِ.

أَلَمْ يَأْمُرْكَ رَبُّكَ أَنْ تَكُون مَعَ الصّادِقِينَ فَقَالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة:119] فَإِنْ عَزَّ عَلَيْكَ أَنْ تَكُون مِن الصّادِقِين فَعَلَى الأَقَلِّ كُنْ مُؤَازِرًا لَهُم مُعِينًا، وَلاَ تَكُنْ عَلَيْهِم!.

5- وَمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَان مُحِقًّا ضُمِن لَهُ بَيْتٌ في رَبَضِ الجَنَّةِ، وَسَلِمَ مِنْ شَرِّ المجَادَلَةِ غَيرَ الهَادِفَةِ وَالخُصُومَةِ، وَحَافَظَ عَلَى صَفَاءِ قَلْبِهِ، وَأَمِن مِنْ كَشْفِ عُيُوبهِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «أَنَا زَعِيمٌ ببَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَان مُحِقًّا، وَببَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَان مَازِحًا، وَببَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّن خُلُقَه» رَبَضِ: أسْفَل الجَنَّةِ.

6- وَمَنْ تَرَكَ الرِّبَا وَكَسْبَ المالِ المحَرَّمِ الخَبيثِ بكُلِّ صُوَرِهِ بَارَكَ اللهُ في رِزْقِهِ، وَفَتَحَ لَهُ أَبوَابَ الخَيرَاتِ وَالبَرَكَاتِ وَالصَّدَقَاتِ، وَتَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُ، فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(2): «أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤْمِنِين بمَا أَمَرَ بهِ المُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51]

وَقَالَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾ [البقرة:172].

(1) (حسن): أبو داود 4800، صحيح سنن أبي داود 253/4.
(2) (صحيح): أحمد 8148، مسلم 1015.

7- وَمَنْ ترَكَ البُخلَ وَآثرَ التَّكُرُّمَ وَالسَّخَاءَ أَحَبَّهُ النَّاسُ، وَاقترَبَ مِنَ اللهِ وَالجَنَّةِ، وَسَلِمَ مِنَ الهَمِّ وَضِيقِ الصَّدْرِ، وَتَرَقَّى في مَدَارِج الكَمَالِ وَمَرَاتِب الفَضِيلَةِ، قَالَ تَعَالى: وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ [الحشر: 9].

8- وَمَنْ ترَكَ الانتِقَامَ وَالتَّشَفِّى مَعَ قُدرَتِهِ عَلَى ذلِكَ عَوَّضَهُ اللهُ انشِرَاحًا في الصَّدْرِ وَفَرَحًا في القَلْب، فَفي العَفْوِ مِنَ الطُّمَأنِينةِ وَالسَّكِينةِ وَالحَلاوَةِ وَشَرَفِ النفْسِ وَعِزِّهَا وَترَفُّعِهَا مَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهُ في المقَابَلَةِ وَالانتِقَامِ.

9- وَمَنْ ترَكَ الكِبرَ وَلَزَمَ التَّوَاضُعَ كَمُلَ سُؤْدُدُهُ وَعَلاَ قَدْرُهُ، وَتنَاهَى فَضْلُهُ، وَرَفَعَهُ رَبُّهُ مَرتَبَةً سَامِيَةً، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ(1): «وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إلاَّ عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلاَّ رَفَعَهُ اللهُ».

وَأَحْسَنُ أَخْلاَقِ الفَتَى وَأَجَلُّهَا		تَوَاضُعُهُ لِلنَّاسِ وَهُوَ رَفِيعٌ
وَأَقْبَحُ شَيْءٍ أَنْ يَرَى المرْءُ نفْسَهُ		رَفِيعًا لِلنَّاسِ وَهُوَ وَضِيعٌ

أَلاَ تَرَى أَنّ المَاءَ عِنْدَمَا نزَلَ إلى الشَّجَرَةِ صَعَدَ إلى أَعْلاَهَا؛ كَأَنَّ سَائِلاً يَسْأَلُهُ مَا الّذِي أَتَى بكَ إلى هُنَا وَأَنْتَ الّذِي وُضِعْتَ فِي أَسْفَلَهَا رَاضِيًا بذلِكَ؟ فَتَكُونُ الإجَابَةُ: مَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ، أَلاَ تَرَى إلى التُّرَابِ لَمَّا توَاضَعَ وَذلَّ تَحْتَ الأَقْدَامِ لَيْلَ نَهَارَ جَعَلَهُ اللهُ طَهُورًا لِلوَجْهِ المُكَرَّمِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالى: فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا [النساء:43]

(1) (صحيح): أحمد 7165، مسلم 2588.

فَمَنْ تَوَاضَعَ للهِ رَفَعَهُ وَأَعَزَّهُ، فَعَنِ ابنِ عُمَرَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَقُولُ اللهُ(1): مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذا رَفَعْتُهُ هَكَذا، وَجَعَلَ بَاطِن كَفِّهِ إلى الأَرْضِ، ثُمَّ جَعَلَ كَفَّهُ إلى السَّمَاءِ وَرَفَعَهَا نحْوَ السَّمَاءِ، وعَنْ عِيَاضِ بنِ حِمَارٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(2): «إنَّ اللهَ أَوْحَى إلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» فَاحْفَظْ كَرَامَتَكَ، وَاحْفَظْ كَرَامَةَ الآخَرِينَ البُسَطَاء، وَلاَ تَكُنْ مُتَكَبِّرًا.

لاَ تَسْقِنِي كَأْسَ الحَيَاةِ بذِلَّةٍ		بَلْ فَاسْقِنِي بِالعِزِّ كَأْسَ الحَنْظَلِ
كَأْسُ الحَيَاةِ بذِلّةٍ كَجَهَنَّمَ		وَجَهَنَّمُ بالعِزّ أَطْيَبُ مَنْزِلِ

10- وَمَنْ ترَكَ التُّخمَةَ وَكَثرَةَ الطَّعَام، وَصَامَ للهِ نهَارَهُ، وَقَامَ لَيْلَهُ عَوَّضَهُ اللهُ في الآخِرَةِ، وَلوْ خُتِمَ لَهُ بصِيَامِ ذلِكَ اليَومِ أَدخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ناصِحًا أَبَا حُذَيْفَةَ(3): «يَا حُذَيْفَةُ؛ مَنْ خُتِمَ لَهُ بصِيَامِ يَوْمٍ يُرِيدُ بهِ وَجْهَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ» فَمَنْ أَعْطَشَ نفْسَهُ في يَوْمٍ صَائِفٍ سَقَاهُ اللهُ في يَومِ العَطَشِ الأَكْبَر، وَكَان حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يرْوِيَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ يَومَ تَدنُو الشَّمْسُ مِن الرُّءُوسِ يَحفَظُكَ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ الدّانِيَةِ مِنْكَ مِقْدَارَ مِيلٍ، فَمَا أَشَدَّ لَهِيبَهَا! وَلَكِنْ قُلْ: مَا أَعْظَمَ ظِلّ اللهَ وَقْتَهَا!.

(1) (صحيح): أبو داود 4650، سنن أبي داود (4 / 212).
(2) (صحيح): مسلم (4/ 2198).
(3) (صحيح): صحيح الجامع 6224.

11- وَمَنْ تَرَكَ كَثْرَةَ الطَّعَامِ سَلِمَ مِن البطْنةِ وَسَائِرِ الأَمرَاضِ؛ لأَنَّ مَنْ أَكَلَ كَثِيرًا شَرِبَ كَثِيرًا فَنامَ كَثِيرًا فَخَسِرَ كَثِيرًا، فَعَلَيْكَ بلُقَيْمَاتٍ يُقِمْن صُلْبَكَ، فَعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ(1): «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بحَسْب ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْن صُلْبَهُ، فَإِنْ كَان لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابهِ، وَثُلُثٌ لِنفَسِه».

لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا جَزَاءً لِمُحسِنٍ		إذاً لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعَاشٌ لِظَالِمِ!
لَقَدْ جَاعَ فِيهَا الأنْبيَاءُ كَرَامَةً		وَقَدْ شَبعَتْ فِيهَا بُطُونُ البَهَائِمِ!

12- وَمَنْ ترَكَ الغضَبَ حَفِظَ عَلَى نفْسِهِ كَرَامَتَهَا، وَنأَى بهَا عَنْ ذلِّ الاعْتِذارِ وَمَغبَّةِ النّدَمِ، وَدَخَلَ في زُمْرَةِ المتَّقِين: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134] جَاءَ رَجُلٌ لِلنبيِّ، فَقَالَ: يَا

(1) (صحيح): ابن ماجة 3349، صحيح سنن ابن ماجة 1111/2.

رَسُولَ اللهِ؛ أَوْصِني! قَالَ ﷺ(1): «لا تَغْضَبْ».

13- وَمَنْ ترَكَ كَثْرَةَ الكَلاَمِ وَالوَقِيعَةَ في أَعْرَاضِ النَّاسِ وَالتَّعَرُّض لِعُيُوبهِم وَمَغامِزِهِم، وَحَفِظَهُمْ في غيبَتِهِمْ، وَتَجَنَّبَ الخَوضَ في أَعرَاضِهِمْ عُوّضَ بالسَّلامَةِ مِنْ شَرّهِم، وَرُزِقُ التَّصَبُّرُ في نفْسِهِ، فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ(2): «مَنْ كَان يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَان يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَان يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيرًا أَوْ لِيَسْكُتْ» قَالَ الأَحْنفُ بنُ قَيْسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: مَنْ أَسْرَعَ إِلى النّاسِ فِيمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ مَا لاَ يَعْلَمُون.

14- وَمَنْ تَرَكَ مُجَارَاةَ السُّفَهَاءِ وَأَعرَضَ عَنِ الجَاهِلِين حَمى عِرْضهُ، وَاشتَغَلَ بعُيُوب نفسِهِ وَإِصلاَحِ الخَلَلِ فِيهَا فَقَدْ اسْترَاح، وَسَلِمَ مِنْ سَمَاعِ مَا يُؤْذِيه: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199].

المَرْءُ إنْ كَان مُؤْمِنًا وَرِعًا كَمَا السَّقِيمُ العَلِيلُ أَشْغَلَهُ		أَشْغَلَهُ عَنْ عُيُوب الوَرَى وَرَعُهُ عَنْ وَجَعِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَجَعُهُ

15- وَمَنْ ترَكَ قَطِيعَةَ أَرحَامِهِ فَوَصَلَهُم وَتوَدّدَ إِلَيْهِم، وَاتّقَى اللهَ فِيهِمْ بَسَطَ اللهُ لَهُ في رِزقِهِ، وَنسَأَ لَهُ في أَثرِهِ، وَلاَ يَزَالُ مَعَهُ ظَهِيرٌ مِن اللهِ مَادَامَ عَلَى تِلْكَ الصِّلَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3): «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثْرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ».

(1) (صحيح): البخاري 6116.
(2) (صحيح): البخاري 6136.
(3) (صحيح): البخاري 5986، مسلم 2557.

16- وَمَنْ ترَكَ السُّخرِيَةَ مِن الآخَرِين رَفَعَهُ اللهُ؛ فَلاَ تَعْلَم تَرْتِيبَ وَدرَجَاتِ النَّاسِ عِندَ اللهِ؛ فَمِنَ الممْكِنِ أَن يَكُونَ الَّذِي تَسخَرُ مِنْهُ أَفْضَلَ مِنْكَ عِنْدَ رَبِّكَ؛ فَمَنْ يَدْرِي؟! وَاتْرُكِ العبُوسَ؛ فَمَنْ تَرَكَ العبُوسَ وَاتّصَفَ بالبِشْرِ وَالطَّلاقَةِ كَانَ كَمَنْ أَخْرَجَ صَدَقَةً، وَكَثُرَ مُحِبُّوهُ،

وَقَلَّ شَاكُوهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ».

17- وَمَنْ ترَكَ الغشَّ في بَيْعِهِ وَشِرَائِهِ وَأُمُورِهِ زَادَتْ ثِقَةُ النَّاسِ بِهِ، وَرَفَعَهُ اللهُ مَرْتَبَةً حَسَنَةً في الجَنَّةِ مَعَ النّبيّين وَالصِّدِّيقِين وَالشُّهَدَاءِ؛ فَعَنْ عَبْدِ الرَّحمَنِ بْنِ شِبْلٍ قَالَ(2): سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «التُّجَّارُ هُمُ الْفُجَّارُ، إِنَّ التُّجَّارَ هُمُ الْفُجَّارُ, فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَوَ لَيْسَ قَدْ أَحَلَّ اللهُ البَيْعَ؟ قَالَ: بَلَى, وَلَكِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ فَيَكْذِبُونَ, وَيَحْلِفُونَ فَيَأْثَمُونَ».

18- ومَنْ ترَكَ مَسْأَلَةَ النّاسِ وَرَجَاءَهُمْ وَإِرَاقَةَ مَاءِ الوَجْهِ أَمَامَهُمْ وَعَلَّقَ رَجَاءَهُ باللهِ دُون سِوَاهُ عَوَّضَهُ اللهُ خَيرًا مِمَّا تَرَكَ؛ فَرَزَقَهُ حُرِيَّةَ القَلبِ وَعِزَّةَ النّفْسِ وَالاسْتِغناءَ عَنِ الخَلقِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3): «.. وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبرِ».

19- وَمَنْ ترَكَ المماطَلَةَ في الدّيْنِ أَعَانَهُ اللهُ، وَسَدَّدَ عَنْهُ، وَلَمْ يُتْلِفْ مَالَهُ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّاهَا اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلافَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ».

(1) (صحيح): الترمذي 1956، صحيح سنن الترمذي 339/4.
(2) (صحيح): صحيح الجامع: 1594, السلسلة الصحيحة 366.
(3) (صحيح): البخاري 1469، مسلم 1053.

20- وَمَنْ تَرِكَ شُرْبَ الخَمْرِ في الدّنيَا عَوَّضهُ اللهُ خَمْرًا أَلَذَّ في الآخِرَةِ؛ فَيَا شَارِبَ الخَمْر في الدُّنيَا أَنتَ مَحرُومٌ مِنهَا في الآخِرَةِ، وَمَنْ ترَكَ لُبْسَ الحَرِيرِ عَوَّضَهُ اللهُ خَيرًا، وَمَنْ لَبِسَهُ في الدّنْيَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَلَمْ يَقُلْ نبيُّكَ مُحَمّدٌ ﷺ(1): «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَنْ شَرِبَ الخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الآخِرَةِ» وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في الحَرِيرِ: «مَنْ لَبسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الآخِرَةِ» فَإِنّ العَبْدَ إِذا مَنعَ نفسَهُ مِنْ شَهوَاتِ الدّنيَا وَمَلَذّاتِهَا الخَبيثةِ حَصَلَ عَلَى أَحْسَنَ وَأَطيَبَ مِنهَا في الآخِرَةِ؛ فَفِيهَا مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى بَالِكَ!.

وَكَذا الذّهَبُ .. فَيَا لاَبسَ الذهَب؛ هَلْ سَتَتَشبَّهُ فِيهِ بالنِّسَاءِ، وَتَتَحَدَّى تَعَاليمَ سيِّدِ الأَنبيَاءِ؟! فَأَنْتَ لَنْ تَلْبَسَ الذّهَبَ في الآخِرَةِ؛ فَلُبْسُ الذّهَب لاَ يَلِيقُ بكَ؛ أَلَمْ تَعْلَمْ أنّ سيّدَ الأَتْقِيَاءِ كَان يَلْبَسُ الذّهَبَ ثُمَّ حَرَّمَهُ، وَنـهَى الرِّجَالَ عَنِ التَّشَبُّهِ بالنّسَاءِ؟! فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «اتَّخَذ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَاتَمَ الذهَب فَلَبسَهُ فَاتَّخَذ النَّاسُ خَوَاتِيمَ الذهَب، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنِّي كُنْتُ أَلْبَسُ هَذا الخَاتَمَ وَإِنّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا فَنبَذهُ، فَنبَذ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ» عُدْ إِلى رُجُولَتِكَ وَنخوَتِكَ، وَانطَلِقْ فَأَمَامَكَ أبوابُ الجنانِ.

(1) (صحيح): أحمد 5697، مسلم 2003.

النَّصِيحَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ: الصَّبْرَ الصَّبْرَ عَلَى الابْتِلاَء

الابْتِلاَءُ تَطْهِيرٌ وَنِعْمَةٌ مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، والابْتِلاَءُ لَهُ آدَابٌ؛ وَأَعْظَمُ آدَابِ الابْتِلاَءِ الصَّبْرُ.

صَبْرًا جَمِيلاً مَا أَقْرَبَ الفَرَجَا	
	مَنْ رَاقَبَ اللهَ فِي الأُمُورِ نَجَا
مَنْ صَدَّقَ اللهَ لَمْ يَنَلْهُ أَذًى	
	وَمَنْ رَجَاهُ يَكُونُ حَيْثُ رَجَا

اعْلَمْ أَنَّ الأَصْلَ في هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الابْتِلاءُ وَالمُكَابَدَة، قَالَ اللهُ الوَاحِدُ الأَحَدُ في سُورَةِ البَلَدِ: لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ [البلد:4] وَلَمْ يَقُلْ: مُكَابِدًا؛ وَإِنَّمَا في كَبَدٍ، نَقُولُ مَثَلاً: يَعِيشُ السَّمَكُ في المَاءِ، أَي: مَغْمُورٌ في المَاءِ مِنْ رَأْسِهِ إِلى أَخْمُصِ قَدَمَيْهِ، وَأَنْتَ -كَذلِكَ- مَغْمُورٌ في المُعَانَاةِ، فلا مَفَرَّ مِن الانْغِمَاسِ فِيهَا، وَكَبَد في الآيَةِ مَعْنَاهَا: يُعَانِي وَيُكَابدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا وَشَدَائِدَ الآخِرَةِ، قَدْ في الآيَةِ: حَرْفُ تَحْقِيقٍ؛ لِتَحَقُّقِ وُقُوعِ المَصَائِبِ وَالشَّدَائِدِ؛ وَهَذا دَلِيلٌ ثَانٍ؛ يُؤَكِّدُ لَكَ وُقُوعَ الابْتِلاءِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: {إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ [الإنسان:2] انْظُرْ إِلى قَوْلِ رَبِّكَ: نَبْتَلِيهِ أَيْ: نَخْتَبِرُهُ، فَهَذَا أَمْرٌ وَاقِعٌ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالى: يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ[الإنشقاق:6] وَلَمْ يَقُلْ: ثُمَّ مُلاَقِيهِ، وَإِنَّمَا قَالَ: ژ ڃ ژ يَعْنِي: تَخْرُجُ مِنْ هَذَا الكَدْحِ الشّدِيدِ وَالتّعَبِ وَالنّصَبِ إِلى لِقَاءِ رَبّكَ جَلّ وَعلاَ، فَتَظَلُّ طُوَالَ عُمُرِكَ في كَبَدٍ وَمُعَانَاةٍ؛ وَلاَ نُعَالِجُ هَذا النّصَبَ إلا بالصّبْرِ

وَالإِيمَانِ وَالمَرْحَمَةِ؛ فَصَبْرُكَ أَقْوَى، قَالَ اللهُ تَعَالى: ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ [البلد:17-18].

وَأَسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ: إِنَّ مِنْ رَحمَةِ اللهِ أَنْ جَعَلَ الدُّنيَا دَارَ تَقَلُّبَاتٍ، فَنَغَّصَّهَا وَكَدَّرَهَا عَلَى أَهْلِهَا لِئَلاَّ يَسْكُنُوا وَيَرْكَنُوا إِلَيْهَا، وَلاَ يَطْمَئِنُّوا لَهَا؛ وَيَرْغَبُوا عَنِ النّعِيمِ المقِيمِ المعَدّ لَهُم في الآخِرَةِ، وَلاَ يَزْهَدُوا فِيهِ؛ لأنَّ الدُّنيَا مَهْمَا طَالَ أَجَلُهَا وَنَعِيمُهَا فَهِيَ إِلى زَوَالٍ وَفَنَاء، فَسَاقَهَا اللهُ إِلَيْهِم بسِيَاطِ الامْتِحَانِ وَالابْتِلاَء، فَمَنَعَهُم لِيُعْطِيَهُم، وَابْتَلاَهُم لِيُعَافِيَهُم، وَأَمَاتَهُم ليُحْيِيَهُم الحَيَاةَ الطيّبةَ الخَالِدَةَ في الجَنَّةِ؛ لِذلِكَ فَقَدْ حَذَّرَهُم الدُّنيَا وَالشَّيْطَانَ وَالنَّفْسَ وَالهَوَى، وَحَذَّرهُم اللهُ نفْسَهُ؛ فَلْيَنْتَبِهُوا لِذلِكَ.

وَلتَعْلَمْ أَنّهُ لاَ رَاحَةَ لِلعَبْدِ المؤْمِنِ إلاَّ في الجَنَّةِ؛ اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الجَنَّةَ!.

فَكَيْفَ نُوَاجِهُ هَذا الابْتِلاَءَ؟! كَمَا سَبَقَ القَوْلُ نُوَاجِهِهُ بالإِيمَانِ وَالصَّبْرِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالى: وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ [الحجرات:7-8]

فَانْظُرْ إِلى قَوْلِهِ تَعَالى: فَلِمَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمۡ زَيَّنَهُ: قَدْ جَدَّدَهُ في قُلُوبكُم؛ فَلاَ تَمَلُّوا مِنْهُ؛ فِعِنْدَمَا تُجَدِّدُ بَيْتَكَ وَتُزَيِّنُهُ باسْتِمْرَارٍ لاَ تَمَلّ الجُلُوسَ فِيهِ أَبَدًا؛ وَكَذلِكَ الإيمَان.

أيُّهَا الحَبِيبُ؛ قَدْ يَنْعَمُ الإنْسَانُ وَيَسْعَدُ، وَلِكنَّ النَّعِيمَ وَالسَّعَادَةَ شَيْئَانِ طَارِئَانِ غيرُ دَائِمَيْنِ، يَسْعَدُ الإِنْسَانُ بأَوْلادِهِ، ثُمَّ يُفَارِقُهُم أَوْ يُفَارِقُونَهُ، وَيَنْعَمُ الإِنْسَانُ بِمَالِهِ الكَثيرِ ثُمَّ يَتْرُكُهُ لِمَنْ يَرِثُهُ أَوْ يُضَيِّعُهُ، ويَفْرَحُ الإِنْسَانُ بِمَنْصبِهِ الكَبِيرِ، ثُمَّ يُفَارِقُهُ إِلى لِقَاءِ رَبّهِ، وَرُبَّمَا يَكُونُ هَذا المَنْصبُ سَبَبًا في دُخُولِهِ النَّارَ؛ عَجِيبٌ أَمْرُ هَذا الإِنْسَانِ؛ فَكَمْ يَفْرَحُ الإِنْسَانُ كَثِيرًا بأَشْيَاءَ؛ رُبَّمَا تَهْوِي بهِ إِلى الهَاوِيَةِ! وَالعِيَاذ باللهِ، إِذًاالسَّعَادَةُ وَالنَّعِيمُ غَيْرُ مُؤَصَّلَيْن.

اصْبِرْ لِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَتَجَلّد اصْبِرْ كَمَا صَبَرَ الكِرَامُ فَإِنَّهَا وَإِذَا أَتَتْكَ مُصِيبَةٌ يُرْثَى لَهَا		وَاعْلَمْ بِأَنَّ المَرْءَ غَيْرُ مُخَلّدِ نُوَبٌ تَنُوبُ اليَوْمَ تُكْشَفُ فِي غَدِ فَاذْكُرْ مُصَابَكَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدِ

1- الصَّبْرُ رِزْقٌ عَظِيمٌ :

بَعْدَ مَا تَأَكَّدَ لَكَ أَنَّ الابْتِلاَءَ هُوَ الأَصْلُ، فَإِذا مَا نَزَلَ فَعِلاَجُهُ الصَّبْرُ؛ فَالصَّبْرُ رِزْقٌ عَظِيمٌ، يُنْعِمُ اللهُ بهِ عَلَى عَبْدِهِ؛ فَاللهُ قَسَّمَ الأَخْلاَقَ كَمَا قَسَّمَ الأَرْزَاقَ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(«إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الدِّينَ إِلاَّ لِمَنْ أَحَبَّ؛ فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ، وَلا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالاً مِنْ حَرَامٍ فَيُنْفِقَ مِنْهُ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَلا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ وَلا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إلاَّ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ، إِنَّ اللهَ -عَزَّ وَجَلَّ- لا يَمْحُو السَّيِّئَ بالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بالْحَسَنِ، إِنَّ الخَبِيثَ لا يَمْحُو الخَبِيثَ» وَقَالَ حَافِظُ إِبْرَاهِيم شَاعِرُ النِّيلِ:

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً		فَقَدْ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَقُلْ: الحَمْدُ للهِ عَلَى هَذا الرِّزْقِ المبَارَكِ، قَالَ شَقِيقُ البَلْخِيُّ: نَحْنُ قَوْمٌ إِذا ابْتُلِينَا صَبَرْنَا، وَإِذا أُعْطِينَا شَكَرْنَا.

فَلَيْسَ كُلُّ إِنْسَانٍ يُرْزَقُهُ؛ وَمَنْ عَظِيمِ رَحمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ أَنَّهُ جَعَلَ مَعَ كُلِّ عُسْرٍ يُسْرَيْنِ، فَعَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ قَالَ: (كَتَبَ أبُو عُبَيْدَةَ إلى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ يَذْكُرُ لَهُ جُمُوعًا مِنَ الرُّومِ وَمَا يَتَخَوَّفُ مِنْهُم، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَهمَا يَنْزِلْ بِعَبْدٍ مُؤْمِنٍ مِنْ شِدَّةٍ يَجْعَلِ اللهُ بَعْدَهَا فَرَجًا؛ إِنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح:5-6]

قَالَ ثَعْلَب (1): إنَّ مِنْ عَادَةِ العَرَبِ إذا ذكَرُوا اسْمًا مُعَرَّفًا ثُمَّ كَرَّرُوهُ، فَهُوَ هُوَ، وَإذَا نَكَّرُوهُ ثُمَّ كَرَّرُوهُ فَهُوَ غَيْرُهُ، وَهُمَا اثْنَانِ، لِيَكُونَ أَقْوَى لِلأَمَلِ، وَأَبْعَثَ عَلَى الصَّبْرِ، فَمَنْ ذاقَ البَلاَءَ عَرفَهُ؛ فَلَيسَتِ النَّائحَةُ المَأجُورَةُ كَالثَّكْلَى المكْلُومَةِ! وَلَيْسَ مَنْ رَأى كَمَنْ سَمِعَ!.

قَدْ يُنْعِمُ اللهُ بالبَلْوَى وَإنْ عَظُمَتْ		وَيَبْتَلِي اللهُ بَعضَ القَوْمِ بِالنِّعَمِ

(1) فائدة لغوية: إذَا تَتَابَعَتْ نَكِرَةٌ وَاحِدَةٌ فِي جُمْلَتَيْنِ مُخْتَلَفَتَيْنِ؛ فَالنّكِرَتَانِ مُخْتَلِفَتَانِ، أَقُولُ مثلاً: لَقِيتُ رَجُلاً وَأَكْرَمْتُ رَجُلاً، فَالرَّجُلُ فِي الجُمْلَتَيْنِ مُخْتَلِفٌ، أَمَّا قَوْلِي: لَقِيتُ الرَّجُلَ فَأَكْرَمْتُ الرَّجُلَ؛ فَالرَّجُلُ فِي الجُمْلَتَيْنِ وَاحِدٌ، وَكَذَلكَ فِي الآيَتَيْنِ الكَرِيمَتَيْنِ: العُسْرُ وَاحِدٌ وَاليُسْرُ اثْنَانِ، وَقَالَ الحَسَنُ أيْضًا: لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ وَاحِدٌ يُسْرَيْنِ اثْنَيْنِ.

2- الصَّبْرُ مُرٌّ كَاسْمِهِ؛ وَعَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ العَسَلِ:

فَالصَّبْرُ مُرٌّ كَاسْمِهِ؛ أَيْ: مُرٌّ مَذَاقُهُ، وَلَكِنَّ عَوَاقِبَهُ أَحْلَى وَأَشْهَى مِنَ العَسَلِ؛ وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدُنَا أَنْ يَصْبِرَ بِمُفْرَدِهِ إلاَّ إذا صَبَّرَهُ اللهُ، قَالَ اللهُ لِنَبِيّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ [النحل:127] وَهَذا نَبيُّ اللهِ إِسْمَاعِيلُ عليه السلام يَقُولُ لأَبيهِ عليه السلام وَقْتَ شِدَّتِهِ وَقَدْ قَدَّمَ المشِيئَةَ: سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ [الصافات:102] وَمَعْنَى قَوْلِهِ هَذا: إِنَّ صَبْرِي لَيْسَ مِنّي؛ وَإِنَّمَا بِمُعَاوَنَةِ رَبِّي لِي.

لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا جَزَاءً لِمُحْسِنٍ لَقَدْ جَاعَ فِيهَا الأَنْبِيَاءُ كَرَامَةً		إِذًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا مَعَاشٌ لِظَالِمٍ وَشَبِعَتْ فِيهَا بُطُونُ البَهَائِمِ

فَكُلُّ شَيْءٍ لاَ يَقَعُ إلاَّ بِمَشِيئَةِ اللهِ في كَوْنِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا الإنسان:30] وَقَبْلَهَا قَالَ إِسْمَاعِيلُ لأَبِيهِ عليه السلام: قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ [الصافات:102] وَلَمْ يَقُلْ: افْعَلْ مَا رَأَيْتَ في مَنَامِكَ، وَإِنَّمَا نسَبَ الأَمْرَ للهِ، وَنسَبَ الصَّبْرَ للهِ فَصَبَّرَهُ وَصَبَّرَ أَبَاهُ، وَصَبَرَ عليه السلام عَلَى الأَمْرَيْنِ مَعًا بفَضْلِ اللهِ عَلَيْهِ؛ لِذا قَالَ اللهُ فِيهِ: إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا [مريم:54] وَكَذلِكَ كَانَ قَوْلُ نَبيِّ اللهِ مُوسَى عليه السلام لِلخَضِرِ: قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا قُلْتُمْ [الكهف:69].

فَادْعُ اللهَ أَنْ يَرْبِطَ عَلَى قَلْبِكَ، قَالَ اللهُ في شَأْنِ أُمِّ مُوسَى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:10] وَقَالَ في أَهْلِ الكَهْفِ: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف:13-14] وَلاَ يَفُوتُنِي في هَذا المقَامِ أَنْ أُذَكِّرَ بنَبيِّ اللهِ يَعْقُوبَ -عَلَيْهِ السَّلاَمُ- عِنْدَمَا قَالَ: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:18]

وَتقْدِيرُ: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، أَيْ: فَصَبْرِي صَبْرٌ جَمِيلٌ، عَبَّرَ بالجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ الَّتي تُفِيدُ الثّبَاتَ وَالاسْتِقْرَارَ عَلَى الأَمْرِ؛ وَهَذا يُفِيدُ تَمَامَ الرِّضَا وَالامْتِثَالَ لأَمْرِ اللهِ مَهْمَا طَالَ البَلاَءُ وَعَظُمَ الابْتِلاَءُ، فَأَنَا صَابِرٌ وَاللهُ يُعِينُني عَلَى ذلِكَ، فَمِنْهُ العَوْنُ وَالمدَدُ؛ وَدَلاَلَةُ ذلِكَ أَنّهُ أَتْبَعَ قَوْلَهُ هَذا بقَوْلِهِ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:18] فَاللهُ المُسْتَعَانُ في كُلِّ نَائِبَةٍ وَشِدَّةٍ.

3- الصَّبْرُ مِنْ أَعْظَمِ الأُمُورِ:

وَالصَّبْرُ مِنْ أَعْظَمِ الأُمُورِ، قَالَ اللهُ آمِرًا سَيِّدَ البَشَرِ: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [المدثر:7] وَلاَ يَتَأَدَّبُ بالصَّبْرِ إلاَّ صَاحِبُ العَزِيمَةِ؛ لِذا قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:43] فَانْظُرْ إِلى قَوْلِ اللهِ تَعَالى: (لَمِنْ)؛ حَتَّى لاَ تَنْتَقِمَ لِنَفْسِكَ مِنْ غَرِيمِكَ، فَالآيَةُ مُؤَكَّدَةٌ بِاللاَمِ؛ لِحَثّ المؤْمِنِ عَلَى عَدَمِ الانْتِقَامِ؛ فَلْتَصْبِرْ وَلاَ تَنْتَقِمْ، فَالصَّبْرُ هُنَا فِيهِ

غَرِيمٌ؛ أَمَّا قَوْلُ لُقْمَانَ لِوَلَدِهِ: وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ [لقمان:17] فَهَذا صَبْرٌ لاَ غَرِيمَ لَكَ فِيهِ مثْلُ الصَّبْرِ عَلَى المرَضِ أَوْ عَلَى مُصِيبَةٍ؛ أَنْتَ سَبَبٌ فِيهَا، فَقَالَ اللهُ تَعَالى: (مِنْ) فَقَطْ، وَالصَّبْرُ دَيْدَنُ المؤْمِنِ.

وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إلاَّ بسَبَبِ صَبْرِهِم؛ فَجَعَلَهُم أَئِمَّةً في عَصْرِهِم، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةً يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ [السجدة:24] فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ إِمَامًا؛ تَدْعُو إلى الجَنَّةِ، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ إمَامًا؛ تَدْعُو إِلى النَّارِ، قَالَ اللهُ تَعَالى في آلِ فِرْعَوْنَ: وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ [القصص:41] وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يُعْطِي البَلاَءَ عَلَى قَدْرِ تَحَمُّلِ الإنسَانِ لَهُ.

وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ بِهَا الفَتَى		ذَرْعًا وَعِنْدَ اللهِ مِنْهَا المخْرَجُ
كَمُلَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حلقَاتُها		فُرِجَتْ وَكَانَ يَظُنُّهَا لاَ تُفْرَجُ

يَقُولُ أَحَدُ المُبْتَلِينَ: إِنَّ اللهَ ابْتَلانِي بِمَرَضٍ أَوْ بِأَزْمَةٍ فَوْقَ قُدْرَتِي، أَقُولُ لَهُ ناصِحًا نَفْسِي وَإِيَّاهُ: لاَ تَقُلْ مِثْلَ هَذا الكَلاَمِ وَاتّقِ اللهَ؛ فَكَلاَمُكَ هَذا مُخَالِفٌ لآيَاتِ القُرْءَانِ؛ فَلاَ تَخْرُجْ مِنْ دَائِرَةِ الإِيمَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ [البقرة:186].

النَّصِيحَةُ السَّابعَةَ عَشْرَةَ: كُنْ رَحِيمًا وَعِنْدَ العَطَاءِ كَرِيمًا

الرَّحمَةُ مَعْنًى جَمِيلٌ جَلِيلٌ، وَقِيمَةٌ كَرِيمَةٌ سَامِيَةٌ في كُلِّ مَا عَرَفَ البَشَرُ؛ باخْتِلاَفِ أَلْسِنَتِهِم وَأَلْوَانِهِم وَامْتِدَادِ أَعْصَارِهِم، وَانتِشَارِ أَوْطَانِهِم مِنْ مُعْتَقَدَاتٍ وَمَذَاهِبَ وَأَفْكَارٍ في الدِّينِ وَالأَخْلاَقِ وَالسِّيَاسَةِ وَالاجْتِمَاعِ.

وَقَدْ أَعْلَى الإِسْلاَمُ شَأْنَ هَذِهِ القِيمَةِ وَرَفَعَ ذِكْرَهَا وَسَمَا بِمَنْزِلَتِهَا؛ فَهِيَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الحَقِّ- تَبَارَكَ وَتَعَالى - إِذ هُوَ - عَزَّ وَجَلَّ- الرَّحمَنُ الرَّحِيمُ، كَمَا أَنَهَا صِفَةٌ لِلمُصْطَفَى ﷺ في كِتَابِ اللهِ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:128].

وَجَعَلَهَا رَبُّنَا -سُبْحَانَهُ - أَسَاسًا وَقَاعِدَةً لِمَا تَمَيَّزَ بهِ النَّبيُّ مِنْ لِينٍ؛ جَمَعَ النَّاسَ عَلَيْهِ، وَمَلأَ قُلُوبَهُم بِمَحَبَّتِهِ ﷺ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:159].

إِنَّ الرَّحمَةَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ القَلْبِ يَرِقُّ وَيَصْفُو؛ حَتَّى لاَ يَكُونَ فِيهِ إِلاَّ الحَبُّ؛ الحَبُّ لِكُلِّ النَّاسِ، وَالشَّفَقَةُ عَلَى جَمِيعِ الخَلاَئِقِ حَتَّى الحَيَوَانِ الأَعْجَم.

لَقَدْ فَاضَتْ عَيْنَاهُ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ - حِينَ شَهِدَ احْتِضَارَ حَفِيدٍ لَهُ، فَقَالَ سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاص ﷺ : وَأَنتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! فَكَأَنّهُ اسْتَكْثَرَ البُكَاءُ مِنْهُ فَقَالَ الحَبِيبُ ﷺ (1): «هَذِهِ رَحْمَةٌ وَضَعَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَلا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ إِلا الرُّحَمَاءَ».

(1) (صحيح): البخارى 5655، مسلم 923، أبو داود 3125.

وَلَمَّا دَخَلَ الأَقْرَعُ بنُ حَابسٍ ﷺ عَلَى النَّبيِّ فَوَجَدَ النَّبيَّ ﷺ يُقَبِّلُ الحَسَنَ ﷺ فَتَعَجَّبَ، وَقَالَ: أَتُقَبِّلُونَ أَوْلاَدَكَم؟! إنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ أَحَدًا مِنْهُم قَطُّ، فَقَالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ(1): «مَنْ لا يَرْحَمُ لا يُرْحَمُ».

هَذِهِ الرَّحمَةُ الغَامِرَةُ امْتَدَّتْ لِتَشْمَلَ الحَيَوَانَ الضَّعِيفَ فَقَالَ ﷺ(2): «دَخَلَتِ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا فَلاَ هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلاَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، فَحَبَسَتْهَا حَتَّى المَوْتِ، فَمَاتَتْ جُوعًا، فَلَمْ يَشْكُرِ اللهُ لَهَا فِعْلَهَا» وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ تَحَدَّثَ ﷺ في صَحِيحِ حَدِيثِهِ عَنِ امْرَأَةٍ بَغِيٍّ دَخَلَتِ الجَنَّةَ؛ لأَنَّهَا تَحَايَلَتْ عَلَى سُقْيَا كَلْبٍ لاَهِثٍ مِنْ شِدَّةِ العَطَشِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ (3): «بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ(4) كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا، فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ» فَلِمَاذَا لاَ يَرْحَمُ الأَغْنِيَاءُ الفُقَرَاءَ؟! وَلِمَاذَا لاَ يَرْحَمُ الأَبْنَاءُ الآبَاءَ؟! وَلِمَاذَا لاَ يَرْحَمُ النَّاسُ أُجَرَاءَهُم؟! وَلِمَاذا لاَ يَرْحَمُ الأَهْلُ بَعْضَهُم بَعْضًا؟! فَيَصِلُونَ أَرْحَامَهُم، وَيَتَرَاحَمُونَ فِيمَا بَيْنَهُم لِيَنَالُوا رَحمَةَ رَبِّهِم.

وَلَقَدْ عَظَّمَ اللهُ شَأْنَ الرّحمَةِ عِنْدَمَا رَفَعَهَا فَوْقَ العَرْشِ في أَعْلَى عِلِّيِّينَ فَقَالَ رَبُّنَا: ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ [طه:5] وَلَمْ يَقُلْ: الجَبَّارُ أَوِ القَهَّارُ أَوِ المتَكَبِّرُ، فَالرّحمَةُ صِفَتُهُ، وَالرّحِيمُ وَالرّحمَنُ اسْمَانِ مِنْ أَسْمَائِهِ، فَقَدْ اسْتَوَى اللهُ الرّحمَنُ عَلَى أَعْظَمِ وَأَشْرَفِ وَأَقْدَسِ المخْلُوقَاتِ وَهُوَ العَرْشُ بِأَعْظَمِ الصّفَاتِ وَهِيَ الرّحمَةُ، فَسُبْحَانَ مَنْ وَسِعَتْ رَحمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ كَمَا وَسِعَ حمْدُهُ كُلَّ شَيْءٍ، فَمَا أَعْظَمَ هَذِهِ الصّفَةَ! وَمَا أَجملَهَا! فَهُوَ القَائِلُ في حَدِيثٍ قُدْسِيٍّ رَوَاهُ لَنَا الحَبِيبُ النَّبيُّ ﷺ (5)

(1) (صحيح): البخارى 5997، مسلم 2318، أبو داود 5218.
(2) (صحيح): البخارى 2365، مسلم 2242.
(3) (صحيح): البخارى 3467، مسلم 2245.
(4) ركية: بئر ماء.
(5) (صحيح): البخارى 7554، مسلم 2751، الترمذى 3543.

: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ، إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ(1)» فَلَوِ اتّصَفْتَ بِهَا فَإِنَّ اللهَ يَرْفَعُكَ بِهَا أَعْلَى عِلّيِّين، فَهَذِهِ صِفَةٌ إِلهِيَّةٌ؛ مَنَّ اللهُ بِهَا عَلَى نَبِيِّه الكَرِيمِ ﷺ فَأَعْطَاهُ اسْمَيْنِ مِن أَسْمَائِهِ (رَؤُوف رَحِيم) فَقَالَ في شَأْنِ نَبِيِّنَا رَافِعًا قَدْرَهُ وَشَأْنَهُ عَلَى العَالَمِينَ: لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ [التوبة:128].

وَهَؤُلاَءِ الرُّحَماءُ هُمْ بذلِكَ يَرْجُونَ رَحمَةَ اللهِ؛ أَقُولُ لَهُم بِمِلْءِ فَمِي: أَبْشِرُوا وَأَقْبِلُوا؛ فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِيكُم(2): «إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاء» فَارْحَمْ مَنْ هُوَ دُونَكَ يَرْحمْك مَنْ فَوْقَكَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! قُلْ: بَلَى، فَعَنْ جَرِيرِ بنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3): «لا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النَّاسَ» وَعَنْ أَبي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(4): «مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةَ عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» خَصَّ رَسُولُ اللهِ المعْصُومُ ﷺالعُصْفُورَ بالرّحْمَةِ وَإِحْسَانِ الذّبْحَةِ؛ وَهُوَ أَصْغَرُ مَأْكُولٍ(5).

إِنَّ مَنْ يَرْحَمْ مَنْ في الأَرْضِ قَدْ فَارْحَمِ الخَلْقَ جَمِيعًا إِنَّمَا		آنَ أَنْ يَرْحَمَهُ مَنْ في السَّمَاء يَرْحَمُ الرَّحمَنُ فِينَا الرُّحَمَاء

(1) معنى الحديث أَنَّ اللهَ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الْخَلْقِ كَتَبَ عَلَى عَرْشِهِ إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ، فالرَّحمَةُ هِيَ الْبَاعِثَةُ عَلَى التَّوْبَةِ مِنَ الْعِصْيَانِ، وَالْمُوجِبَةُ لِلرَّجَاءِ وَعَدَمِ الْيَأْسِ مِنَ الْغُفْرَانِ.
(2) (صحيح): البخارى 1284، مسلم 923.
(3) (صحيح): البخارى 7376، مسلم 2319.
(4) (صحيح): صحيح الجامع 6261.
(5) قُلْتُ: إِذَا كَانَ العَبْدُ منّا مَأْمُورًا بِرَحْمَةِ عَصفُورٍ؛ فَرَحْمَةُ مَا فَوْقَهُ مِنَ الحَيَوَانِ أَوْلَى، وَرَحْمَةُ الإِنْسَانِ فَوْقَ رَحْمَةِ الصّغِيرِ وَالكَبِيرِ مِنَ الحَيَوَانِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟! قُلْ: بَلَى.

أَمَّا الَّذِينَ يُعَذّبُونَ النَّاسَ، وَهُمْ يَرْجُونَ رَحمَةَ اللهِ! أَقُولُ لهُمْ: احْذَرُوا وَأَقْصِرُوا؛ فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوْعدُونَ، وَشَتَّانَ شَتَّان بَيْنَ أَفْعَالِكُم وَمَا ترْجُونَ؛ فَهَذا قَوْلُ النَّبيِّ ﷺ(1): «إِنَّ اللهَ يُعَذّبُ الَّذِينَ يُعَذّبُونَ فِي الدُّنْيَا»!! في حِينِ أَنَّ الرَّحِيمَ بَعِيدٌ عَنْهَا، فَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ قَالَ ﷺ(2): «حُرّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيّنٍ لَيّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ» أَيْ: غَيْر عَصِيٍّ وَلاَ صَعْبٍ؛ بَلْ هُوَ سَمْحٌ لَيّنٌ وَدُودٌ، وَإِذا غَضِبَ رَجَعَ سَرِيعًا وَغفَرَ، عَلَيْهِ السَّكِينةُ وَالوَقَارُ.

أَتَرَى أَنَّ اللهَ يَرْحَمُ مَنْ يُعَذّبُ النَّاسَ؟! لاَ؛ فَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ، رَحمَةٌ برَحمَةٍ وَعَذابٌ بعَذابٍ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلعَبيدِ؛ فَارْبَأْ بنَفْسِكَ فَارْحَمْهَا قَبْلَ القِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3): «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلى أَحَدِكُم مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ(4)، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» فَالجَنَّةُ قَرِيبَةٌ -أَيُّهَا الأَحِبَّةُ- وَلَكِنْ مَنْ يَعْمَلُ لِلجَنَّةِ؟! فَمَنْ طَرَقَ البَابَ وَلَجَ، وَمَنْ جَدَّ وَجَدَ، وَمَنْ زَرَعَ حَصَدَ، وَلَيْسَ مَنْ أَقَامَ لَيْلَهُ كَمَنْ رَقَدَ! فَكُنْ كَالصُّقُورِ؛ تُصْغِي لِوَسْوَسَةِ القَمَرِ، وَلاَ تَكُنْ كَالغُرَابِ يُطَارِدُ الجِيَفَ الحَقِيرَةَ في الحُفَرِ، وَكُنْ ذا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ؛ تَبْحَث عَنِ الخَيْرِ، وَانظُرْ إِلى رَحمَةِ اللهِ وَأَبْشِرْ؛ فَعَمَلٌ بَسِيطٌ يُدْخِلُكَ الجَنَّةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(5): «مَرَّ رَجُلٌ بغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لأُنَحّيَنَّ هَذَا عَنِ المُسْلِمِينَ؛ لا يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الجَنَّةَ».

فَبَادِرْ؛ وَلاَ تَكُنْ كَالعَبْدِ الآبقِ يَنْتَظِرُ حَتَّى يُنَادِيَ عَلَيْهِ سَيّدُهُ، وَلَكِنِ انْطَلِقْ؛ لِيَجدَكَ سَيّدُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ، وَقُلْ: الحَمْدُ للهِ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلاَمِ؛ فَالإِسْلامُ مِنْ أَجَلّ النّعَمِ عَلَى العَبْدِ؛ الإِسْلاَمُ شَمْسٌ لاَ تغِيبُ؛ فَإِنْ بَرِحَتْ شَمْسُ الإِسْلاَمِ أَرْضَ قَوْمٍ أَشْرَقَتْ عَلَى دِيَارِ آخَرِين.

(1) (صحيح): مسلم 1613، أبو داود 3045.
(2) (صحيح): أحمد 3928، صحيح الجامع 3135.
(3) (صحيح): البخاري 6488.
(4) شراك نعله: الحبل الصغير الذي يُرْبَطُ به الحِذاء أوْ سيرُ النَّعْلِ عَلَى ظَهْرِ القَدَمِ.
(5) (صحيح): البخاري 2472، مسلم 1914.

النَّصِيحَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: حَاوِرِ النَّاسَ بِأَدَبٍ وَاحْتِرَامٍ وَتَعَلَّمْ مِنَ القُرْآنِ

إنّ آيَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ البَلِيغَةَ المعْنَى العَظِيمَةَ المبْنَى، لَتَأْخُذُ بالقُلُوبِ وَالألبَابِ، وَتنفُذ إِلى العَوَاطِفِ وَالوجْدَانِ، فَتُؤَثّرُ في النُّفُوسِ أيّمَا تَأْثِيرٍ؛ لِدَرَجَةِ أنّ تِلْكَ النّفسَ المرْتكِسَة في ضَلاَلِهَا، وَالفِطْرَةَ المنتَكِسَةَ في غَيّها تَتَفَاعَلُ فِيهَا المشَاعِرُ وَالأَحَاسِيسُ عِنْدَ سَمَاعِ القُرْآنِ، وَتُوقِن في قَرَارَةِ نَفْسِهَا بأنّ هَذا الكَلاَمَ لَيْسَ مِنْ عِنْدَ بَشَرٍ؛ إنّمَا هُوَ كَلاَمُ رَبّ البَشَرِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى، وَيَعْلُو عُلُوًّا عَظِيمًا عَلَى لُغَاتِ وَأَسَالِيبِ كُلِّ البَشَرِ.

لِمَاذا؟! لأَنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ أَرْسَى قَوَاعِدَ الحوَارِ في الإسْلاَمِ عَلَى الحَدِيثِ الهَادِفِ وَالحِكْمَةِ البَالِغَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَالجِدَالِ بالّتي هِيَ أَحْسَنُ وَالأُسُسِ الطيّبَةِ الكَرِيمَةِ وَالفَنّ الرّاقِي في المحَاوَرَاتِ وَالمعَامَلاَتِ، فَالحِوَارُ القُرْآنِيُّ حِوَارٌ وَاقِعِيٌّ، يَلْمَسُ وَاقِعَ النّاسِ، وَيَربطُ المَاضِيَ بالحَاضِرِ، وَيُسَلِّطُ الأَضْوَاءَ عَلَى المسْتَقْبَلِ القَرِيبِ وَالبَعِيدِ؛ حَيْثُ الانْتِقَالُ مِنْ حُجَّةٍ إِلى حُجَّةٍ بَعْدَ اقْتِنَاعِ الخَصْمِ وَتَسْلِيمِهِ بهَا، وَالتّدَرُّجُ في المَوْضُوعَاتِ حَيْثُ البدْءُ بالأُصُولِ ثمَّ الانْتِقَالِ إِلى الفُرُوعِ؛ لِذا أَتَى مَنْهَجُ الإسْلامِ مَنْهَجًا حَضَارِيًّا عَالميًّا مُتَكَامِلاً في ترْسِيخِ مَبَادِئِ الحوَارِ بَيْنَ الشّعُوبِ وَالأُمَمِ.

فَالحَمْدُ للهِ الّذِي جَعَلَ الحوَارَ أُسْلُوبًا وَمَنْهَجًا مُرْضِيًّا لِلْوُصُولِ إِلى الحَقّ الّذِي يَرْضَاهُ، قَالَ اللهُ تَعَالى آمِرًا عِبَادَهُ المؤْمِنِينَ بقَوْلِهِ: وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا [البقرة:83] وَلَقْدْ جَعَلَ اللهُ القَوْلَ اللّيِّنَ الميْسُورَ مُؤَهِّلاً لِرَحمَةِ ربّكَ، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا [الإسراء:28] وَقَالَ اللهُ تَعَالى آمِرًا نَبيَّهُ الكَرِيمَ وَمَنِ اقْتَفَى أَثَرَهُ مِنْ بَعْدِهِ: ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ [النحل:125].

وَمِنَ المُلاحَظِ عَلَى التّعْبيرِ القُرْآنِيّ المعْجزِ وَبخَاصَّةٍ في الآيَةِ المذكُورَةِ آنِفًا أَنهُ اكْتَفَى في وَصْفِ الموْعِظَةِ بأنْ تَكُونَ حَسَنَةً، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ في الجدَالِ إلاَّ أَنْ يَكُونَ بالّتي هِيَ أَحْسَنُ؛ لأنّ المَوْعِظَةَ ـ غَالِبًا ـ تَكُونُ مَعَ الموَافِقِينَ لاَ المعَارِضِينَ، أَمَّا الجدَالُ فَيَكُونُ ـ عَادَةً ـ مَعَ المخَالِفِينَ؛ فَيَحْتَاجُ إلى مُشَارَكَةٍ وَمُدَافَعَةٍ وَمُغَالَبَةٍ وَمُغَاضَبَةٍ وَمُنَاقَشَةٍ؛ لِهَذا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ بالّتي هِيَ أَحْسَنُ، بمَعْنَى أَنّهُ لَوْ كَانَتْ هُنَاكَ لِلْجدَالِ وَالحوَارِ طَرِيقَتَانِ: طَرِيقَةٌ حَسَنَةٌ جيّدَة، وَطرِيقَةٌ أَحْسَنُ مِنْهَا وَأَجْوَدُ، كَانَ المسْلِمُ الدّاعِيَةُ مَأمُورًا أَنْ يحَاوِرَ مخَالِفِيهِ بالطّرِيقَةِ الّتي هِيَ أَحْسَنُ وَأَجْوَدُ.

وفي السُّنّةِ عَنِ ابْنِ عَبّاسٍ أَنّ مُعَاذًا -رَضِي اللهُ عَنْهُ- قَالَ: بَعَثَني رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنّكَ تَأْتِي قَوْما مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ. فَادْعُهُمْ إلى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاّ الله. وَأَنّي رَسُولُ اللهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ في كُلّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدّ في فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ، فَإِيّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»؛ وَالشّاهِدُ في الحَدِيثِ قَوْلُ ابنِ حَجَرٍ(1): بَدأَ بالأَهَمّ فَالأَهَمّ، وَذلِكَ مِنَ التَّلَطُّفِ في الخِطَابِ؛ لأنَهُ لَو طَالَبَهُم بالجَمِيعِ في أَوّلِ مَرَّةٍ لَمْ يَأْمَنْ النُّفْرَةَ.

وَعَلَى الدَّرْبِ نفْسِهِ سَارَ رسُولُ اللهِ ﷺ، فقد كَانَ مِن عَادَةِ رَسُولِ اللهِ الَذِي بُعِثَ للنَّاس كَافَّةً بَشِيرًا وَنَذِيرًا، أَنْ يُبَشِّرَ أُمَّتَهُ بخِطَابهِ الهَادِئِ وَحوَارِهِ الهَادِفِ وَحَدِيثِهِ البنَّاءِ وَكَلاَمِهِ المَاتِعِ، فَقَدْ بُعِثَ؛ بَشِيرًا لأُمَّتِهِ رَحِيمًا بهَا وَبغَيْرِهَا مِنَ الأمَمِ، وَعَلى أتباعه أَنْ يَنهَجُوا نهْجَ نَبيِّهِم، وَيَفتحُوا أَبْوَابَ الأَمَلِ وَالرّجاءِ للعَالَمِين كُلّهم في رَبّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَيَهْتَدُوا بهَدْيِ سَيّدِ الأَتقِياءِ القَائلِ(2): «بَشّرُوا وَلا تُنَفِّرُوا، وَيَسّرُوا وَلاَ تُعَسّرُوا»، وَكَانَ مِنْ جُملَةِ قَوْلِه ﷺ لأَصْحَابهِ(3): «إِنّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسّرِينَ؛ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسّرِينَ» وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (4): « وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِر فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُت».

(1) فتح الباري لابن حجر 5 / 123.
(2) (صحيح): البخاري 69، مسلم1734.
(3) (صحيح): البخارى220، أبو داود 380، الترمذى147..
(4) (صحيح): البخارى 6138، مسلم 47، الترمذى 1188.

فَالحوَارُ إذًا لَهُ أَصْلٌ ثَابِتٌ في مِنْهَاجِ اللهِ قُرْآناً وَسُنَّةً، وَهُوَ يَنْطَلِقُ مِنْ تَأْثِيرَاتٍ وَأَحَاسِيسَ تجِيشُ في النّفْسِ لِتَوْحِيدِ الخَالِقِ، أَوْ لإظْهَارِ مَبْدَأ، أَوْ تَصْحِيحِ خَطَأ، أَوْ نُصْرَةِ حَقٍّ أَوْ غَيْرِ

ذلِكَ مِمّا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النُّفُوسُ البَشَرِيّة، فَالحوَارُ ظَاهِرَةٌ إِنْسَانِيّةٌ عَالميَّةٌ، وَهِيَ سُنّةٌ إلهيّةٌ؛ نَظَرًا لِتَفَاوُتِ البَشَرِ في عُقُولِهِم وَأَفْهَامِهِم وَأَمْزِجَتِهِم؛ فَالتّعَدُّدُ في المخْلُوقَاتِ وَاخْتِلاَفِهَا وَتَنَوّعِهَا سُنَّةُ اللهِ في كَوْنِهِ، فَلِكُلِّ شَيْءٍ في هَذا الخَلْقِ طَبيعَةٌ وَخَصَائِصُ وَصِفَاتٌ تَتَّفِقُ مَعَ غَيْرِهِ أَحْيَانًا، وَتَتَنَافَرُ عَنْهَا وَمَعَهَا في أَحَايينَ أُخْرَى، فَطَبيعَةُ الوُجُودِ في الكَوْنِ أَسَاسُهَا التّنَوّعُ وَالتّعَدّدُ، وَالإِنْسَانِيَّةُ خَلَقَهَا اللهُ وفْقَ هَذِهِ السُّنَّةِ الكَوْنِيَّة، فَاخْتَلَفَ البَشَرُ إلى أَجْنَاسٍ مختَلِفَةٍ وَطَبَائِعَ شَتَّى، فَالخِلاَفُ سُنّةٌ كَوْنيّة اقْتَضَتْهَا الحِكْمَةُ الإلهيَّةُ، قَالَ اللهُ عَزّ وَجَلَّ: وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً [هود: 118] وَفي الأَثَرِ(1): لاَ يَزَالُ النَّاسُ بخَيْرٍ مَا تَبَايَنُوا فَإذا تَسَاوَوْا هَلَكُوا (2)، فَالاخْتِلاَفُ مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الحَيَاةِ، فَالتّعَصُّبُ لِمَذْهَبٍ وَاحِدٍ وَاعْتِقَادٍ أنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَهُ مخْطِئٌ أَمْرٌ يجُرُّ إلى فِتَنٍ عَظِيمَةٍ، وَكُلّ مَنْ تَجَاهَلَ وَتجَاوَز أَوْ رَفَضَ هَذِهِ السُّنةَ الماضِيَةَ للهِ في خَلْقِهِ، فَقَدْ نَاقَضَ الفِطْرَة، وَأَنْكَرَ المحْسُوسَ.

وَلَيْسَ مِنَ الشّرّ في شَيْءٍ أَنْ يخْتَلِفَ النّاسُ، وَلَكِنّ الشَّرَّ كُلّ الشَّرّ أَنْ يَضِلُّوا الطَّرِيقَ الصَّحِيحَ وَيُصِرُّوا عَلَى ذلِكَ، أَمَا إنّ اخْتِلافَهُم لَيْسَ مِنَ الشّرِّ، فذلِكَ لأَنّ كُلّ مَا في دَاخِلِ نفُوسِ النّاسِ وَكُلّ مَا يحِيطُ بهِم مِنْ ظُرُوفِ الحَيَاةِ يَدْعُو إلى اخْتِلاَفِهِم، فَاخْتِلاَفُهُم إذًا لَيْسَ غَرِيبًا؛ وَلَكِنَّهُ يَنْبُعُ مِنْ طَبيعَةِ تَكْوِينِهِم وَمِنْ أَحْوَالِ مَعِيشَتِهِم وَتَنَوُّع مَوَاهِبِهِم وَقُدْرَاتِهِم.

---

(1) شرح صحيح البخارى لابن بطال (10/ 13).
(2) فإذا تساووا هلكوا: يعني لا يزالون بخير ما كان فيهم أهل فضل وصلاح وخوف لله؛ يُلْجَأ إليهم عند الشدائد، ويُسْتَشْفَى بآرائهم، ويُتَبَرَّك بدعائهم، ويُؤْخَذ آثارهم.

النَّصِيحَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: الْزَمْ سُنَّةَ النَّبِيِّ الكَرِيمِ فَهِيَ الهِدَايَةُ

- سُنَّةُ النّبِيِّ مِنَ الأَهَمِيَّةِ بِمَكَانٍ:

لِلنَّبيِّ مَنْزِلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَكَذَا سُنَّتُهُ، فَلاَ غِنَى عِنْهَا؛ وَهِيَ مِنَ الأَهَمِيَّةِ بِمَكَانٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «أَلاَ إِنِّي أُوتِيتَ القُرْءَان وَمِثْلَهُ مَعَهُ» قَالَ ابْنُ القَيِّمِ في تَفْسِيرِ هَذِهِ الآيَةِ(1) : يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ [الحجرات:1] أَيْ: لاَ تَقُولُوا حَتَّى يَقُولَ، وَلاَ تَأْمُرُوا حَتَّى يَأْمُرَ، وَلاَ تُفْتُوا حَتَّى يُفْتِيَ، وَلاَ تَقْطَعُوا بأَمْرٍ حَتَّى يَحْكُمُ فِيهِ.

- السُّنَّةُ مُبَيِّنَةٌ لِلقُرْآنِ وَمُفَسِّرَةٌ لَهُ:

السّنّةُ مُبَيّنَةٌ لِلقُرْآنِ وَمُفَسّرَةٌ لَهُ، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ [النحل:44] فَالسُّنَّةُ لَهَا مَكَانَتُهَا، وَهِيَ مَصْدَرٌ لِلتَّشْرِيعِ، وَهِيَ وَحْيٌ كَالقُرْءَانِ: وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ [النجم:1-4] وَقَدْ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺبِحِفْظِهَا وَتَبْلِيغِهَا فَقَالَ(2): «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ؛ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»

(1) إعلام الموقعين لابن القيم 54/1.
(2) (صحيح): أحمد 21080، صحيح الجامع 6763.

وَقَالَ تَعَالى: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب:34] عَطَفَ اللهُ تَعَالى الحِكْمَةَ عَلَى الكِتَابِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي المغَايَرَةَ، وَأَنَّ الحِكْمَةَ لَيْسَتِ القُرْءَانَ في الآيَةِ، وَلاَ يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ:

إِنَّهُ شَيْءٌ آخَرُ؛ لأَنَّ اللهَ تَعَالى امْتَنَّ عَلَى العِبَادِ بتَعِلِيمِهَا، وَالمَنُّ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بِمَا هُوَ صَوَابٌ، فَتَكُونُ الحِكْمَةُ وَاجِبَةَ الاتِّبَاعِ كَالكِتَابِ خَاصَّةً وَأَنَّ اللهَ قَرَنَهَا بهِ؛ قَالَ ابنُ القَيِّمِ(1): الكِتَابُ هُوَ القُرْءَانُ، وَالحِكْمَةُ هِيَ السُّنَّةُ بِاتِّفَاقِ السَّلَفِ، وَمَا أَخْبَرَ بهِ الرَّسُولُ عَنِ اللهِ فَهُوَ في وُجُوبِ تَصْدِيقِهِ وَالإِيمَانِ بهِ كَمَا أَخْبَرَ عَنْهُ الرَّبُّ، وَهَذَا أَصْلٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ أَهْلِ الإِسْلاَمِ؛ لاَ يُنْكِرُهُ إِلاَّ مَنْ لَيْسَ مِنْهُم، قَالَ أَيُّوبُ السّخْتِيَانِي: إِذا حَدَّثْتَ الرَّجُلَ بسُنَّةٍ فَقَالَ: دَعْنَا مِنْ هَذا؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ ضَالٌّ!.

- حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ أَسَاسٌ مَتِينٌ مِنْ أُسُسِ الإِيمَانِ:

وَلاَ يَفُوتُنِي هَذَا الحَدِيثُ أَنْ أَذْكُرَهُ لأُدَلِّلَ عَلَى حُبِّ الصّحَابَةِ النَّبِيَّ وِلِلّذي يُحِبُّهُ النَّبِيُّ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: إِنّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللهِ ﷺلِطَعَامٍ صَنَعَهُ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: «فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ، فَقَرَّبَ إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ خُبْزًا وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ؛ فَرَأَيْتُ النَّبيَّ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيْ القَصْعَةِ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ» إِنَّ أَنَسًا أَحَبَّ الدُّبَّاءَ؛ لِحُبِّ رَسُولِ اللهِ ﷺلَهَا.

(1) الروح لابن القيم صـ 105 .

وَلاَ يَفُوتُنَا حَدِيثُ النَّبيِّ ﷺ إذ يَقُولُ(1): «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ» سمَع الفَارُوقُ ا هَذَا الحَدِيثَ مِنَ النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ إنِّي أُحِبُّكَ إلاَّ مِنْ نَفْسِي فَأَعَادَ النَّبيُّ ﷺ الحَدِيثَ عَلَى مَسَامِعِ عُمَرَ ا فَقَالَ عُمَرُ: وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْت -الآنَ- أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتي بَيْنَ جَنْبَيَّ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «الآنَ الآنَ يَا عُمَرُ» أَي: الآنَ ثَبُتَ وَعَظُمَ وَاكتَمَلَ الإيمَانُ في قَلْبِ عُمَرَ.

فَحُبُّ الإِنْسَانِ نفْسَهُ طَبْعٌ، وَحُبُّ غَيْرِهِ اخْتِيَارٌ؛ فَأَرَادَ النّبيُّ ﷺ حُبَّ الاخْتِيَارِ؛ إذ لاَ سَبيلَ إلى قَلْبِ الطّبَاعِ عَمَّا جُبلَتْ عَلَيْهِ، فَجَوَابُ عُمَرَ عَبَّرَ عَنْ حُبِّ الطّبْعِ، فَعِنْدَمَا عَلِمَ عُمَر أَنَّ النّبيَّ مُحَمَّدًا ﷺ هُوَ سَبَبُ نجَاتِهِ مِنَ المهْلِكَاتِ في الدّنيَا، وَمِنَ النّارِ في الآخِرَةِ، فَأَجَابَ نبيّهُ

ﷺ بحُبِّ الاخْتِيَارِ، فحُبُّ النّبيِّ مُقَدّمٌ عَلى النَّفْسِ وَالمَالِ وَالوَالِدِ وَالوَلَدِ وَمَتَاعِ الدّنيَا كُلِّهِ.

وَمَا أَجْمَلَ حَدِيثَ النَّبيِّ ﷺ (2): «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ وَلا يَرَانِي، ثُمَّ لأَنْ يَرَانِي أَحَبُّ إِلَيْهِ مَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ مَعَهُمْ»! وَفي رِوَايَةٍ أُخْرَى(3): «أَشَدُّ أُمَّتِي لِي حُبًّا قَوْمٌ يَكُونُونَ أَوْ يَخْرُجُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ فَقَدَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، وَأَنَّهُ رَآنِي» فَأَنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ الجَنَّةَ مَعَ النَّبيِّ ﷺ، أَتَرَاكَ تَدْخُلُ الجَنَّةَ وَأَنْتَ بَعِيدٌ كُلَّ البُعْدِ عَنْ سُنَّتِه؟!.

(1) (صحيح): البخارى 14، النسائى 5015.
(2) (صحيح): أحمد 27538، مسلم 2364.
(3) (صحيح): أحمد 20877، صحيح الجامع 1003.

- جَمِيعُ الطُّرُقِ إِلَى الجَنَّةِ مَسْدُودَةٌ إلا طَرِيقَ النَّبِيِّ:

فَجَمِيعُ الطُّرُقِ إلى الجَنَّةِ مَسْدُودَةٌ إلا طَرِيقَ هَذَا النَّبيِّ ﷺ، وَهُوَ طَرِيقٌ وَاحِدٌ لا ثانِيَ لَهُ، يَجْلِسُ النَّبيُّ ﷺ حَوْلَ أصْحَابهِ ي (1) فَشَقَّ خَطًّا مُسْتَقِيمًا في الأَرْضِ ثُمَّ شَقَّ حَوْلَهُ طُرُقًا مُتَعَرِّجَةً ثُمَّ قَرَأَ النَّبيُّ ﷺ مُشِيرًا إلى الخَطِّ المُسْتَقِيمِ ثُمَّ تَلا قَوْلَهُ تَعَالى: وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ [الأنعام:153] فَلاَ يَقْبَلُ اللهُ قَوْلاً إلاَّ بعَمَلٍ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ القَوْلُ وَالعَمَلُ إلاَّ بنِيَّةٍ وَعَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ، وَلاَ يسْتَقِيمُ القَوْلُ وَالعَمَلُ وَالنِّيَّةُ إلاَّ بمُوَافَقَةِ هَدْيِ النَّبيِّ ﷺ؛ فَالاقْتِصَادُ في السَّنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الاجْتِهَادِ في البِدَعِ!! فَالبِدْعَةُ أَحَبُّ إلى إبْلِيسَ مِنَ المعْصِيَةِ!!. فَيَا أَيُّهَا الحَبيبُ .. أُذَكِّرُكَ وَنَفْسي بهَذا الحَدِيثِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(2): «إِنَّ اللهَ-تَبَارَكَ وَتَعَالَى-يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟! فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ!! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي؛ فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» كُلُّ هَذا الرّضَا سَبَبُهُ طَاعَةُ اللهِ، وَطَاعَةُ رَسُولِ اللهِ!.

(1) (صحيح): أحمد 14853، سنن ابن ماجة (1 / 6).
(2) (صحيح): البخارى 6549، مسلم 183.

النَّصِيحَةُ العِشْرُونَ: حَافِظْ عَلَى هُوِيَّتِكَ الإِسْلاَمِيَّةِ

إِلى كُلِّ مُسْلِمٍ؛ تَمَيَّزَ بشَخْصِيَّتِهِ، وَاسْتَقِلَّ بهَا كَمَا أَرَادَ اللهُ وَرَسُولُهُ لَهُ أَنْ يَكُونَ بَلْ بَلَغَ الأَمْرُ مَدَاهُ عِنْدَمَا أَقْسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَرَاحَةً وَقَالَ (1): «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلاَّ أَنْ يَتَّبِعَنِي» لِمَاذا؟! لأَنَّ النَّبيَّ محَمَّدًا ﷺ جَاءَ بالتَّيْسِيرِ وَالرَّحْمَةِ وَالحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَجَاءَ بالعِبَادَاتِ الَّتي تَنْفَعُ النَّاسَ في كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛ وَاسْتَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ وَدُعَاءَ المؤْمِنِينَ مَعَهُ، وَوَضَعَ عنَّا الآصَارَ وَالأَغْلالَ -وَالحَمْدُ للهِ- الَّتي كَانَتْ عَلَى الأُمَمِ السَّابقَةِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ [البقرة:286] فَعَفَا اللهُ تعَالى عَنَّا وَرَحِمَنَا فَقَالَ مُسْتَجيبًا: وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ [الأعراف:157] إِصْرًا: أَمْرًا يَثْقُلُ عَلَيْنَا حِمْلُهُ، وَيُقْصَدُ بهِ التَّكَالِيفُ الشَّاقَّةُ الَّتي تَنُوءُ الجِبَالُ بحَمْلِ أَثْقَالِهَا كَقَتْلِ النَّفْسِ في التَّوْبَةِ، وَإِخْرَاجِ رُبْعِ المَالِ في الزَّكَاةِ، وَإِحْرَاقِ الغَنَائِمِ، وَفَضِيحَتِهِم بجَرَائِرِهِمْ بإِظْهَارِ ذنُوبِهِم عَلَى أَبْوَابِ بُيُوتِهِم، وَقَطْعِ الأَعْضَاءِ

الخَاطِئَةِ، وَقَرْضِ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ مِنْ جُلُودِهِم وَأَثْوَابِهِم؛ فَقَدْ كَانَ الوَاحِدُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إذا أَصَابَ جَسَدَهُ بَوْلٌ قَرَضَهُ بالمَقَارِيضِ، وَكَذلِكَ ثَوْبَهُ، فَلاَ يَكْفِيهِ غُسْلٌ، وَلاَ يُطَهِّرُهُ مَاءٌ! فَوَضَعَهَا عَنْهُمُ النَّبيُّ ﷺ بأَمْرِ رَبِّهِ تيْسِيرًا وَرَحمَةً وَعِصْمَةً.

وَمِنْ ثمَّ كَانَ حِرْصُ النَّبيِّ ﷺ عَلَى المخَالَفَةِ التَّامَّةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الأُمَمِ السَّابقَةِ في العِبَادَاتِ المخْتَلفَةِ حَتَّى قَالَتِ اليَهُودُ: «مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلاَّ خَالَفَنَا فِيهِ(2)»

(1) (حسن): أحمد 14736، الإرواء 1589، السلسلة الصحيحة 3207.
(2) (صحيح): مسلم 246.

كَيْفَ لاَ وَهُوَ صَاحِبُ الشّريعَةِ الخَاتمَةِ المهَيْمنَةِ؟! قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة:48] فَالنّبيُّ ﷺ يُرِيدُ للمُسْلِمِ شَخْصِيَّةً مُتَمَيِّزَةً يَنْفَرِدُ بهَا عَنْ غَيْرِهِ، وَلاَ يَكُونُ تابعًا لأَحَدٍ، فَهَذِهِ أَعْلَى مَقَامَاتِ التّربيَةِ؛ تَرْبيَةِ النُّفُوسِ وَبنَاءِ الشّخْصِيَّةِ وَتحْدِيدِ الهُوِيَّةِ وَإعْدَادِ الرّجَالِ وَبنَاءِ الأُمَمِ وَقِيَادَتِهَا، وَالتّمَيُّزِ حَتّى في صَغَائِرِ الأُمُورِ الّتي قَدْ يَظُنُّهَا البَعْضُ أَنَّهَا لاَ تَتَعَدَّى العَادَاتِ؛ وَالّتي لاَ تَدْخُلُ في ترْبيَةِ الأَجْيَالِ وَتَنْشِئَةِ الأُمَمِ وَصِنَاعَةِ الرّجَالِ؛ فَالمسْلِمُ أَرَادَ لَهُ رَبُّهُ أَنْ يَتّبعَ نبيَّهُ ﷺ وَلاَ يَبْتَدِع، ثُمَّ يُتّبَع وَلاَ يَتّبع!! لِيَكُونَ في مُقَدّمَةِ الرَّكْبِ لاَ مُؤَخّرَتِهِ؛ سَائِدًا لاَ مَسُودًا، عَزِيزًا لاَ ذلِيلاً، قَوِيًّا شُجَاعًا لاَ ضَعِيفًا جَبَانًا، أَمِينًا ثابتًا لاَ خَائِنًا مَهْزُوزًا، لِذا جَاءَت نُصُوصُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ المطَهَّرَةِ بالنَّهْيِ عَنِ التّنْشِئَةِ بغَيْرِ الإِسْلاَمِ، فَلاَبُدَّ وَأَنْ يَنْخَرِطَ المسْلِمُ في دِينِهِ، وَأَنْ يَصْبُغَ نفْسَهُ بصِبْغَةِ الإِسْلاَمِ كَمَا يُصْبَغُ الثّوْبُ؛ قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة:138].

إنَّ المسْلِمَ الحَقَّ هُوَ الّذِي يَتْبَعُ مَنْهَجَ اللهِ وَمَنْهَجَ رَسُولِهِ ﷺ, وَيَعْلَمُ أَنَّ الكُفَّارِ كَافَّةً لاَ يُرِيدُونَ الخَيْرَ لَهُ؛ بَلْ يُرِيدُونَ أَنْ يَنْسَلِخَ المسْلِمُ مِنْ إسْلاَمِهِ سَبَبِ عِزِّهِ وَفلاَحِهِ وَقُوَّتِهِ؛ لِيَسْهُلَ قِيَادَهُ إلى الهَاوِيَةِ المهْلِكَةِ؛ فَإذا مَا انْسَلَخَ المسْلِمُ مِنْ دِينِهِ ضَعُفَ وَهَانَ عَلَى رَبّهِ وَذلَّ؛ وَلَنْ يُعَزَّ أَوْ تقُومَ لَهُ قَائِمَةٌ إلاَّ إذا عَادَ إلى الارْتِوَاءِ مِنَ المنْهَلِ العَذبِ، فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): « سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ، لاَ يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إلَى دِينِكُم».

(1) (صحيح): أبو داود 3462، صحيح الجامع 423.

أَمَّا الشّرِيعَةُ الإِسْلاَمِيَّةُ فَإِنَّهَا تُرَبِّي المسْلِمَ تَرْبيَةً خَاصَّةً، وتُنْشِئُهُ نَشْأَةً مُتَمَيِّزَةً، وَتَجْعَلُ لَهُ التّمَيُّزَ وَالقِيَادَةَ، وَتُرِيدُ لَهُ التّقَدُّمَ وَالرّيَادَةَ، وَتُهيّئُهُ للأَخْذِ بزِمَامِ الأُمُورِ وَتحْقِيقِ السّيَادَةِ؛ فَالمسْلِمُ أَهْلٌ لِذلِكَ؛ لأَنّهُ أَفْضَلُ مَخْلُوقٍ يَسِيرُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ،

قَالَ اللهُ تَعَالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ [البينة:7] فَالمسْلِمُ يَأْخُذُ بالأَسْبَابِ المعِينَةِ؛ لِيَتَقَدَّمَ بخُطُوَاتٍ ثابتَةٍ للأَخْذِ بزِمَامِ سَفِينَةِ التَّوْحِيدِ لينْجُوَ العَالَمُ مِنْ الشّرْكِ وَالضّلاَلِ، وَيَصِلَ بَرَّ الأَمْنِ وَالأَمَانِ إِلى شَاطِئِ الإِسْلاَمِ الّذِى ارْتضَاهُ اللهُ الكَبيرُ المتَعَالِ للعَالَمِينَ دِينًا قِيَمًا؛

لِيَكُونَ مشْعَلَ هِدَايَةٍ وَمَنْبَعَ تَقْوًى وَمَنْهَجَ حَيَاةٍ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا كَمَا كَانَ نَبيُّهُ الأَمِينُ ﷺ (1).

أَبِي الإِسْلامُ لاَ أَبَا لِي سِوَاهُ		مَهْمَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيمِ

(1) كتاب: مخالفة الأغيار ، للشيخ / عماد حسن أبو العينين، دار العلياء، القاهرة، مصر.

وَلَقَدْ مَيَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺالعَبْدَ المسْلِمَ عَنْ غَيْرِهِ في كُلِّ أَحْوَالِهِ سَوَاءً في العَقَائِدِ أَوِ العِبَادَاتِ وَالعَادَاتِ، أَوِ السُّلُوكِ وَالمعَامَلاَتِ أَوِ المظَاهِرِ وَالتَّقَالِيدِ وَالعَلاَقَاتِ، بَلْ أَمْعَنَ نَبيُّنَا ﷺ في إظْهَارِ مخَالَفَتِهِم في كُلِّ المَيَادِينِ وَالمَجَالاتِ بَرَاءَةً مِنْهُم، وَإبْرَازًا للهُوِيَّةِ الإسْلاَمِيَّةِ حَتَّى في اخْتِيَارِ اسْمِ الطِّفْلِ المسْلِمِ!!.

فَالعَبْدُ المسْلِمُ يُؤْزَرُ باخْتِيَارِ اسْمٍ سَيِّئٍ لِوَلَدِهِ؛ فَيُعَيَّرُ بِهِ طوَالَ حَيَاتِهِ، وَيُؤْجَرُ إذا اخْتَارَ لِوَلَدِهِ اسْمًا طَيِّبًا مُبَارَكًا يُنَادَى بِهِ وَلاَ يُسَبِّبُ هَذا الاسْمُ حَرَجًا لَهُ بَينَ أَقْرَانِهِ؛ فَالاسْمُ الحَسَنُ مِنَ الفَأْلِ الحَسَنِ لِلْمَوْلُودِ؛ وَالضّدُّ كَذلِكَ، وَكَمَا سَمِعْنَا - وَنحْنُ أَطْفَالٌ صِغَارٌ مِنْ أُمَّهَاتِنَا - أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ كَانُوا يُسَمُّونَ أَبْنَاءَهُم بأَسْمَاءٍ قَبِيحَةٍ؛ لِيَعِيشَ لَهُمُ الوَلَدُ وَلاَ يُحْسَدُ، وَهَذا الفِعْلُ فِيهِ مُشَابَهَةٌ للمُشْرِكِينَ وَعَقِيدَةٌ فَاسِدَةٌ وَفِعْلٌ جَاهِلِيٌّ.

لِذلِكَ فقَدْ نهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الأسْمَاءِ القَبِيحَةِ فَغَيَّرَ اسْمَ أَبي بَكْرٍ الصّدّيقِ مِنْ عَبْدِ الكَعْبَةِ إلى عَبْدِ اللهِ، وَاسْمَ عَاصِيَةٍ إلى جَمِيلَةٍ، وَاسْمَ حَزَن إلى سَهْلٍ، وَاسْمَ شِهَابٍ إلى هِشَامٍ؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ غَيَّرَ اسْمَ عَاصِيَةَ(1) وَقَالَ: أَنْتِ جَمِيلَةُ» وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، قَالَ: لَمَّا وُلِدَ الحَسَنُ سَمَّاهُ حَمْزَةَ، فَلَمَّا وُلِدَ الحُسَيْنُ سَمَّاهُ بعَمِّهِ جَعْفَرٍ، قَالَ: فَدَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ(2): «إنِّي أُمِرتُ أَنْ أُغَيِّرَ اسْمَ هَذَيْنِ» فَقُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَمَّاهُمَا حَسَنًا وَحُسَيْنًا، وَعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3): «لا تُسَمِّ غُلامَكَ رَبَاحًا وَلا يَسَارًا وَلا أَفْلَحَ وَلا نَافِعًا».

(1) (صحيح): مسلم 2139.
(2) (صحيح): السلسلة الصحيحة 2709.
(3) (صحيح): مسلم 2136.

النَّصِيحَةُ الوَاحِدَةُ وَالعِشْرُونَ: لاَ تُفَرِّطْ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ؛ فَصَلاَةُ الفَجْرِ نور

أَخُصُّهَا بالذّكْرِ هُنَا دُونَ غَيْرِهَا مِنَ الصّلَوَاتِ؛ لأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ يَنَامُونَ عَنْهَا؛ وَلاَ يَنْتَبِهُونَ لِفَضْلِهَا العَظِيمِ؛ فَكَمْ مِنْ مُسْلِمٍ لاَ يُصَلِّي الفَجْرَ! وَإِنْ كَانَ عَلَى سَفَرٍ لَمْ يَنَمْ طَوَالَ اللَّيْلِ!! وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ.

- نِدَاءٌ إِلى النّائِمِينَ عَنْهَا، أَيْنَ أَنْتُمْ مِنْ هَذا الفَضْلِ وَالنُّورِ؟!:

يَا أَيّهَا النّائِمُ عَنْ صَلاَةِ الفَجْرِ؛ أَلاَ تُحِبُّ أَنْ يَكُونَ لَكَ النُّورُ الّذِي تَسْعَى بِهِ عَلَى الصّرَاطِ يَوْمَ أَنْ يُعْطَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا نُورَهُ بقَدْرِ عَمَلِهِ الصّالِحِ، فَعَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيّ عَنِ النَّبيّ ﷺ قَالَ: «بَشّرْ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» لِذا كَانَ النّبيُّ ﷺ يُحَافِظُ عَلَى صَلاَةِ الفَجْرِ وَنَافِلَتِهِ؛ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: لَمْ يَكُنِ النَّبيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ مِنْهُ تَعَاهُدًا عَلَى رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ.

- الفَجْرُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ تَعَالَى:

الفَجْرُ آيَةٌ دَالّةٌ عَلَى كَمَالِ وَقُدْرَةِ اللهِ تَعَالى في كَوْنِهِ؛ فَالفَجْرُ آخِرُ اللّيْلِ وَأَوّلُ النّهَار؛ فِيهِ إِدْبَارُ اللّيْلِ وَإِقْبَالُ النّهَارِ، وَفيهِ آيَةٌ بَاهِرَةٌ، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا [الإسراء:12]

هَلْ تَعْرِفُ مَاذا كَانَ يَقُولُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا بَدَا لَهُ الفَجْرُ في السَّفَرِ؟! عَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذَا كَانَ في سَفَرٍ وَأَسْحَرَ يَقُولُ(1): «سَمِعَ سَامِعٌ بحَمْدِ اللهِ، وَحُسْنِ بَلائِهِ عَلَيْنَا، رَبَّنَا صَاحِبْنَا وَأَفْضِلْ عَلَيْنَا عَائِذًا باللهِ مِنَ النَّارِ»

وَهَلْ تَعْرِفُ مَاذا كَانَ يَقُولُ الرَّسُولُ عِنْدَ خُرُوجِهِ لِصَلاَةِ الفَجْرِ؟! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ أَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ عَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ شِمَالِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْظِمْ لِي نُورًا (2)».

- نِدَاءٌ إِلى المُبْتَلَيْنِ:

يَا أَيّهَا المبْتَلَى؛ قُمْ للهِ تَعَالى وَصَلِّ الفَجْرَ وأَبْشِرْ؛ فَإِنَّ فَأَشَدَّ سَاعَاتِ اليَوْمِ سَوَادًا هِيَ مَا قَبْلَ الفَجْرِ ثُمَّ يَنْبَثِقُ مِنْهَا نورُ الفَجْر، فَمَهْمَا طَالَ ظَلاَمُ اللَّيْلِ لاَ بُدَّ مِنْ نهَايَةٍ لَهُ، وَلاَ بُدَّ مِنْ طُلُوعِ الفَجْرِ، فالنُّورُ قَادِمٌ لاَ مَحَالَةَ مِنْ رَحِمِ الظّلْمَاءِ، فَكَمَا خَرَجَ هَذا النُّورُ في الدّنيَا فَإِنّ النّورَ العَظِيمَ لَنْ يُفَارِقَكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ فَالفَرَجُ يَخْرُجُ مِنْ رَحِمِ الشّدَّةِ وَالضّيقِ؛ فَكَمَا انْقَشَعَ الظّلاَمُ فَسَوْفَ يَزُولُ غَمُّكَ وَهَمُّكَ بإِذْنِ اللهِ تَعَالى مُفَرّجِ الكُرُبَاتِ؛ فالّذِي يُصَلّي الفَجْرَ في جَمَاعَةٍ يَسْتَبْشِرُ عِنْدَمَا يَسْمَعُ الأَذانَ، وَيَسْتَبْشِرُ ويَسْتَرِيحُ القَلْبَ والبَدَنَ عِنْدَمَا يُصَلِّي، فَقَدْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذَا حَزبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلاةِ، بَلْ كَانَ يَقُولُ ﷺلِبلالٍ«يَا بِلالُ أَقِمِ الصَّلاةَ أَرِحْنَا بِهَا»، ويَسْتَبْشِرُ عِنْدَمَا يَرَى النُّورَ وَهُوَ يَخْرُجُ مِنْ رَحِمِ الظّلاَمِ الحَالِكِ السّوَادِ.

(1) (صحيح): مسلم 2718.
(2) (صحيح): أبو داود 1353، سنن أبي داود (2 / 44).

- هَذِهِ نِعْمَةٌ مِنْ نِعَمِ القِيَامِ لصَلاَةِ الفَجْرِ:

وَمَنْ قَامَ لِلْفَجْرِ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ مِنَّةً عَظِيمَةً أُخْرَى باسْتِنْشَاقِ هَوَاءِ الصّحّةِ وَالطّاعَةِ وَالبَرَكَةِ -كَمَا أُحِبُّ أَنْ أُسَمِّيَهُ- فَأَصْحَابُ الفُجُورِ نَامُوا قَبْلَ الفَجْرِ بَسَاعَةٍ؛ حَتَّى لاَ يَسْمَعُوا أذَانَ الفَجْرِ الّذِي يُسَبِّبُ لَهُمْ إِزْعَاجًا شَدِيدًا، وَأَصْحَابُ الطّاعَةِ قَامُوا للهِ العَلِيِّ الكَبيرِ مُسْتَبْشَرِينَ خَيْرًا، فَالمعَاصِي حِينَئِذٍ قَلِيلَةٌ، وَالطّاعَاتُ كَثِيرَةٌ؛ وَمِنْ ثَمَّ تَجِدُ بَرَكَةَ رَبِّكَ في كُلِّ شَيْءٍ في هَذَا الوَقْتِ بخَاصَّةٍ! فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ يَقُولُ: حَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ(1): «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ؛ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ» وَاعْلَمْ أَنّهُ مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا وَعَاشَ عَلَيْهِ مَاتَ عَلَيْهِ وَبُعِثَ عَلَيْهِ؛ فَهَا هُوَ الفَارُوقُ قَبَضَهُ اللهُ وَهُوَ يُصَلِّي فِي المحْرَابِ، وَعُثْمَانُ وَهُوَ يَقْرَأُ في المصْحَفِ، وَهَذَا عَامِرُ بنُ عَبْدِاللهِ بنِ الزُّبَيْرِ مَاتَ وَهُوَ سَاجِدٌ للهِ العَلِيِّ الكَبِيرِ، وَآخَرُ مَاتَ وَهُوَ يَحُجُّ فَيُبْعَثُ مُلَبِّيًا إِنْ شَاءَ اللهُ، وَالنَّمَاذِجُ مُتَعَدِّدَةٌ.

- إِنْ لَمْ تَقُمْ لِصَلاَةِ الفَجْرِ وَأَنْتَ مُتَمَتِّعٌ بِصِحَّتِك، فَمَتَى سَتَقُومُ؟:

وَإِنْ لَمْ تَقُمْ أَنْتَ لِصَلاَةِ الفَجْرِ وَأَنْتَ مُتَمَتِّعٌ الآنَ بصِحَّتِكَ وَنعْمَةِ رَبِّكَ عَلَيْكَ فَمَتَى سَتَقُومُ للهِ العَلِيِّ القَدِيرِ؟ هَلْ سَتَقُومُ عِنْدَمَا تَمْرَضُ أَمْ سَتَقُومُ عِنْدَمَا تَعْجَزُ وَيُصيبُكَ الكِبَرُ؟! انْتَبِهْ .. فَأَيَّامُ العُمُرِ المتبقِيَةُ لِي وَلَكَ مَعْدُودَةٌ، فَكُلُّ يَوْمٍ يَمُرُّ عَلَيْكَ يُقَرِّبُكَ مِنَ الآخِرَةِ؛ فَمَاذا أَعْدَدْتَ لِلِقَاءِ رَبِّكَ؟!

(1) (صحيح): الترمذي 3579، صحيح الجامع 1173.

صَلاَةُ الفَجْرِ لَهَا فَضَائِلُ يَرَاهَا العَبْدُ المسْلِمُ في دنيَاهُ وَآخِرَتِهِ، مِنْها:

1- البُعْدُ عَنْ دُخُولِ النّارِ:

عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عُمَارَةَ بْنِ رُؤَيْبَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ(1): سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْني: الْفَجْرَ وَالْعَصْرَ.

2- فِي ذِمَّةِ اللهِ تَعَالَى:

عَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدُبَ بْنَ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِى ذِمَّةِ اللهِ فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَىْءٍ(2) فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ بِشَىْءٍ يُدْرِكْهُ فَيَكُبَّهُ فِى نَارِ جَهَنَّمَ(3)».

3- دُخُولُ الجَنَّةِ:

عَنْ أَبِى بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ (4): «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»؟ والبَرْدَانِ هُمَا: العَصْرُ وَالفَجْرُ، فَهَاتَانِ الصَّلاتَانِ تَشْهَدُهُمَا مَلائِكَةُ الليْلِ وَالنَّهَارِ؛

لِذَا حَثَّ عَلَيْهِمَا النَّبِيُّ ﷺ، وَالبَرْدَانِ: مُثَنَّى لَفْظَةِ بَرْدٍ، وَهُوَ وَقْتُ انْكِسَارِ حِدَّةِ حَرَارَةِ الشّمْسِ.

(1) (صحيح): مسلم 634.
(2) المراد بالذمة: الصـــلاة الموجبة للأمان، أي: لا تتركوا صـــلاة الصـــبح فينتقض به العهد الذي بينكم وبين ربكم فيطلبكم به.
(3) (صحيح): صحيح مسلم 657.
(4) (صحيح): البخاري 574، مسلم 635.

4- البُعْدُ عَنْ صِفَةِ النّفَاقِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ (1): «لَيْسَ صَلاةٌ أَثْقَلَ عَلَى الْمُنَافِقِينَ مِنْ الْفَجْرِ وَالْعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ الْمُؤَذِّنَ فَيُقِيمَ ثُمَّ آمُرَ رَجُلاً يَؤُمُّ النَّاسَ ثُمَّ آخُذَ شُعَلاً مِنْ نَارٍ فَأُحَرِّقَ عَلَى مَنْ لا يَخْرُجُ إِلَى الصَّلاةِ بَعْدُ» وَقَالَ عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُودٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ.

5- رُؤْيَةُ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى:

قَالَ جَرِيرُ بْن عَبْدِ اللهِ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ (لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ) فَقَالَ(2): «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ؛ لا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ(3)، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلَى صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» يَعْنِي: الْعَصْرَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ قَرَأَ جَرِيرٌ: وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَا [طه:130] أَيْ: تَرَونَهُ رُؤْيَةً مُحَقَّقَةً لاَ شَكَّ فِيهَا وَلاَ مَشَقَّةَ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ رُؤْيَةً مُحقَّقَةً بِلاَ مَشَقَّةٍ, فَهُوَ تَشْبِيهٌ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لاَ المَرْئِيّ بِالمرْئِيّ، وَالرُّؤْيَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالمؤْمِنِينَ, وَأَمَّا الكُفَّارُ فَلاَ يَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى.

(1) (صحيح): البخاري 657، مسلم 651.
(2) (صحيح): البخاري 4851.
(3) تضامون: لا تعجزون، ولا يُصيبكم ضَيْمٌ فِي رؤيته.

6- شَهَادَةُ مَلاَئِكَةِ اللَّيْلِ وَالنّهَارِ لَكَ:

هَذَا تَقْرِيرٌ مَرْفُوعٌ إلى مَلِكِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَنْكَ فِيهِ اسْمُكَ -أَيُّهَا الموَحّدُ- بِشَهَادَةِ المَلاَئِكَةِ كُلّهَا؛ فَلاَ يَفْقِدُكَ رَبُّكَ فِي هَاتَيْنِ الصَّلاَتَيْنِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ (1): «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الْفَجْرِ وَصَلاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟! فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ(2)» وَفِي رِوَايَةِ ابنِ خُزَيْمَةَ زِيَادَةٌ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ دُعَاءُ المَلائِكَةِ لِهَؤُلاَءِ المصَلّينَ (3): فَاغْفِرْ لَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ، فَمَا أَجْمَلَ هَذَا الدُّعَاءَ المَلاَئِكِيّ!.

(1) (صحيح): البخاري 555، مسلم 632.
(2) يتعاقبون: تأتي طائفة عقب طائفة, فيكم أي: فِي المصـــلين، ملائكة: هم الحفظة، الواو فِي قوله: يتعاقبون علامة الفاعل المذكر المجموع على لغة بلحارث، وهم القائلون: أكلوني البراغيث, ومثلها: ظلموني الناس، وعليها حمل الأخفش قوله تعالى: {وَأَسَـــرُّواْ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ هَلْ هَذَا إِلاَّ بَشَـــرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّـــحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِـــرُونَ} [الأنبياء3].
(3) (صحيح): صحيح الترغيب والترهيب (1 / 463).

النصيحة الثَّانِيَةُ وَالعِشْرُونَ: تَعَرَّضْ لِنَفَحَاتِ رَبِّكَ

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «افْعَلُوا الخَيْرَ دَهْرَكُم، وَتَعَرَّضُوا لِنفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ للهِ نَفحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَسَلُوا اللهَ أَنْ يَسْتُرَ عَوَرَاتِكُم، وَأَنْ يُؤمِّنَ رَوعَاتِكُم» مِنْ هَذِهِ النّفحَاتِ رَمَضَانُ؛ شَهْرُ الطَّاعَاتِ وَالنّفَحَاتِ وَسَحَائِبِ الرّحمَاتِ؛ نَفحَةٌ مِنْ نَفحَاتِ اللهِ إِلَيْكَ، ورَحْمَةٌ مِنْ رَحمَاتِ رَبّكُمْ إِلَيْكُمْ.

فَإِذا بَلَّغَكَ اللهُ مَوْسِمَ الخَيْرَاتِ وَالنَّفحَاتِ؛ فَرَمَضَانُ أعظمُ أيّامٍ، وَفَاكِهةُ الشّهُور عَلَى مَرِّ الزّمانِ، شَهرٌ كَرِيمٌ مُبَارَكٌ؛ لِذَا أُنْزِلَ فِيه القُرْءَان، رَمَضَانُ نَفْحَةٌ مُبَارَكَةٌ مِمَّنْ؟ مِنَ اللهِ الرَّحيمِ الرَّحمنِ، رَمَضَانُ بَيْنَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ مِثْلُ المصْطَفَى ﷺ بينَ الأنَامِ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ لَيْلَ رَمَضَانَ كَنَهَارِ رَمَضَانَ؛ فَانْتَبِهْ لِهَذَا الأَمْرِ جَيّدًا؛ فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَصُومُونَ نَهَارًا، وَيَفْعَلُونَ الموبِقَاتِ لَيْلاً، بِحُجَّةِ أَنَّ الصّيَامَ انْتَهَى، فَيَفْعَلُونَ لَيْلاً مَا صَامُوا عَنْهُ نَهارًا؛ أَقَولُ لَكَ نَاصِحًا: حَافِظْ عَلَى صَوْمِكَ نَقِيًّا، وَلاَ تُضِعْهُ -لَيْلاً- يَتَقَبَّلْهُ رَبُّكَ، فَأَنْتَ في عِبَادَةٍ عَظِيمَةٍ، فَاصْبِرْ عَلَى طَاعَةِ مَوْلاكَ الَّذِي خَلَقَكَ فَهَدَاكَ، كَيْفَ

تَصُومُ وَتَأْكُلُ الحَرَامَ؟! وَاللهُ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْكُلَ حَلاَلاً طَيِّبًا، قَالَ تَعَالى: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة:88] فَالطّعَامُ -يَا أَخِي الكَرِيمَ- أَنْتَ تَشْعُرُ بلَذَّتِهِ وَمَذَاقِهِ فَقَطْ عِنْدَمَا يَدْخُلُ فَمَكَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْتَ لاَ تَتَحَكَّمُ فِيهِ أَبَدًا، فالطّعَامُ لَوْ كَانَ حَلاَلاً طَيِّبًا مُبَارَكًا وَنَزَلَ عَلَى أَعْضَائِكَ الدّاخِلِيَّةِ الذَّاكِرَةِ المسبِّحَةِ أَصَابَهَا بالبَرَكَةِ وَالقُوَّةِ وَالمتَانَةِ، وَلَوْ كَانَ الطّعَامُ حَرَامًا خَبيثًا وَنَزَلَ عَلَى أَعْضَائِكَ الدّاخِلِيَّةِ الذَّاكِرَةِ المسبِّحَةِ أَصَابَهَا بالحَسْرَةِ وَالضّعْفِ وَالقُرْحَةِ وَالهُزَالِ وَالمَرَضِ، فَالإِنْسَانُ مِنَّا يَشْفَى بِإِذْنِ اللهِ بالطّعَامِ الحَلاَلِ، وَالإِنْسَانُ مِنَّا يَمْرَضُ بالطّعَامِ الحَرَامِ!.

أنَا العَبْدُ الَّذِي كَسَبَ الذُّنُوبا		وَغَرَّتْهُ الأمَـانِيُّ أنْ يَتُوبـا(1)
أنَا العَبْـدُ السَّقِيمُ مِنَ الخَطـايَا		وَقَـد أقبَلْـتُ ألتَمِسُ الطَّبِيبَـا
أنَا العَبْدُ المـفَرّطُ ضَاعَ عُمرِي		فَلَـمْ أرْعَ الشَّبِيبَـةَ وَالمشِـيبَـا
فَيَا خَـجَلاهُ مِنْ قُبْحِ اكْتِسَابِي		إذَا مَا أبدَتْ الصُّحُفُ العُيُوبَـا
ألاَ فَاقلَـعْ وتُـبْ واجهَـدْ		فَإنَّا رَأينـَا كُلَّ مُجْتَهِدٍ مُصِيبَـا
وَكُنْ للصَّـالِحِينَ أخـًا وَخِلاًّ		وكُـنْ في هـذِهِ الدُّنيَا غَرِيبَـا
وَقُلْ: أنـَا العَبْدُ الفَقِيرُ ظَلَـمتُ		نَفْسِي وَقـَدْ وَافَيْتُ بَابَكُم مُجيبَا
وَقُلْ: أنَا المقْطُوعُ فَارْحَمْ وَصِلْنِي		ويـسِّرْ مِنْـكَ لِي فَرَجًا قَرِيبـا

فَوَاللهِ إنَّهُ لمَخْذُولٌ؛ مَنْ؟! مَنْ أَطَالَ اللهُ عُمرَهُ فَأَدْرَكَ رَمضَانَ، وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ؛ وَمَحْرُومٌ مَنْ شَهِدَ مَوْسِمَ النَّفَحَاتِ وَهَذَا الفَيْضَ مِنَ الرَّحَمَاتِ وَلَمْ يَنْهَلْ مِنْهَا، فَمَتَى سَيَنْهَلُ؟! فَانْدَمْ وَتُبْ؛ فَيَفْرَحُ اللهُ بكَ وَهُوَ الغَنِيُّ عَنْكَ.

فَالصّيَامُ رَاحَةٌ لِلْبَدَنِ وَبخَاصَّةٍ البَطْنُ؛ فَالبَطْنُ الّتي تحْتَاجُ إلى رَاحَةٍ أُسْبُوعِيًّا فَيَأْتِيهَا صِيَامُ النّافِلَةِ لِتَسْتَرِيحَ؛ فَإذا مَا اسْتَرَاحَتِ البَطْنُ اسْتَرَاحَ البَدَنُ كُلُّهُ، وَهُنَاكَ حَدِيثٌ آخَرُ عَنْ ثوْبَانَ ت عَنِ النّبيّ ﷺ قَالَ(2): «جَعَلَ اللهُ الحَسَنَةَ بعَشْرِ أَمْثَالِها؛ الشَّهْرُ بعَشَرَةِ أَشْهُرٍ، وصِيَامُ سِتَّةِ أيَّامٍ بَعْدَ الشَّهْرِ تَمامُ السَّنَةِ».

(1) الإمام الصرصري: 588- 656هـ.
(2) (صحيح): صحيح الجامع 3094.

الصِّيَامُ المسْتَحَبُّ (صِيَامُ النَّوَافِلِ):

نسْتَطِيعُ أنْ نَجْمَعَ معْظَمَ أيّامِهِ في هَذا الحَدِيثِ؛ فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ ا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِهِ، قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِينَا باللهِ رَبًّا وَبالإِسْلامِ دِينًا وَبمُحَمَّدٍ رَسُولاً وَبِبَيْعَتِنَا بَيْعَةً، قَالَ(1): «فَسُئِلَ عَنْ صِيَامِ الدَّهْرِ، فَقَالَ: لا صَامَ وَلا أَفْطَرَ

أَوْ مَا صَامَ وَمَا أَفْطَرَ، قَالَ: فَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمَيْنِ وَإِفْطَارِ يَوْمٍ، قَالَ: وَمَنْ يُطِيقُ ذَلِكَ؟! قَالَ: وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمٍ وَإِفْطَارِ يَوْمَيْنِ؛ قَالَ: لَيْتَ أَنَّ اللهَ قَوَّانَا لِذَلِكَ، قَالَ: وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمٍ وَإِفْطَارِ يَوْمٍ، قَالَ: ذَاكَ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ عَلَيهِ السَّلام، قَالَ: وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ، قَالَ: ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ وَيَوْمٌ بُعِثْتُ أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ، قَالَ: فَقَالَ: صَوْمُ ثَلاثَةٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَمَضَانَ إلى رَمَضَانَ صَوْمُ الدَّهْرِ، قَالَ: وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، فَقَالَ: يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ، قَالَ: وَسُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ» ونسْتَطِيعُ أَنْ نُجْمِلَ صِيَامَ النّوافِلِ في الأيَّامِ الآتِيَةِ:

1- صِيَام سِتَّةِ أيَّامٍ منْ شَوَّالٍ بعْدَ رَمَضَانَ؛ لِيُكْمِلَ بهَا الأجْرَ (أجْر صِيَام الدّهْر، أيْ: السَّنَة) فَعَنْ ثَوْبَانَ ت عَنِ النّبيّ ﷺ قَالَ(2): «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ فَشَهْرٌ بِعَشَرَةِ أَشْهُرٍ، وَصِيَامُ سِتَّةِ أَيَّامٍ بَعْدَ الفِطْرِ فَذَلِكَ تَمَامُ صِيَامِ السَّنَةِ» فَاللهُ يُعَامِلُكَ بالفَضْلِ في الحَسَنَاتِ، وَيُعَامِلُكَ بالعَدْلِ في السّيئَاتِ.

(1) (صحيح): مسلم1162.
(2) (صحيح): أحمد 21906، صحيح الجامع 3851.

2- صِيَام الإِثْنَيْنِ والخَمِيس مِنْ كُلِّ أُسْبُوعٍ.

3- صِيَام ثَلاَثَةِ أيّامٍ مِنْ كُلِّ شهْرٍ، وَالأَوْلَى أن تَصُومَ: الثّالِثَ عَشَرَ وَالرَّابعَ عشَرَ وَالخَامِسَ عَشَرَ.

4- صيَام التّسْعِ الأُولى مِنْ ذِي الحِجَّة وَبخَاصّةٍ يَوْمُ عَرَفَةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ».

5- صِيَام أَكْثَرِ شَهْرِ المحَرَّمِ وَبخَاصَّةٍ التّاسِعُ وَالعَاشِرُ مِنْهُ، فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ت قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(2): «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ صَلاةُ اللَّيْلِ».

6- صيَام أَكْثَر شَهْرِ شَعْبَانَ.

7- صيَام يوْمٍ، وإفْطَارِ يَوْمٍ كِصِيَامِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السّلاَمُ.

8- وَلاَ تَنْسَ صِيَامَ السُّنَنِ في الشِّتَاءِ؛ فَالشّتَاءُ رَبيعُ وَغَنِيمَةُ المؤْمِنِ؛ يَقُومُ لَيْلَهُ الطَّوِيل، وَيَصُومُ نَهَارَهُ القَصِير، فَعَنْ عَامِرِ بْنِ مَسْعُودٍ الجُمَحِيِّ ت قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3): «الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ(4)».

(1) (صحيح): مسلم 1162.
(2) (صحيح): مسلم 1163.
(3) (حسن): أحمد18480، صحيح الجامع 3868.
(4) الغنيمة الباردة لوجود الثواب بلا تعب، فهي التي تجيء عفوًا من غير أن يصطلي دونها بنار الحرب، ويباشر حر القتال في البلاء.

لا تَحْرِمْ نَفْسَكَ بَيْتًا في الجَنَّةِ:

مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا في الجَنَّةِ، فَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ(1): «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ» قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- وَغَيْرُهَا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ.

وَلَكِنْ سَلْ نَفْسَكَ: كَيْفَ تُصَلِّيهَا؟ وَالإِجَابَةُ: لَقَدْ حَدَّدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَدِيثٍ آخَرَ؛ عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (2): «مَنْ ثَابَرَ عَلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ دَخَلَ الْجَنَّةَ؛ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ».

(1) (صحيح): أحمد 26228، مسلم 728.
(2) (صحيح): النسائي 1771، سنن النسائي (3 / 260).

النَّصِيحَةُ الثَّالِثَةُ وَالعِشْرُونَ: الْزَم هَذِهِ الصّفَاتِ؛ فَإِنَّهَا مُنجِيَةٌ

1- التَّحَلُّلُ مِنَ المَظَالِمِ:

عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ(1): «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلا دِرْهَمٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ» وَالمُرَادُ بالحَسَنَاتِ: الثَّوَابُ عَلَيْهَا، وَبالسّيئَاتِ: العقَابُ عَلَيْهَا؛ سَيّئَاتُ المؤْمِنِ -عَلَى أُصُولِ أَهْلِ السُّنةِ وَالجَمَاعَةِ- مُتَنَاهِيَةُ الجَزَاءِ أمَّا حَسَنَاتُهُ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةِ الجَزَاءِ؛ لأَنَّ مِنْ ثَوَابهَا الخُلُودَ في الجَنَّةِ, فَوَجْهُ الحَدِيثِ عِنْدِي -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنَّهُ يُعْطِى خُصَمَاءَ المؤمِنِ المسِيءِ مِنْ أَجْرِ حَسَنَاتِهِ مَا يُوَازِي عُقُوبَةَ سَيّئَاتِهِ؛ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ أُخِذَ مِنْ خَطَايَا خُصُومِهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُعَذَّبُ إِنْ لَمْ يُعْفَ عَنْهُ, فَإِذا انتَهَتْ عُقُوبَةُ تِلْكَ الخَطَايَا أُدْخِلَ الجَنَّةَ بِمَا كُتِبَ لَهُ مِنَ الخُلُودِ فِيهَا بِإِيمَانِهِ وَلاَ يُعْطَى خُصَمَاؤُهُ مَا زَادَ مِنْ أَجْرِ حَسَنَاتِهِ عَلَى مَا قَابَلَ عُقُوبَةَ سَيّئَاتِهِ يَعْنِي: مِنَ المضَاعَفَةِ؛ لأَنَّ ذلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ يَخْتَصُّ بِهِ مِنْ وَافَى يَوْمَ القِيَامَةِ مُؤْمِنًا.

(1) (صحيح): البخاري 6534.

2- تَسْلِيمُ النَّفْسِ للَّهِ:

اللهُ هُوَ المقِيتُ، فَالمقِيتُ الَّذِي أَوْصَلَ القُوتَ (الأَرْزَاق) لِكُلِّ البَشَرِ، وَالَّذِي يُوَصِّلُ القُوتَ لِكُلِّ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَاءِ جِسْمِكَ، فَإِذَا مَنَعَ عَنْهُ القُوتَ فَشَلَ هَذا العُضْوُ فَشَلاً ذرِيعًا، فَكَمْ مِنْ عَيْنٍ أُصِيبَتْ بالعَمَى؛ لأَنَّ المقِيتَ مَنَعَ عَنْهَا، القُوتَ أَيْ: مَا تُبْصِرُ بِهِ، وَكَمْ مِنْ أُذُنٍ أَصَابَهَا الصَّمَمُ، لأَنَّ المقِيتَ مَنَعَ عَنْهَا القُوتَ، أَيْ: مَا تسْمَعُ بِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ [البقرة:20].

وَكَمْ مِنْ لِسَانٍ أُصِيبَ بالخَرَسِ؛ لأَنَّ اللهَ مَنَعَ عَنْهُ القُوتَ! وَكَمْ مِنْ كُلًى فَشَلَتْ بسَبَبِ مَنْعِ القُوتِ عَنْهَا فَأُصِيبَتْ بفَشَلٍ كُلَوِيٍّ! وَكَمْ مِنْ قَدَمٍ أَصَابَهَا الشّلَلُ؛ لأَنَّ اللهَ مَنَعَ عَنْهَا القُوتَ! وَكَمْ مِنْ أَعْضَاء في أَجْسَامِ البَشَرِ فَشَلَتْ؛ لأَنَّ المقِيتَ مَنَعَ عَنْهَا القُوتَ!.وَكَمْ مِنْ إِنسَانٍ يَعِيشُ بَيْنَنَا -الآنَ- فِيهِ رُوحُهُ وَلَكِنْ مُعْظَمُ أَعْضَائِهِ -في بَدَنِهِ- فَاشِلَةٌ لِسَبَبٍ أَوْ لآخَر، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ [إبراهيم: 17] فَيَكُونُ هَذا المرَضُ عَذَابًا في الدُّنيَا وَإِفْلاَسًا في الآخِرَةِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ت عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ(1): «هَلْ تَدْرُونَ مَنِ المُفْلِسُ؟! قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ، قَالَ: إِنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلاَةٍ وَزَكَاةٍ؛ وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيُقْعَدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ؛ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ مِنْ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» وَصَدَقَ رَبُّنَا إِذ يَقُولُ: وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا [الإسراء:72].

(1) (صحيح): أحمد 7969، صحيح الترغيب والترهيب 2843.

3- دَوَامُ العَمَلِ الصَّالحِ:

الدّنيَا قَصِيرَةٌ وَالموْتُ قَادِمٌ لاَ مَحَالَةَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ تقَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ(2)» فَاعْمَلْ صَالِحًا قَبْلَ قُدُومِ الموْتِ؛ فَلاَ تسْتَطِيعُ وَقْتَهَا تَوْصِيَةً أَوْ رَجْعَةً؛ قَالَ اللهُ تَعَالى: فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ [يس:50] فَكَمْ مِنْ أُنَاسٍ -الآنَ- ضَمَّتْهُمُ القُبُورُ أَرَادُوا أَنْ يُوصُوا أَهْلِيهِمْ قَبْلَ مَوْتِهِم بثَوَانٍ مَعْدُودَةٍ وَلَوْ بكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا؛ لأَنَّ الموْتَ كَانَ أَسْرَعَ إِلَيْهِم مِنَ الكَلاَمِ، فَقَطَعَ عَلَيْهِمْ كُلَّ كَلاَمٍ، وَسَادَ الصَّمْتُ بَعْدَهَا المكَانَ بسَبَبِ تِلْكُمُ المصِيبَةِ؛ الموْت، قَالَ اللهُ تَعَالى: فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ [المائدة:106] وَمَاتَ دُونَ أَنْ يَقُولَهَا، وَحِيلَ

بَيْنَ هَؤُلاَءِ الأَمْوَاتِ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ، فَالمَوْتُ -بحَقٍّ- مُصِيبَةٌ؛ لأَنّهُ يُغَيِّرُ كُلَّ شَيْءٍ في حَيَاةِ المتَوَفَّى، يُغَيِّرُ مَالَهُ؛ مِنْ مَالٍ يَمْلِكُهُ إِلى تَرِكَةٍ أَوْ مِيرَاثٍ؛ يَتَوَارَثُهُ وَيَتَنَازَعُهُ الأَبْنَاءُ مِنْ بَعْدِهِ، وَيُغَيِّرُ مَنْصِبَهُ وَمَرْكَزَهُ الاجْتِمَاعِيَّ الرَّفِيعَ بَيْنَ النّاسِ؛ مِنْ مَنْصِبٍ كَبِيرٍ كَانَ يَتَقَلَّبُ فِيهِ -لَيْلَ نَهَارَ- إِلى جُثّةٍ هَامِدَةٍ.

لِذا دَاوِمْ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ وَلاَ تَتْرُكْهُ، فَعَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَمَةَ يُحَدِّثُ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺسُئِلَ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلى اللهِ، قَالَ (3): «أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ» فَالعَمَلُ الصَّالِحُ طَرِيقُكَ إِلى الجِنَانِ.

(1) (صحيح): الترمذي 3550، السلسلة الصحيحة 757.
(2) معنى الحديث: نهاية أكثر أعمار أمتي غالبًا ما بينهما، وأقلهم من يجوز ذلك: يتجاوز السبعين فيصل إلى المائة فما فوقها.
(3) (صحيح): مسلم 782.

4- حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ:

إنَّ اللهَ عَذَّبَ أُنَاسًا؛ لِسُوءِ أَعْمَالِهِم وَسُوءِ ظَنِّهِم برَبِّهِم؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح:6].

فَأَنْتَ مُقْبِلٌ عَلَى رَبٍّ كَرِيمٍ غَفُورٍ عَظِيم، وَكُلٌّ مِنَّا يُرِيدُ أَنْ يَخْتِمَ اللهُ لَهُ بخَاتِمَةٍ حسَنَةٍ؛ فَمَنْ مِنَّا يُرِيدُ سُوءَ الخِتَامِ، وَأَنْ يُلْقَى بهِ في النَّارِ؟! ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت:40] وَمِنَ المهِمّ جدًّا في حَيَاة العَبْدِ المؤْمِنِ قَبْلَ وَفَاتِهِ أنْ يُقْبِلَ الإنْسَانُ عَلَى رَبِّهِ بنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَنفْسٍ تَائِبَةٍ وَقَلْبٍ صَافٍ خَالٍ مِنَ الأَحْقَادِ وَالضَّغَائِنِ وَأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، يَرْجُو رَحمَةَ رَبِّهِ وَيَخْشَى عَذابَهُ، يَقْوَى رَجَاؤُهُ في رَحمَةِ اللهِ عَنْ خَوْفِهِ مِنْهُ وَبخَاصَّةٍ في سَاعَةِ احْتِضَارِهِ(1)، وَلاَ يَمُوتُ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ

باللهِ، فَعَنْ جَابرٍ بنِ عَبْدِ اللهِ ت حَيْثُ قَالَ(2): سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ قَبْلَ وَفَاتِهِ بثَلاثٍ يَقُولُ: «لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ باللهِ الظَّنَّ»

(1) رسالة: (دلائل الخيرات بما ينفع الأموات) للشيخ / محمود بن الجميل.
(2) (صحيح): مسلم 2877، أبو داود 3113، ابن ماجة 4167.

5- تَذَكُّرُ الموْتِ:

وَعَنْ أَنَسٍ ت أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِمَجْلِسٍ وَهُمْ يَضْحَكُونَ فَقَالَ(1): «أَكْثِرُوا مِنْ ذِكْرِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ أَحْسبُهُ قَالَ؛ فَإِنَّهُ مَا ذَكَرَهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ مِنَ العَيْشِ إلاَّ وَسَّعَهُ، وَلاَ فِي سَعَةٍ إلاَّ ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ».

كَيْفَ تَلْتَذُّ جُفُونِي بِالمَنَامِ	بَعْدَ شُرْبِ المصْطَفَى كَأْسَ الحِمَامِ
إنْ يَكُنْ غَابَ عَنِ الدُّنيَا فَفِي	جَنَّةِ الخُلْدِ لَهُ أَعْلَى مَقَامِ
إنَّمَا المقْدُورُ حَتْمٌ لاَزِمٌ	مَا لَنَا مِنْ بَأْسِهِ مِنِ اعْتِصَامِ
لَيْسَ فِي الدّنيَا بَقَاءٌ لامْرِئٍ	بَعْدَ مَوْتِ المصْطَفَى خَيْرِ الأَنَامِ

6- أَدَاءُ الحُقُوقِ الفَرْدِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ:

لاَ يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَشْغَلَهُ التّنَفُّلُ وَالتَّطَوُّعُ مِنْ صَلاَةٍ وَصِيَامٍ بِالغَفْلَةِ مِنْ حُقُوقِ نفْسِهِ وَحُقُوقِ الآخَرِينَ كَالزَّوْجَةِ وَالأَوْلاَدِ وَالأَضْيَافِ وَالجِيرَانِ وَالأَقَارِبِ وَالأَرَامِلِ وَالأَيْتَامِ وَغيرِهَا مِنَ الحُقُوقِ، فَالعِبَادَةُ الفَرْدِيَّةُ تَنْفَعُ صَاحِبَهَا، أَمَّا العِبَادَاتُ الاجْتِمَاعِيَّةُ فَتَنْفَعُ صَاحِبَهَا وَغَيْرَهُ أَيْضًا؛ لِذا.. فَلاَ تُفَرِّطْ فيهَا؛ قَالَ تَعَالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:114] فَحُقُوقُ الآخَرِين مُهِمَّةٌ جدًّا في حَيَاتِنَا؛ فَهِيَ في مِيزَانِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ فِعْلِ نوَافِلَ تُؤَدِّي إِلى تَضْيِيعِ حَقٍّ مِنَ الحُقُوقِ المهِمَّةِ؛ فَعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ

(1) (حسن): صحيح الترغيب والترهيب 3334.

قَالَ: آخَى النَّبيُّ ﷺبَينَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟! قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ في الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ، قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ؛ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ فَنَامَ، ثُمَّ ذهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبيَّ ﷺ فَذكَرَ ذلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: صَدَقَ سَلْمَانُ» وَلاَ تَنْسَ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ت قَالَ: قَالَ الرَّسُولُ ﷺ (1): «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَينِ؛ اليَتِيمِ وَالمَرْأَةِ(2)».

7- إِظْهَارُ نِعَمِ اللَّهِ:

قَالَ اللهُ تَعَالى: وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ [البقرة:211] فَعَنْ أَسْمَاءَ بنْتَ يَزِيدَ إِحْدَى نِسَاءِ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ قَالَتْ(3): مَرَّ بنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ في نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، وَقَالَ: «إِيَّاكُنَّ وَكُفْرَ المُنَعَّمِينَ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَمَا كُفْرُ المُنَعَّمِينَ؟! قَالَ: لَعَلَّ إِحْدَاكُنَّ أَنْ تَطُولَ أَيْمَتُهَا بَيْنَ أَبَوَيْهَا، وَتَعْنُسَ فَيَرْزُقَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ زَوْجًا، وَيَرْزُقَهَا مِنْهُ مَالاً وَوَلَدًا، فَتَغْضَبَ الغَضْبَةَ

(1) (حسن): أحمد 9374، صحيح الجامع 2447.
(2) إني أحرج: من التحريج أو الإحراج، أي: أضيق على الناس فِي تضييع حقهما أي: أن يضيع حق هذين الضعيفين؛ فاحذر من ذلك تحذيرًا بليغًا شديدا، وازجر عنه زجرًا أكيدًا.
(3) (صحيح): أحمد 27014، الأدب المفرد 1047.

فَرَاحَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ مِنْهُ يَوْمًا خَيْرًا قَطُّ» وَعَنْ أَبِي الأَحْوَصِ عَنْ أَبِيهِ ت قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ في ثَوْبٍ دُونٍ، فَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مِنْ أَيِّ المَالِ، قَالَ: قَدْ آتَانِي اللهُ مِنَ الإِبِلِ وَالغَنَمِ وَالخَيْلِ وَالرَّقِيقِ، قَالَ: فَإِذَا آتَاكَ اللهُ مَالاً فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ» وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ت قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «انْظُرُوا إِلى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلا تَنْظُرُوا إِلى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ».

8- لُزُومُ الدِّينِ:

دِينُكَ الإِسْلاَمُ هُوَ لَحْمُكَ وَدمُكَ؛ فَانظُرْ عَمَّنْ تَأْخُذُ هَذا الدِّينَ العَظِيمَ، خُذْ عَنِ الَّذِينَ اسْتَقَامُوا؛ وَلاَ تَأْخُذْ عَنِ الَّذِينَ مَالُوا، وَاعْلَمْ أَنَّكَ مَخْلُوقٌ لِلْجَنَّةِ؛ فَلاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ نفْسٌ مُسْلِمَةٌ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ(2): خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلى قُبَّةِ أَدَمٍ فَقَالَ: «أَلاَ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلاَّ نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ؛ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ اشْهَدْ، أَتُحِبُّونَ أَنَّكُمْ رُبُعُ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: أَتُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الجَنَّةِ مَا أَنْتُمْ فِي سِوَاكُمْ مِنَ الأُمَمِ إِلاَّ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَبْيَضِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الأَسْوَدِ» فَقُلْ: الحَمْدُللهِ عَلَى نِعْمَةِ الإِسْلاَمِ؛ فَالدِّينُ يُعْطِيهِ اللهُ لِمَنْ يُحِبُّ؛ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ت قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ«إِنَّ اللهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاقَكُمْ كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الدِّينَ إِلاَّ لِمَنْ أَحَبَّ؛ فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُسْلِمُ عَبْدٌ حَتَّى يَسْلَمَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ، وَلا يُؤْمِنُ حَتَّى يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ، قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ، وَلا يَكْسِبُ عَبْدٌ مَالاً مِنْ حَرَامٍ فَيُنْفِقَ مِنْهُ فَيُبَارَكَ لَهُ فِيهِ، وَلا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيُقْبَلَ مِنْهُ وَلا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلا كَانَ زَادَهُ إِلى النَّارِ.

---

(1) (صحيح): الترمذي 2513، صحيح الجامع 1507.
(2) (صحيح): مسلم 221.

9- لاَ فِرَارَ مِنَ المَوْتِ؛ فَانْتَبِهْ:

قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة:8] فَالإنسَانُ مِنَّا لاَ يَمْلِكُ عُمُرَهُ؛ إنّمَا يَمْلِكُ عَمَلَهُ؛ فَمِنَ الممْكِنِ أَنْ يَمُوتَ فَجْأَةً، فَكَيْفَ النّجَاةُ حِينَئِذٍ؟! فَعَنْ عُبَيْدِ بنِ خَالِدٍ السُّلَمِيِّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَوْتُ الفَجْأَةِ أَخْذَةُ أَسِفٍ».

أَلا كُلُّ مَولودٍ فَلِلمَوتِ يولَدُ	وَلَستُ أَرى حَيًّا عَلَيْهَا يُخَلَّدُ(1)
تَجَرَّد مِنَ الدُّنيَا فَإِنَّكَ إِنَّما	سَقَطْتَ إِلى الدُّنيا وَأَنتَ مُجَرَّدُ
وَأَفضَلُ شَيءٍ نِلْتَ مِنها فَإِنَّهُ	مَتاعٌ قَليلٌ يَضمَحِلُّ وَيَنفَدُ
وَكَمْ مِنْ عَزِيزٍ أَعْقَبَ الذُّلُّ عِزَّهُ	فَأَصْبَحَ مَذْمُومًا وَقَدْ كَانَ يُحْمَدُ!
وَكَم مِن عَزيزٍ أَذهَبَ الدَهرُ عِزَّهُ	فَأَصبَحَ مَرحُومًا وَقَد كَانَ يُحْسَدُ!
فَلا تَحمَدِ الدُّنيا وَلَكِن فَذُمَّها	وَما بَالُ شَيءٍ ذَمَّهُ اللهُ يُحْمَدُ

(1) الأبيات لأبي العتاهية؛ وهو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم (130- 211 هـ).

النَّصِيحَةُ الرَّابِعَةُ وَالعِشْرُونَ: كَيْفَ تَتَعَزَّى عِنْدَ فَقْدِ الأَعِزاءِ؟!

قَدَرُ اللهِ نازِلٌ بالعِبَادِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالى: قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً [الأحزاب:7] لَوْ قَالَ أَحَدٌ لَكَ: إِنَّني لَنْ أَمُوتَ وَسَأَنْجُو مِنْ هَذا القَدَرِ، هَلْ تُصَدِّقُهُ؟! لَوْ قَالَ أَحَدٌ لَكَ: إِنَّني لَنْ أَنَامَ لِمُدَّةِ أُسْبُوعٍ مَثلاً، هَلْ تُصَدِّقُهُ؟! الإجَابَةُ: لاَ، فَهُنَاكَ أَشْيَاءُ تُصِيبُ الإنْسَانَ وَغَيْرَه مِنَ الكَائِنَاتِ الأُخْرَى؛ وَلاَ تُصِيبُ الرَّحِيمَ الرَّحمَنَ - سُبْحَانَهُ وتَعَالى - وَهِيَ: المَوْتُ وَالنّسْيَانُ وَالعَجْزُ وَالنّومُ وَاللُّغُوبُ وَالإعيَاءُ وَالجَهْلُ وَالغَفْلَةُ وَالظّلْم، فَلَقَدْ نَفَى اللهُ المَوْتَ عَنْ نفْسِهِ فَقَالَ تَعَالى: وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ [الفرقان: 58].

- وَنَفَى النّسْيَانَ فَقَالَ تَعَالى: فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى [طه:52].

- وَنفَى العَجْزَ فقَالَ تَعَالى: وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ [فاطر: 44].

- ونفَى النّوْمَ فَقَالَ تَعَالى: لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ [البقرة: 255].

- وَنَفَى النَّصَبَ وَالتَّعَبَ فَقَالَ تَعَالى: وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ [ق: 38].

- وَنَفَى الظّلْمَ فَقَالَ تَعَالى: مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ [فصلت:46].

- ونَفَى الإعْيَاءَ فَقَالَ تَعَالى: أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ [الأحقاف:33].

أَلَمْ تَعْرِفْ أَنّكَ أَتيتَ إلى الدّنيَا بلاَ اخْتِيَارٍ مِنْكَ، وَستَخْرُجُ مِنهَا -أيضًا- بلاَ اخْتِيَارٍ مِنْكَ؛ فَحيَاتُكَ وَمَوْتُكَ لَيْسَا بيَدِكَ، وَاخْتِيَارُ نَوْعِكَ ذكَرًا كُنْتَ أَوْ أُنْثَى، وَاخْتِيَارُ أَبيكَ وَأُمّكَ كَذلِكَ، وَسَاعَتَا مِيلاَدِكَ وَمَوْتِكَ لَيْسَتَا بيَدَيْكَ، فَاللهُ هُوَ المحْيِي المميتُ؛ قَالَ اللهُ تعَالى: ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس:56] وَإنّي سَائِلُكَ سُؤَالاً أَخِيرًا، هَلْ زَوَّجْتَ أُمَّكَ لأَبيكَ؟! هَلْ اخْتَرْتَ إخْوَانَكَ؟ إنّهَا أَشْيَاء لَيْسَتْ بيَدِكَ، أَلَيْسَ كَذلِكَ؟! قُلْ: بَلَى.

وَالمَوْتُ أَمْرٌ؛ كُلُّنَا مُسَيَّرٌ فِيهِ؛ لَيْسَ بإرَادَتِنَا، وهُوَ مَكْتُوبٌ عَلَى الجَمِيع؛ وَكُلٌّ مِنَّا لَهُ سَاعَتُهُ المحَدَدَّةُ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:61] لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء:34]

أيْ: أَفَإِن مِّتَّ أَنْتَ؛ وَأَنْتَ حَبيبُ اللهِ وَرَسُولُهُ ﷺ؛ فَمَنْ أَوْلَى بالخُلُودِ مِنْكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! هَلْ هُنَاكَ شَخْصٌ آخَرُ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَسْتَحِقُّ الخُلُودَ وَأَنْتَ يُقْضَى عَلَيْكَ بالمَوْتِ؟! بَلْ وَمَاتَ مُعْظَمُ أَبْنَائِهِ امَامَ عَيْنَيْهِ في حَيَاتِهِ، فَقَدْ دَفَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوْلاَدَهُ بيَدَيْهِ إلاَّ فَاطِمَةَ فَقَدْ مَاتَتْ بَعْدَهُ بسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَهَذا دَرْسٌ عَظِيمٌ مِنْ حَيَاةِ النَّبيِّ ﷺ تَتَعَزَّى بهِ.

تَاللهِ لَوْ عَاشَ الفَتَى فِي عُمرِهِ		أَلْفًا مِنَ الأَعْوَامِ مَالِكَ أَمْرِهِ
مُتَلَذِّذًا فِيهَا بكُلِّ نَعِيم		مُتَنَعِّمًا فِيهَا بنُعْمَى عَصْرِهِ
مَا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي أَنْ يَفِيَ		بمَبيتِ أَوَّلِ لَيْلَةٍ فِي قَبْرِهِ

تِلْكُمُ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي دِينَارٍ؛ وَاسْمُهَا هِنْدُ بِنْتُ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ؛ شَقِيقَةُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرٍو الَّذِي كَلَّمَهُ الله كِفَاحًا بغَيْرِ حِجَابٍ بَعْدَ اسْتِشْهَادِهِ في غَزْوَةِ أُحُدٍ؛ وَزَوْجَةُ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ

ا وَأُمُّ خَلاَّدِ بنِ عَمْرِو بنِ الجَمُوحِ هَذِهِ المرْأةُ يَمُوتُ لَهَا في غَزْوَةِ أُحُدٍ ثَلاثَةُ رِجَالٍ؛ ابْنُهَا وَأَخُوهَا وَزَوْجُهَا، وَفي رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيّ: وَأَبُوهَا (1)، إِنَّهَا ضَعِيفَةُ البَدَنِ عَظِيمَةُ الإيمَانِ، يَأْتِيهَا النَّاعِي المَرَّةَ تِلْوَ المَرَّةِ وَيُخْبِرُهَا الخَبَرَ، وَهِيَ صَابرَةٌ ثَابتَةُ الجَأْشِ فَتَحْتَسِبُهُم جَمِيعًا عِنْدَ الله ثُمَّ تَقُولُ لِلنَّاعِي: دُلّني عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَيَقُول لَهَا: هُوَ بخَيْرٍ كَمَا تُحِبِينَ، وَلَمْ يَرْقَأْ لَهَا جَفْنٌ، وَلَمْ تَقرّ لَهَا عَيْنٌ؛ حَتَّى رَأَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرْأى العَيْنِ فَنَظَرَتْ إِلَيهِ، وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ تَهُونُ(2) .. يَا لِعِظَمِ صَبْرِ هَذِهِ المَرْأَةِ وَعِظَمِ إِيمَانِهَا، إِنَّهَا تَتَعَزَّى برُؤْيَةِ النَّبيِّ ﷺ سَالِمًا أَمَامَهَا عَلَى فَقَدِ ثَلاثَةٍ مِنْ أَعْظَمِ الرِّجَالِ.

يَا مَنْ فَقَدْتَ عَزِيزاً . رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ:

لاَ بُدَّ وَأَنْ تَعْلَمَ بدَايَةً أَنَّ رَسُولَ اللهِ فقَدْ أَوْلاَدَهُ كُلَّهُمْ في حَيَاتِهِ إلاَّ فَاطِمَةَ، وَفَاطِمَةُ الزَّهْرَاء أُمُّ الحَسَنَيْنِ؛ الحَسَن وَالحُسَيْن، وَهِيَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِهِ لُحُوقًا بهِ بَعْدَ مَوْتِهِ- وَصَبَرَ رَسُولُ اللهِ وَاحْتَسَبَ هَذا الأَمْرَ عِنْدَ اللهِ؛ وَاللهُ -جَلَّ وَعَلاَ- هُوَ الَّذِي وَهَبَ الأَوْلاَدَ لَكَ؛ وَهُوَ الَّذِي تَوَفَّاهُمْ، وَهُوَ القَادِرُ عَلَى ذهَابِ غَمِّكَ وَهَمِّكَ وَإِبْدَالِ ذلِكَ حَسَنَاتٍ، قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:18]

(1) الطبراني (8 / 244)، ولزيادة الاطلاع راجع البحث القيم بعنوان: (محبة النبي الأمين) للشـــيخ / معاوية هيكل حفظه الله .. بمجلة التوحيد عدد ربيع الآخر 1428هـ.
(2) البداية والنهاية لابن كثير.

فَالإِنسَانُ مِنَّا مَهْمَا زَادَ إِيمَانُهُ يَحْتَاجُ إِلى كَلاَمِ سَيِّدِ المرْسَلِينَ لِيَزْدَادَ إِيمَانًا، فَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبيهِ عَنْ جَدِّهِ -وَكَانَ لِجَدِّهِ صُحْبَةٌ- أَنَّهُ خَرجَ زَائِرًا لِرَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَبَلَغَهُ شَكَاتُهُ قَالَ: فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَتَيْتُكَ زَائِرًا عَائِدًا وَمُبَشِّرًا، قَالَ: كَيْفَ جَمَعْتَ هَذَا كُلَّهُ؟! قَالَ: خَرَجْتُ وَأَنَا أُرِيدُ زِيَارَتَكَ فَبَلَغَتْنِي شَكَاتُكَ فَكَانَتْ عِيَادَةً، وَأُبَشِّرُكَ بشَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ(1): «إِذَا سَبَقَتْ لِلْعَبْدِ مِنَ اللهِ مَنْزِلَةٌ لَمْ يَبْلُغْهَا بعَمَلِهِ ابْتَلاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ أَوْ فِي مَالِهِ أَوْ فِي وَلَدِهِ ثُمَّ صَبَّرَهُ؛ حَتَّى يُبْلِغَهُ المَنْزِلَةَ الَّتِي سَبَقَتْ لَهُ مِنْهُ» فَسَعَادَةُ العَبْدِ كُلُّ السَّعَادَةِ أَنْ يَمُوتَ يَوْمَ يَمُوتُ؛ وَتَمُوت ذنُوبُهُ مَعَهُ، إِمَّا بتَكْفِيرِهَا أَوْ بغُفْرَانِ اللهِ لَهَا، فَأَنْتَ تَعيشُ في رَحمَةِ اللهِ، وَإِنْ مِتَّ فَأَنْتَ آمِنٌ مَرْحُومٌ بِإِذنِهِ تَعَالى.

وَلَقَدْ خَصَّصْتُ لَكَ هَذِهِ النّصِيحَةَ لِتَتَعَزَّى، فَرَسُولُ اللهِ ﷺ يُبَشِّرُكَ يَا مَنْ فَقَدْتَ وَلَدَكَ أَوْ عَزِيزًا لَدَيْكَ فَصَبَرْتَ، وَاحْتَسَبْتَهُ عِنْدَ اللهِ فَأَبْشِرْ، يَقُولُ اللهُ تَعَالى (2): «مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلا الجَنَّةُ» وَهَذا حَدِيثٌ آخَرُ قُدْسِيّ مِنْ حَبيبِ قَلْبِكَ النَّبيِّ ﷺ رَوَاهُ لَنَا عَنْ رَبِّهِ العَلِيِّ(3): «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ» وَهَا هُوَ الرَّسُولُ ﷺ يُبَشِّرُ أُمَّ حَارِثَةَ بنِ سُرَاقَةَ بقَوْلِهِ(4): «يَا أُمَّ حَارِثَةَ؛ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى» وَإِلَيْكَ هَذا الحَدِيثَ المؤَثِّرَ؛ لَعَلَّكَ يَا مَنْ فَقَدْتَ وَلَدَكَ تَحْتَسِبُهُ عِنْدَ اللهِ؛ فَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ(5):

(1) (صحيح): أحمد 21833، صحيح الترغيب والترهيب 3409.
(2) (صحيح): أحمد 9127، البخارى 6424.
(3) (صحيح): أحمد 19226، صحيح الجامع 795.
(4) (صحيح): البخاري 2809، مسلم 1904.
(5) (صحيح): سنن النسائي (4 / 22)، السلسلة الصحيحة 370.

«أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: أَتُحِبُّهُ؟ فَقَالَ: أَحَبَّكَ اللهُ كَمَا أُحِبُّهُ! فَمَاتَ فَفَقَدَهُ فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا يَسُرُّكَ أَنْ لا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ إِلا وَجَدْتَهُ عِنْدَهُ يَسْعَى؛ يَفْتَحُ لَكَ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَلَهُ خَاصَّةً أَمْ لِكُلِّنَا(1)؟ قَالَ: بَلْ لِكُلِّكُمْ» هَذا الأَمْرُ في حَالَةِ مَنْ لَهُ وَلَدٌ أَوْ عَزِيزٌ لَدَيْهِ وَفَقَدَهُ؛ أَمَّا الَّذِي لاَ يُنْجِبُ مَثَلاً لِسَبَبٍ أَوْ لآخَرَ فَعَلَيْهِ -أَيْضًا- أَنْ يَصْبرَ وَيَحْتَسِبَ؛ فَلاَ أَحَدَ يَدْرِي؟! لَعَلَّ اللهَ فَرَّغَهُ لِعِبَادَتِهِ وَادَّخَرَهُ لَهُ، وَأَخْلَى قَلْبَهُ لِذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَعِبَادَتِهِ؛ وَلَعَلَّهُ لَوْ رُزِقَ الوَلَدَ لَكَان هَذا الوَلَدُ سَبَبًا في بُعْدِ هَذا الرَّجُلِ عَنْ رَبِّهِ بفِعْلٍ أَوْ بآخَرَ، فَلاَ أَحَدَ مِنَّا يَعْلَمُ أَيْنَ يَكُونُ الخَيرُ؟!.

وَهَا هِيَ أُمُّكَ عَائِشَةُ؛ البِكْرُ الوَحِيدَةُ الَّتي تَزَوَجَّهَا النَّبيُّ ﷺ، وَتِلْكُمْ خُصُوصِيَّةٌ لَهَا؛ لَمْ يَثْبُتْ عَنْهَا أَنّهَا دَعَتِ اللهَ بقَوْلِهَا: اللَّهُمَّ ارْزُقْني الوَلَدَ، أَوْ قَالَتْ لِلنَّبيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ ادْعُ اللهَ لِي أَنْ يَرْزُقَني مِنْكَ الوَلَدَ لأَنّي أُحِبُّك؛ لاَ لَمْ يَحْدُثْ؛ فَاللهُ فَرَّغ قَلْبَهَا مِنْ حُبِّ الوَلَدِ لِخِدْمَةِ النّبيّ ﷺ، بَلْ كَانتْ لاَ تصُومُ مَا عَلَيْهَا مِنْ صِيَامِ الفَرِيضَةِ إِلاَّ بَعْدَ أَحَدَ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ رَمَضَان، فَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- تَقُولُ(2): كَانَ يَكُونُ عَلَيَّ الصَّوْمُ مِنْ رَمَضَانَ فَمَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَقْضِيَهُ إِلاَّ في شَعْبَانَ؛ الشُّغْلُ برَسُولِ اللهِ ﷺ؛ وَأَنتَ

---

(1) لنا خاصة: أي لشرف وجودك بيننا تكريمًا وتعظيمًا لنا هذا الثواب المبارك.
(2) (صحيح): مسلم 1146.

كَذلِكَ يَا مَنْ لَمْ يَمُنَّ اللهُ عَلَيْكَ بالوَلَدِ؛ رُبَّمَا خُلِقْتَ لِشَيْءٍ عَظِيمٍ لاَ تعْلَمُهُ؛ اللهُ يَعْلَمُهُ، وَالوَلَدُ يَشْغَلُكَ عَنْهُ؛ فَاحْمَدِ اللهَ تَعَالى، فَهَذا قَدَرُ اللهِ لَكَ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَنْ يَخلُقُوا ذُبَابَةً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهَا! فَعَسَى أَنْ يَكُونَ عَدَمُ الإنْجَابِ فِيهِ خَيرٌ عَظِيمٌ عَلَى صَبْرِ هَذا الرَّجُلِ أَوِ المَرْأَةِ فَيَرفَعَ اللهُ دَرَجَتَهُمَا في الجَنَّةِ؛ بصَبْرِكَ عَلَى المصِيبَةِ فَإِنَّ اللهَ يُعَوّضُكَ خَيرًا مِنْهَا؛ فَعَنْ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ (1): «اشْتَكَى ابْنٌ لأَبِي طَلْحَةَ قَالَ: فَمَاتَ؛ وَأَبُو طَلْحَةَ خَارِجٌ، فَلَمَّا رَأَتْ امْرَأَتُهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ هَيَّأَتْ شَيْئًا، وَنَحَّتْهُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَلَمَّا جَاءَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: كَيْفَ الغُلامُ؟ قَالَتْ: قَدْ هَدَأَتْ نَفْسُهُ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَرَاحَ، وَظَنَّ أَبُو طَلْحَةَ أَنَّهَا صَادِقَةٌ، قَالَ: فَبَاتَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَعْلَمَتْهُ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺبِمَا كَانَ مِنْهُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا، قَالَ سُفْيَانُ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ لَهُمَا تِسْعَةَ أَوْلادٍ؛ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَأَ القُرْءَانَ(2)».

مَا أَرْحَمَ اللَّهَ! حَتَّى السِّقْط يَجُرُّ أُمَّهُ إِلَى الجَنَّةِ:

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَنِ النَّبيِّ ﷺقَالَ(3): «وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ إِنَّ السِّقْطَ لَيَجُرُّ أُمَّهُ بسَرَرِهِ إِلى الجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ» قَوْلُهُ: سَرَرُهُ هُوَ مَا تقْطَعُهُ القَابلَةُ، وَهُوَ السُّرُّ بالضَّمِّ أَيْضًا (الخَلاَص)، وَأَمَّا السُّرَّةُ فَهِيَ: مَا يَبْقَى بَعْدَ القَطْعِ.

(1) (صحيح): البخاري 1301.
(2) الابن المذكور هو أبو عمير الذي كان النبي يمازحه ويقول له: «يا أبا عمير ما فعل النغير».
(3) (صحيح): الترمذي 1663، صحيح الجامع 2799.

احْتِسَابُ الوَلَدِ عِنْدَ اللهِ يُثَقِّلُ الميزَانَ:

احْتِسَابُ الوَلَدِ عِنْدَ اللهِ لَهُ جَزَاءٌ عَظِيمٌ، وَيُثَقِّلُ الميزَانَ كَذِكْرِ اللهِ؛ فَعَنْ أَبِي سَلاَّمٍ عَنْ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ (1): «بَخٍ بَخٍ(2).. خَمْسٌ مَا أَثْقَلَهُنَّ فِي المِيزَانِ؛ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَالوَلَدُ الصَّالِحُ يُتَوَفَّى فَيَحْتَسِبُهُ وَالِدَاهُ وَقَالَ: بَخٍ

بَخٍ لِخَمْسٍ مَنْ لَقِيَ اللهَ مُسْتَيْقِنًا بِهِنَّ دَخَلَ الجَنَّةَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ وَبِالجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ وَالحِسَابِ».

ابْنُكَ المتَوَفَّى فِي الجَنَّةِ وَأَنْتَ مَعَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ:

لَقَدْ بَشَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَطْفَالَ المسْلِمِينَ بالجَنَّةِ إذا مَاتُوا صِغَارًا، فَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ قَالَتْ: دُعِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلى جَنَازَةِ صَبيٍّ مِنَ الأَنْصَارِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ طُوبَى لِهَذا، عُصْفُورٌ مِنْ عَصَافِيرِ الجَنَّةِ لَمْ يَعْمَلِ السُّوءَ وَلَمْ يُدْرِكْهُ، قَالَ ﷺ(3): «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يَا عَائِشَةُ؛ إِنَّ اللهَ خَلَقَ لِلجَنَّةِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا، وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلاً خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلابِ آبَائِهِم» وَعَنْ أَبِي حَسَّانَ قَالَ: تُوُفِّيَ ابْنَانِ لِي، فَقُلْتُ لأَبِي هُرَيْرَةَ: سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا تُحَدِّثُنَاهُ يُطَيِّبُ بأَنْفُسِنَا عَنْ مَوْتَانَا، قَالَ: «نَعَمْ صِغَارُهُمْ دَعَامِيصُ الجَنَّةِ، يَلْقَى أَحَدُهُمْ أَبَاهُ أَوْ قَالَ: أَبَوَيْهِ، فَيَأْخُذُ بِنَاحِيَةِ ثَوْبِهِ أَوْ يَدِهِ كَمَا آخُذُ بِصَنِفَةِ ثَوْبِكَ هَذَا فَلا يُفَارِقُهُ؛ حَتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ الجَنَّةَ(4)».

(1) بخ بخ: كلمة تقال عند استحسان العمل والثواب.
(2) (صحيح): أحمد 15235، صحيح الجامع 2817.
(3) (صحيح): مسلم 2662.
(4) دعاميص: مفردها الدُّعْموصُ: وهو دُوَيْبَّةٌ أو دُودَةٌ سَوْداءُ تكونُ في الغُدْرانِ أو مستنقع الماء كثيرة الحركة لا تكاد تستقر، الأطْفالُ دَعاميصُ الجَنَّةِ: سَيَّاحُونَ في الجَنَّةِ لا يُمْنَعونَ من بَيْتٍ، فعَبَّرَ بذلك على سبيل التشبيه البليغ، بصنفة ثوبك: طرف الثوب، فَيَأْخُذُ بِنَاحِيَةِ ثَوْبِهِ: يتعلق به كما يتعلق الإنسان بثياب من يلازمه، لا ينتهي: لا يتركه.

هَنِيئًا لِمَنْ يُعَزِّي أَخَاهُ:

فَالعَزَاءُ: الصَّبْرُ، وَالتَّعْزِيَةُ التَّصْبِيرُ وَالحَمْلُ عَلَى الصَّبْرِ بِذِكْرِ مَا يُسَلِّي المصَابَ، وَيُخَفِّفُ حُزْنَهُ، وَيُهوِّنُ عَلَيْهِ مُصِيبَتَهُ، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ «مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَزّي أَخَاهُ بِمُصِيبَةٍ إِلا كَسَاهُ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حُلَلِ الكَرَامَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ» فَرَبُّكَ رَبٌّ رَحِيمٌ لَطِيفٌ، وَنَبيُّكَ نَبيٌّ حَلِيمٌ شَرِيفٌ ﷺ، وَأَنْتَ بَيْنَهُمَا عَبْدٌ ضَعِيفٌ؛ وَلَنْ يَضِيعَ الضَّعِيفُ بَيْنَ رَبٍّ لَطِيفٍ وَنَبيٍّ شَرِيفٍ؛ فَأَنْتَ تُعَزّي أَخَاكَ وَلِسَانُ حَالِكَ يَقُولُ كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالى:

إِنّي أُعَزّيكَ لا أَنّي عَلَى طَمَعٍ		مِنَ الخُلودِ وَلَكِن سُنَّةُ الدّينِ
فَمَا المُعَزَّى بباقٍ بَعدَ صَاحِبِهِ		وَلا المُعَزّي وَإِنْ عَاشَا إِلى حِينِ

بِشَارَةٌ لِمَنْ مَاتَ خَارِجَ البِلاَدِ :

لَوْ مَاتَ عَزِيزٌ لَدَيْكَ خَارِجَ البلاَدِ فَأَبْشِرْ؛ فَلَهُ مِنَ الخَيْرِ الكَثِيرِ وَمِنَ الثّوَابِ العَظِيم؛ وَلْنَأْخُذْ مِثَالاً حَدَثَ لأَحَدِ الصّحَابَةِ؛ وَهُوَ الصّحَابِيُّ الجَلِيلُ ضَمْرَةُ بنُ جُنْدُب الَّذِي فَازَ بأَجْرٍ عَظِيمٍ، عِنْدَمَا خَرَجَ مُهَاجرًا -وَهُوَ الرَّجُلُ المُسِنُّ حَيْثُ كَانَ عُمْرُهُ وَقْتَهَا يُنَاهِزُ الثّمَانِينَ عَامًا- قَالَ لأَهْلِهِ: أَخْرِجُونِي مِنْ أَرْضِ المُشْرِكِينَ، وَاحْمِلُونِي إِلى أَرْضِ النَّبيِّ ﷺثُمَّ مَاتَ في الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَلْحَقَ بالنَّبيِّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِ قُرْآنًا:

وَهَنِيئًا لَهُ بشَارَةً أُخْرَى مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَيْثُ مَاتَ رَجُلٌ بِالمَدِينَة مِمَّنْ وُلِدَ بِهَا، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ قَالَ(1): «يَا لَيْتَهُ مَاتَ بغَيْرِ مَوْلِدِهِ، قَالُوا: وَلِمَ ذَاكَ يَا رَسُولُ اللهِ؟! قَالَ ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَاتَ بغَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مُنْقَطِعِ أَثَرِهِ فِي الجَنَّةِ(2)» لِذَا .. فَقَدْ جَعَلَ اللهُ القَتْلَ عَدِيلَ الخُرُوجِ وَالهِجْرَةِ في سَبِيلِ اللهِ فَقَالَ تَعَالى: وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ [النساء:66] بَلْ وَجَعَلَ اللهُ تَعَالى الَّذِينَ هَاجَرُوا كَالَّذِينَ أُخْرِجُوا وَالَّذِينَ أُوذُوا فِي سَبِيلِهِ كَالمقَاتِلِينَ وَالشُّهَدَاءِ، فَقَالَ: فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ [آل عمران:195].

(1) (حسن): ابن ماجة1614، صحيح سنن ابن ماجة 1832.

(2) يكون مُلْكُهُ فِي الجنة يُقَاسُ من موضـع مولده إلى موضـع وفاته، والله لمن يضـاعف لمن يشـاء، شـريطة ألاَّ يموت على بدعة.

النَّصِيحَةُ الخَامِسَةُ وَالعِشْرُونَ: احْذَرْ أَمْرَاضَ الكَلاَمِ

مَنْ كَثُرَ كَلاَمُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ، وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ، وَمَنْ كَثُرَتْ ذُنُوبُهُ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ! فَكُلُّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مَكْتُوبَةٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:18] وَهَذِهِ بَعْضُ أَمْرَاضِ الكَلاَمِ فَاحْذَرْهَا:

1- الكَذِبُ عَلَى اللهِ وَرَسُولِهِ:

مِنْ أَعْظَمِ الكَذِبِ أَنْ يَكْذِبَ الإِنْسَانُ عَلَى اللهِ وَالنّبيِّ الكَرِيمِ ﷺ، فَهَذا الأَمْرُ مِنْ أَعْظَمِ الذّنُوبِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ﴾ [يونس:69] وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (1): «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ(2)».

2- الغِيبَةُ وَالبُهْتَانُ:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبيِّ ﷺأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: مَا الغِيبَةُ؟ قَالَ(3): «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: وَإِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ، قَالَ: فَإِنْ

كَانَ فِيهِ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ» قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتًا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:12].

---

(1) (صحيح): البخاري 107.
(2) متعمدا: قاصـــدا الكذب علي لغرض من الأغراض، لا أنه وقع فيه خطأ أو ســـهوا، فليتبوأ مقعده من النار، أي: فليتخذ منزله منها، يقال: تبوأ الدار إذا اتخذها سكنا.
(3) (صحيح): مسلم 2589.

إذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلا تُجِبْهُ		فَخَيْرٌ مِنْ إجَابَتِهِ السُّكُوتُ
فَإنْ كَلَّمْتَهُ فرَّجْتَ عَنْهُ		وَإنْ أهْمَلْتَهُ كَمَدًا يَمُوتُ

3- إِفْشَاء أَسْرَارِ الزّوْجِ أَوِ الزّوْجَةِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ (1): «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلاَنُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ(2)».

إذَا الَمَرْءُ أفْشَى سِرَّهُ بِلَسَانِهِ		وَلامَ عَلَيهِ غَيرَهُ فَهُوَ أحْمَقُ
إذَا ضَاقَ صَدْرُ المَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ		فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرّ أضْيَقُ

(1) (صحيح): البخاري 6069، مسلم
(2) معافي: يعفو الله تعالى عن زلته بفضله ورحمته، المجاهرون: المعلنون بالمعاصي والفسوق، المجاهرة: وفي رواية (المجانة): وهي الاستهتار بالأمور وعدم المبالاة بالقول أو الفعل.

4- التّحْذِيرُ مِنْ حَصَائِدِ الأَلْسِنَةِ السّيّئَةِ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا، أي: لِسَانه، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ».

5- لاَ تَتَحَدَّث بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ:

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ«كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».

6- البُعْد عَنِ الفُحْشِ وَالتّفَحُّشِ:

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ (1): «ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَلاَنَ لَهُ الكَلاَمَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي القَوْلِ؟ فَقَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ».

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ نَاسٌ يَأْتُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنَ اليَهُودِ فَيَقُولُونَ: السَّامُ (المَوْتُ) عَلَيْكَ، فَيَقُولُ: وَعَلَيْكُمْ، فَفَطَنِتْ بِهِمْ عَائِشَةُ فَسَبَّتْهُمْ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَهْ يَا عَائِشَةُ؛ فَإِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلا التَّفَحُّشَ».

(1) (صحيح): البخاري 6131، مسلم 2591.

7- ذُو الوَجْهَيْنِ المنَافِق:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ، يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ(1)».

8- الطَّعْنُ وَاللَّعْنُ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلا اللَّعَّانِ، وَلا بِالْفَاحِشِ، وَلا بِالبَذِيءِ».

9- احْذَرْ كَثْرَةَ الكَلاَمِ :

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».

(1) من شر الناس: من أسوَئِهِم خلقا وأكثرهم فسادا، ذا الوجهين: المنافق الذي يتخذ مواقف مختلفة، ويتلَوَّنُ حسب المصلحة الخاصة.

10- لاَ تَحْقِرِ المسْلِمِينَ أَوْ تَسْخَر مِنْهُم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لا تَحَاسَدُوا، وَلا تَنَاجَشُوا، وَلا تَبَاغَضُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَلا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ».

11- سَبُّ القَدَرِ وَالمَرَضِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ، فَقَالَ: مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ أَوْ تُزَفْزِفِينَ (تَرْتَعِدِينَ)؟! قَالَتْ: الحُمَّى؛ لا بَارَكَ اللهُ فِيهَا، فَقَالَ ﷺ(1): «لا تَسُبِّي الحُمَّى؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ».

12- النّمِيمَة:

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ (2): «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لا يَسْتَنْزِهُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» وعَنْ حُذَيْفَةَ، أَنَّهُ بَلَغَهُ عَنْ رَجُلٍ يَنُمُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ(3): سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: « لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ».

(1) (صحيح): مسلم 2575، الترمذي 2250.
(2) (صحيح): البخاري 218، مسلم 292.
(3) (صحيح): مسلم 105.

13- قَذْفُ المحْصَنَاتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ(1): «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ باللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ»

قَالَ اللهُ تَعَالى: وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ .

14- التَّحَايُلُ بحُسْنِ الكَلاَمِ لأَخْذِ حَقٍّ لَيْسَ لَهُ:

فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ(2): «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِي عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، فَلاَ يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ».

(1) (صحيح): البخاري 2766.
(2) (صحيح): البخاري 7168، مسلم 1713.

15- تَرْكُ المِرَاءِ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَتَرْكُ الكَذِبِ:

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «أَنَا زَعِيمٌ ببَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ (حَوَالَي الْجَنَّةِ وَأَطْرَافِهَا) لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَان مُحِقًّا، وَببَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَان مَازِحًا، وَببَيْتٍ فِي أَعْلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّن خُلُقَه(2)».

16- تَرْكُ الكَذِبِ وَلُزُومُ الصّدْقِ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ(3): «إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إلى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إلى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إلى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا».

17- النّزَاعُ وَالغَضَبُ وَالخِصَامُ بسَبَبِ اللّسَانِ وَالكَلاَمِ:

قَالَ اللهُ تَعَالى: وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ [البقرة:204] وَعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ(4): «إنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إلى اللهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ(5)».

(1) (حسن): أبو داود 4800، صحيح سنن أبي داود 253/4.
(2) رَبَضِ: حَوَالَي الْجَنَّةِ وَأَطْرَافِهَا لاَ فِي وَسَطِهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ خَارِجًا عَنِ الجَنَّةِ، وَسَط: أَعْلَى الجنَّة وَأَحْسَنُهَا، المِرَاءُ: الْجِدَالُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَقَعَ صَاحِبُهُ فِي اللِّجَاجِ المُوقِعِ فِي الْبَاطِلِ.
(3) (صحيح): البخاري 6094، مسلم 2607.
(4) (صحيح): البخاري 2457، مسلم 2668.
(5) الألد الخصم: المعوج عن الحق المولع بالخصومة والماهر بها، والألد لُغَةً الأعوج.

18- المَدْحُ الزّائِدُ المذْمُومُ وَالإِفْرَاطُ فِيهِ:

المَدْحُ الّذِي فِيهِ إفْرَاطٌ وَتَفْرِيطٌ زَائِدٌ عَنِ الحَدّ يَعُودُ عَلَى المَمْدُوحِ بالفِتْنَةِ وَالسُّوءِ، أَمَّا إذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَلاَ بَأْسَ بهِ، فَعَنْ عَبْدِ الرَّحمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَثْنَى رَجُلٌ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ النَّبيّ ﷺفقَالَ(1): «وَيْلَكَ قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ، قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لاَ مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ فُلاَنًا، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلاَ أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا، إنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ» وَأُذَكّرُكَ هُنَا بِمَا قَالَهُ ابنُ هَانِئٍ الأنْدُلُسِيّ في مَدْحِ المعِزّ لدِينِ اللهِ في مبَالغَةٍ شَدِيدَةٍ:

مَا شِئتَ لاَ مَا شَاءَتِ الأقْدارُ		فاحكُمْ فأنتَ الواحدُ القهّارُ!!
وكأنّمَا أنْتَ النبيُّ مُحمّدٌ		وكأنّمَا أنْصَارُكَ الأنْصَارُ!!

(1) (صحيح): البخاري 2662، مسلم 2291.

النَّصِيحَةُ السَّادِسَةُ وَالعِشْرُونَ: زَوْجُكِ مِنْ أَعْظَمِ البَشَرِ فِي حَيَاتِكِ بَعْدَ النَّبِيِّ صل الله عليه وسلم

قُلْتُ في نَفْسِي: سُبْحَانَ اللهِ! الإنْسَانُ مِنّا يَدْفَعُ الكَثِيرَ وَالكَثِيرَ مِنْ وَقْتِهِ وَمَالِه وَجُهْدِهِ حَتَّى يَتَزَوَّجَ، وَرُبَمَا يَمُنُّ عَلَيْهِ رَبُّهُ -بَعْدَ الزّوَاجِ- فَيَهَبُهُ بِنْتًا، فَيَقُومُ هَذَا الرّجُلُ بتَأْدِيبِهَا وَتَرْبيَتِهَا وَتَعْلِيمِهَا وَالإنْفَاقِ عَلَيْهَا وَتَزْوِيجِهَا ثُمَّ يَأْتِي عَرُوسُهَا لِيَأْخُذَهَا إلى بَيْتِ الزّوْجِيَّةِ بَعْدَ دَفْعِ مَهْرِهَا ثُمَّ تَأْتِي نُصُوصُ القُرْآنِ الصّرِيحَةُ وَالأَحَادِيثُ الصّحِيحَةُ لِتُخْبرَنَا أَنَّ حَقَّ هَذَا الزّوْجِ -الّذِي أَخَذَهَا مِنْ أَبيهَا بِكَلِمَةِ اللهِ وَعلَى سُنّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ- أَعْظَمُ مِنْ حَقِّ أَبيِهَا عَلَيْهَا! وَأَبُوهَا هُوَ الّذِي أَنْفَقَ عَلَيْهَا وَفَعَلَ كَذا وَكَذا فَإِذَا مَا انْتَقَلَتِ الفَتَاةُ إِلَى بَيْتِ الزّوْجِيَّةِ فَإِنَّهَا تَأْتَمِرُ بِأَوَامِرِ زَوْجِهَا في طَاعَةِ اللهِ؛ لأَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْهَا؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:

«كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ..... ».

وطَاعَةُ الزَّوْجِ مُقَدَّمَةٌ في دِينِنَا عَلَى طَاعَةِ الآخَرِينَ لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ مِنْهَا:

1- أَمْرُ الزَّوْجِ مُقَدَّمٌ عَلَى غَيْرِهِ؛ لأَنَّهُ سَيِّدٌ فِي بَيْتِهِ:

إِذًا نَسْتَطِيعُ القَوْلَ بَعْدَ هَذِهِ المقَدّمَةِ: لَوْ تَعَارَضَ أَمْرَانِ؛ أَمْرُ الوَالِدَيْنِ وَأَمْرُ الزَّوْجِ؛ وَكِلاَ الأَمْرَيْنِ فِيهِ طَاعَةٌ للهِ؛ وَرُبَّمَا يَظْهَرُ تَعَارُضٌ مَا بَيْنَ الطَّاعَتَيْنِ؛ حَيْثُ قَالَ لَكِ زَوْجُكِ: افْعَلِي كَذَا، وَقَالَ لَكِ وَالِدَاكِ: لاَ تَفْعَلِيهِ، فَلِمَنْ الطَّاعَةُ حِينَئِذٍ؟! الطَّاعَةُ تَكُونُ لِلزَّوْجِ؛ لِعِظَمِ حَقِّهِ عَلَى امْرَأَتِهِ -فَلَيْسَ في الدّنيا كُلِّهَا أَغْلَى عِنْدَ المَرْأَةِ المُؤْمِنَةِ مِنْ زَوْجِهَا- وَهَذَا أَمْرٌ شَرْعِيٌّ مَعْرُوفٌ بَيْنَ أَهْلِ العِلْمِ- ثُمَّ تُحَاوِلُ الزَّوْجَةُ بَعْدَ ذلِكَ أَنْ تَسْتَرْضِيَ أُمَّهَا أوْ أبَاهَا بِكَلاَمٍ حَسَنٍ: وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا [البقرة:83] وَلاَ شَكَّ أَنَّ الأُمَّ وَالأَبَ هُمَا أَوْلَى النّاسِ بِهَذَا الكَلاَمِ الطَّيِّبِ الحَسَنِ.

لَيْسَ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُطِيعَ أَبَوَيْهَا في مُخَالَفَةِ أَمْرِ زَوْجِهَا؛ لأَنَّ طَاعَةَ زَوْجِهَا أَوْجَبُ عَلَيْهَا مِنْ طَاعَةِ أَبَوَيْهَا؛ فَلَيْسَ لَهَا أَنْ تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِ زَوْجِهَا إلاَّ بِإِذْنِهِ سَوَاء أَمَرَهَا أَبُوهَا أَوْ أُمُّهَا بِالخُرُوجِ، وَلاَ تُدْخِلْ بِيْتَهُ مَنْ يَكْرَه، فَالقُرْآنُ الكَرِيمُ سَمَّى الرَّجُلَ سَيِّدًا في مَنْزِلِهِ، قَالَ اللهُ تَعَالى: وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِ [يوسف:25] فَالرَّجُلُ -حِينَئِذٍ- آمِرٌ وَالمَرْأَةُ مَأْمُورَةٌ، فَالسّيِّدُ هُوَ المُطَاعُ أَمْرُهُ في قَوْمِهِ، وَكَانَتْ امْرَأَةُ أَبِي الدّرْدَاءِ ا تُنَادِي عَلَيْهِ بِقَوْلِهَا: يَا سَيِّدِي.

2- مَكَانَةُ الزّوْجِ عَظِيمَةٌ:

لَيْسَ مَعْنَى هَذَا أَنَّهَا مِنَ العَبِيدِ، فَلاَ يَجُوزُ لَهَا أَنْ تُدْخِلَ أَحَدًا بَيْتَهُ يَكْرَهُهُ إلاَّ بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ إلاَّ بِإِذْنِهِ، وَلاَ تَأْتِي بِأَفْعَالٍ سَيِّئَةٍ وَأَقْوَالٍ تُسِيءُ إلَيْهِ، فَسَمَاعُ أَقْوَالِ وَأفْعَالِ الزَّوْجِ، وَطَاعَتُهُ فِي المعْرُوفِ حَثَّتْ عَلَيْهِ الشَّرِيعَةُ؛ لِمَا لِلزَّوْجِ مِنْ مَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ، فَهَا هُوَ مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ لَمَّا قَدِمَ مِنْ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبيِّ

قَالَ: مَا هَذَا يَا مُعَاذُ؟! قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ، فَوَدِدْتُ في نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «فَلا تَفْعَلُوا؛ فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللهِ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا؛ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِيَ عَلَى قَتَبٍ(2) لَمْ تَمْنَعْهُ».

3- زَوْجُكِ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ:

عَنِ الحُصَيْنِ بْنِ مِحْصَنٍ أَنَّ عَمَّةً لَهُ أَتَتِ النَّبيَّ ﷺ في حَاجَةٍ فَفَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا فَقَالَ لَهَا النَّبيُّ ﷺ (3): «أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟! قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟! قَالَتْ: مَا آلُوهُ إلاَّ مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، قَالَ: فَانْظُرِي أَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ؛ فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ» بَلْ لَوْ طَلَبَتِ المَرْأَةُ

(1) (حسن): ابن ماجة 1853، صحيح سنن ابن ماجة 595/1.
(2) قَتَب: الهودج، ما يوضع على ظهر البعير للركوب، عَلَى قَدْر سنَامِ الجَمَلِ، وجمعه أَقْتَاب.
(3) (صحيح): أحمد 18524، صحيح الترغيب والترهيب 1933.

الطّلاَقَ دُونَ سَبَبٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ؛ فَعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ».

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ في الخُلْعِ(2): «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اخْتَلَعَتْ مِنْ زَوْجِهَا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ لَمْ تَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ(3)».

4- عِظَمُ حَقِّ الزَّوْجِ عِنْدَ الوَفَاةِ وَالحِدَادِ:

لَقَدْ جَعَلَ الشَّارِعُ الحَكِيمُ حِدَادَ الزَّوْجَةِ عَلَى الزَّوْجِ أَعْظَمَ الحِدَادِ؛ لِعَظَمِ حَقِّهَا؛ قَالَ اللهُ تَعَالى: وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [البقرة:234] فَتَلْزَمُ المَرْأَةُ بَيْتَهَا؛ وَلاَ تُغَادِرْهُ طُوَالَ فَتْرَةَ العِدَّةِ، وَإِنْ خَرَجَتْ مِنَ المَنْزِلِ لاَ تَخْرُجْ إلاَّ لِضَرُورَةٍ قُصْوَى، وَلاَ تَضَعْ زِينَةً، وَلاَ تَتَهَيَّأْ لِلرِّجَالِ لِيَخْطُبُوهَا؛ وَمَا عَدَا الزَّوْجَ فَإِنَّهَا تُحِدُّ عَلَى أَيِّ مَيتٍ عَزِيزٍ لَدَيْهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَقَطْ، وَلاَ تَزِيدُ عَنْ ذَلِكَ ثُمَّ تَنْسَى أَحْزَانَهَا وَتَتَهَيَّأُ لِزَوْجِهَا، فَعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ (4): «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُحِدُّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثٍ إلاَّ عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا» ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ حِينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَمَسَّتْ بِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ

(1) (صحيح): الترمذي 1187، إرواء الغليل 7.
(2) (صحيح): الترمذي 1186، جامع الترمذي (3 / 492).
(3) فحرام عليها رائحة الجنة أي: ممنوع عنها، وذلك على نهج الوعيد والمبالغة في التهديد.
(4) (صحيح): البخاري 1282، مسلم 1486.

يَقُولُ: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ تُحِدُّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاثٍ إلا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا».بَلْ مِنْ عَجِيبِ الأَمْرِ إِذَا كَانَ الرّجُلُ عَاقِدًا ولَمْ يَبْنِ بَعْدُ بِالمعْقُودِ عَلَيْهَا ثُمَّ مَاتَ عنْهَا فَإِنَّ الزّوْجَةَ لَهَا عِدَّةٌ؛ وَتَأْخُذُ المهْرَ كُلَّهُ وَتَرِثُهُ إِنْ كَانَ قَدْ تَرَكَ مَالاً.

5- طَاعَةُ الزّوْجِ تُؤَدِّي إِلَى الجَنَّةِ:

طَاعَةُ المَرْأَةِ زَوْجَهَا لَهَا مَا لَهَا مِنَ الثّوَابِ العَظِيمِ؛ فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (1): «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ» أَمَّا عِصْيَانُ الزّوْجَةِ فَيَكُونُ سَبَبًا فِي غَضَبِ اللهِ عَلَيْهَا؛ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (2): «ثَلاثَةٌ لا تُجَاوِزُ صَلاتُهُمْ آذَانَهُمْ؛ الْعَبْدُ الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ».

(1) (صحيح): أحمد 1664، صحيح الجامع 660.
(2) (حسن): سنن الترمذي 360، صحيح الجامع 3057.

6- زَوْجُكِ يَرِثُ فِيكِ أَكْثَرَ مِنْ أَبِيكِ:

وَهَذَا الأَمْرُ -أَيْضًا- مِنْ عِظَمِ حَقِّ الزّوْجِ عَلَى زَوْجَتِهِ، فَزَوْجُكِ عِنْدَ وَفَاتِكِ يَرِثُ النّصْفَ فِي تَرِكَتِكِ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكِ وَلَدٌ مِنْهُ، وَآيَةُ النِّسَاءِ تُفَصّلُ ذَلِكَ؛ أَمّا أَبُوكِ وَأُمُّكِ فَحَقُّهُمَا فِي المِيرَاثِ أَقَلُّ مِنْ حَقّ الزّوْجِ لِعِظَمِ فَضْلِهِ وَحَقِّهِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ [النساء:12].

النَّصِيحَةُ السَّابعَةُ وَالعِشْرُونَ: ابْنِ لِنَفْسِكَ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ

1- لِمَنْ بَنَى مَسْجِدًا:

دَعْنِي أُبَشِّرْ بُنَاةَ المَسَاجِدِ، أُبَشِّرْهُمْ بقَوْلِ نَبِيِّهِمْ، فَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ(1): «مَنْ بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ».

2- لِمَنْ صَلَّى الضُّحَى أَرْبَعًا :

عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (2): مَنْ صَلَّى الضُّحَى أَرْبَعًا، وَقَبْلَ الأُولَى أَرْبَعًا بنيَ لَهُ بِهَا بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ، المرَادُ بقَوْلِهِ ﷺ: وَقَبْلَ الأُولى أَيْ: قَبْلَ صَلاَةِ الظّهْرِ؛ فَإِنّهَا أَوَّلُ الصَّلَوَاتِ المفْرُوضَةِ في لَيْلَةِ الإسْرَاءِ، وَهِيَ أَوَّلُ الفَرَائِضِ المفعُولَة في الضُّحَى.

3- لِمَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً:

عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ(3): مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ.

(1) (صحيح): أحمد 17874، صحيح الجامع 1269.
(2) (حسن): صحيح الجامع 6340.
(3) (صحيح): أحمد 26228، مسلم 728، أبو داود 1250.

4- لِمَنْ دَعَا رَبَّهُ عِنْدَ نَوْمِهِ بِهَذَا الدُّعَاءِ:

عَن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ(1): إِذَا اضْطَجَعَ الرَّجُلُ فَتَوَسَّدَ يَمِينَهُ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَسْلَمْتُ نَفْسِي، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ إِلَيْكَ ظَهْرِي، وَوَجَّهْتُ إِلَيْكَ وَجْهِي رَهْبَةً مِنْكَ وَرَغْبَةً إِلَيْكَ؛ لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ أَوْ بُوِّئَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ.

5- لِمَنْ صَبَرَ عَلَى فَقْدِ الوَلَدِ:

هَذَا حَدِيثٌ قُدْسِيّ مِنْ حَبِيبِ قَلْبِكَ النَّبيّ ﷺ رَوَاهُ لَنَا عَنْ رَبِّهِ العَلِيّ(2): إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللهُ لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا في الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ.

6- لِمَنْ سَدَّ فُرْجَةً رَفَعَهُ اللَّهُ دَرَجَةً:

عَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- قَالَتْ(3): قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَنْ سَدَّ فُرْجَةً فِي صَفٍّ رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ.

(1) (صحيح): البخاري 6313، مسلم 2710.
(2) (صحيح): أحمد 19226، صحيح الجامع 795.
(3) (صحيح): صحيح الترغيب والترهيب (505/1).

النَّصِيحَةُ الثَّامِنَةُ وَالعِشْرُونَ: زُرِ المَرْضَى لِتَعْرِفَ نِعْمَةَ الصِّحَّه

1- أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟!

أهِيبُ بِإِخْوَانِنَا أَنْ يَحْرِصُوا عَلَى زِيَارَةِ إِخْوَانِهِمُ المَرْضَى قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِم، فَسَيَجِدُونَ عِنْدَهُمْ رَبَّ العَالَمِينَ بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ؛ حَتَّى لاَ يُعَاتِبَهُمْ رَبُّهُمْ، كَمَا وَرَدَ في الحَدِيثِ القُدْسِيِّ الطَّوِيلِ؛ وشَاهِدُنَا فِي الحَدِيثِ قَوْلُ رَبِّنَا -عَزَّ وَجَلَّ- يَوْمَ الْقِيَامَةِ(1): «يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلاَنًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟! يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟!» شَاهِدِي مِنَ الحَدِيثِ: لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي مَعَ الإِطْعَامِ وَالسُّقْيَا، فَإِنْ لَمْ تُطْعِمْهُ أَنْتَ أَوْ تَسْقِهِ أَطْعَمَهُ أَوْ سَقَاهُ غَيْرُكَ، أَمَّا مَعَ المَرِيضِ فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟! لِمَاذا؟! لأَنّهُ إِنْ لَمْ يَشْفِهِ اللهُ فَمَنْ ذا الَّذِي يَشْفِيهِ؟! فَالمَرِيضُ يُصْبحُ مُنْكَسِرَ القَلْبِ؛ لَدَيْهِ الرّغْبَةُ فِي التَّوْبَةِ، وَالإِخْلاصُ فِي العَوْدَةِ إِلى رَبِّهِ، فَاللهُ عِنْدَهُ .. لِمَاذا؟ لَيَجْبُرَهُ كَسْرَهُ، وَيَشْفِيَهِ مِنْ مَرَضِهِ.

بَلْ وَيُطْعِمُهُ رَبُّهُ -جَلَّ وَعلاَ- وَيَسْقِيهِ، فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ -رَضِىَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تُكْرِهُوا مَرْضَاكُمْ عَلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ؛ فَإِنَّ اللهَ يُطْعِمُهُمْ وَيَسْقِيهِم()».

(1) (صحيح): أحمد 8989، مسلم 2569.

2- مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ:

انْظُرْ إِلى مَعِيَّةِ اللهِ عِنْدَ المرِيضِ؛ فَالمَرِيضُ مُنْكَسِرٌ، فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَجْبُرَ انْكِسَارَهُ بِهَذِهِ المعِيَّةِ بلاَ تَمْثِيلٍ أَوْ تَشْبِيهٍ أَوْ تَعْطِيلٍ؛ فَتِلْكُمُ مَعِيَّةُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ؛ فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ حَتَّى يَجْلِسَ؛ فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا».

3- صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ:

لَكَ فَضْلٌ عَظِيمٌ آخَرُ؛ حَيْثُ قَالَ عَلِيٌّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا عَادَ الرَّجُلُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ مَشَى فِي خِرَافَةِ الْجَنَّةِ(2)؛ حَتَّى يَجْلِسَ فَإِذَا جَلَسَ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، فَإِنْ كَانَ غُدْوَةً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ؛ وَإِنْ كَانَ مَسَاءً صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبحَ». وَعَنْ ثَوْبَانَ ا مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ قَالَ(3): «إِنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ وَمَا خُرْفَةُ الْجَنَّةِ، قَالَ: جَنَاهَا (4)».

4- طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاك وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً:

وَهَاكُمْ ثَوَابًا عَظِيمًا آخَرَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (5): «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلاً» فَاحْرِصْ عَلَى زِيَارَةِ إِخْوَانِكَ فِي اللهِ، وَذَكِّرْهُم بِثَوَابِ اللهِ وَفَضْلِ إِقَامَةِ الصَّلاةِ تَفُزْ بِأَجْرٍ عَظِيمٍ -إِنْ شَاءَ اللهُ- وَتُبْعَثْ آمِنًا يَوْمَ القِيَامَةِ.

---

(1) (صحيح): أحمد 13848، صحيح الترغيب والترهيب (3 / 3477).
(2) خرافة أو خريف: ثمار عظيمة من ثمار الجنة يخرفها ويجتنيها ويأكلها.
(3) (صحيح): أحمد 21868، مسلم 2568، الترمذى 967.
(4) الخرفة: ما يُخترف من النخل حين يُدرك، أفاده صاحب النهاية.
(5) (صحيح): أحمد 8331، الترمذى 2008، صحيح الجامع 6387.

النَّصِيحَةُ التَّاسِعَةُ وَالعشْرُونَ: فَكِّرْ جَيِّدًا؛ كَيْفَ تُصْلِحُ لِسَانَكَ؟!

رَسُولُ اللهِ ﷺ قُدْوَتُكَ في ذلِكَ؛ فَعَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ «يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ العَادُّ لأَحْصَاهُ(1)».

الصَّمْتُ وَقْتَ اللُّزُومِ:

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ(2): «مَنْ صَمَتَ نَجَا» وَقَدْ جَعَلَ اللهُ للإِنْسَانِ لِسَانًا وَأُذُنَيْنِ لِيَسْمَعَ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَكَلَّمُ.

الانْشِغَالُ بِمَا يُفِيدُ كَزِيَارَةِ المَرْضَى وَشُهُودِ الجَنَائِزِ:

فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْتِي ضُعَفَاءَ المُسْلِمِينَ وَيَزُورُهُمْ، وَيَعُودُ مَرْضَاهُمْ، وَيَشْهَدُ جَنَائِزَهُمْ».

الالْتِزَامُ بفَضَائِلِ الأَعْمَالِ:

فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ(3): «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اؤْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُم».

(1) (صحيح): البخاري 3567، مسلم 2298.
(2) (صحيح): صحيح الجامع 6367, الصحيحة 536.
(3) (صحيح): أحمد 22809، السلسلة الصحيحة 1470.

قَوْلُ الخَيْرِ:

فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ عَنِ النبيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَان يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَان يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَان يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيرًا أَوْ لِيَسْكُتْ».

أَنْ تَكُونَ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ لاَ مِفْتَاحًا للشَّرِّ:

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ».

العِلْمُ بثَوَابِ الذّكْرِ:

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ اعَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ(2): «مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ لا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إلا وَجْهَهُ إلاَّ نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ: أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ» وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إلى اللهِ تَعَالى؟! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(3): «أنْ تُفَارِقَ الدّنْيَا وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ».

(1) (حسن): صحيح الجامع 2223.
(2) (صحيح): أحمد 12045، صحيح الجامع 5507.
(3) (صحيح): مشكاة المصابيح 2270.

أَنْ تُكْثِرَ مِنْ سُؤَالِ اللهِ الجَنَّةَ:

فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(1): «مَنْ سَأَلَ الجَنَّةَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ الجَنّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ».

الإِكْثَارُ مِنَ الكَلاَمِ الطَّيِّبِ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(2): «إِنَّ مُوجِبَاتِ المغْفِرَةِ بَذْلَ السّلاَمِ وَحُسْنَ الكَلاَمِ».

(1) (صحيح): ابن ماجة 1453، صحيح الجامع 6275.
(2) (صحيح): صحيح الجامع 2232.

النَّصِيحَةُ الثَّلَاثُونَ: ادْعُ اللهَ بحُسْنِ الخَاتِمَةِ

هُنَاكَ عَلاَمَاتٌ بَيِّنَاتٌ نَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى حُسْنِ الخَاتِمَةِ؛ فَأَيّمَا امْرِئ مَاتَ بِإِحْدَاهَا كَانَتْ بشَارَةً لَهُ؛ وَيَا لَهَا مِنْ بِشَارَةٍ! فَاغْتَنِمْ أَوْقَاتَكَ في الخَيْرِ قَبْلَ الموْتِ، وَلاَ تَتَمَنَّ الموْتَ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ت قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (1): «لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ؛ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلاَّ خَيْرًا».

الأُولَى: حُبُّ لِقَاءِ اللهِ ونُطْقُهُ بِالشَّهَادَةِ عِنْدَ الموْتِ:

مَنْ أَحَبَّ اللهَ فَإِنَّهُ يُكْثِرُ مِنْ ذِكْرِهِ، وَيُدَافِعُ عَنْهُ وَيَدْفِعُ عَنْهُ الأَذَى بِتَوْحِيدِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ وَتَسْبِيحِهِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ وَالتَّذَلُّلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيُحِبُّ لِقَاءَهُ، فَعَنْ أَنَسٍ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ (2): «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكِ؛ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ».. وَعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ت قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (3): «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلامِهِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

(1) (صحيح): مسلم 2682.
(2) (صحيح): البخاري 6507، مسلم 2683.
(3) (صحيح): أبو داود 3116، صحيح الجامع 6479.

الثَّانِيَةُ: الموْتُ بِرَشْحِ الجَبِينِ:

فَعَنِ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّه كَانَ بِخُرَاسَانَ فَعَادَ أَخًا لَهُ وَهُوَ مَرِيضٌ؛ فَوَجَدَهُ بِالْمَوْتِ، وَإِذَا هُوَ يَعْرَقُ جَبِينُهُ فَقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَوْتُ الْمُؤْمِنِ بِعَرَقِ الْجَبِين».

الثَّالِثَةُ: الموْتُ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ أَوْ نَهَارَهَا:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ت قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ إِلاَّ وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ(1)».

الرَّابِعَةُ: الاسْتِشْهَادُ فِي سَاحَاتِ القِتَالِ:

وَلقَدْ أَخْبَرَنَا المعْصُومُ ﷺ بِالثَّوَابِ العَظِيمِ لِلمُجَاهِدِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (2): «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ وَسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ وَفَوْقَ عَرْشِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَوْ تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ» وَهَذا ثَوَابُ أَحَدِ الشُّهَدَاءِ؛ عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ حَرَامٍ ت كَمَا ذَكَرَهُ لَنَا نَبِيُّنَا الكَرِيمُ ﷺ وَحَكَاهُ لَنَا وَلَدُهُ جَابِرُ بنُ عَبْدِ اللهِ بن عَمْرٍو ت

(1) وقاه الله: حفظه، فتنة القبر: عذابه وسؤاله، وهذا يدل على أن شرف الزمان له تأثير عظيم كما أن فضل المكان له أثر جسيم.
(2) (صحيح): البخاري 2790.

قَالَ(1): لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَمْرو بنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « يَا جَابِرُ ألاَ أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللهُ لأَبِيكَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا إلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا(2)، وَقَالَ لَهُ: يَاعَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: يَارَبِّ أَعُودُ إِلَى الدّنيَا ثَانِيَةً فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ اللهُ: لقَدْ سَبَقَ القَوْلُ مِنّي (أَنَّهُم إِلَيْهَا لاَ يَرْجِعُونَ) قَالَ: يَا رَبّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي» فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران:169].

وَهَا هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُبَشّرُ أُمَّ حَارِثَةَ بنِ سُرَاقَةَ بقوْلِهِ ﷺ(3): «يَا أُمَّ حَارِثَةَ؛ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى».

الخَامِسَةُ: الدُّعَاءُ الدّائِمُ بِحُسْنِ الخَاتِمَةِ:

اللهُ أَكْبَرُ عَلَى هَذِهِ البِشَارَةِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُبَشّرٍ أُمَّتِهِ بِالخَيْرِ؛ فَاسْأَلِ اللهَ الشَّهَادَةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(4): «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ مِنْ قَلْبِهِ صَادِقًا بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» فَادْعُ اللهَ أَنْ يُبَلِّغَكَ إِيَّاهَا؛ لَعَلَّكَ تَمُوتُ وَأَنْتَ رَاغِبٌ فِيهَا؛ فَيُبَلِّغُكَ إِيَّاهَا.

فَلا يَسْتَطِيعُ أَحَدُنَا أَنْ يَقُولَ: أَنَا فِي الجَنَّةِ وَيَجْزِمَ بِذلِكَ؛ وَهُوَ مَا زَالَ فِي الدّنيَا، فَلَعَلَّهُ يُفْتَنُ قَبْلَ مَوْتِهِ فَلاَ يشُمُّ رِيحَهَا كَمَا وَرَدَ في الحَدِيثِ؛ فَكَمْ مِنْ عَالِمٍ زَلَّ وَضَلَّ! وَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ عَلَّمَهُ اللهُ وَهَدَاهُ! فَاللَّهُمّ اجْعَلْنَا مِنْ أَصْحَابِ الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى؛ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَتَ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِدّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا؛

(1) (صحيح): الترمذي3013، وصححه الحاكم204/3 ووافقه الذهبي.
(2) كفاحًا: مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول، وهذا بعد موته أما قبله فلا ..!.
(3) (صحيح): البخارى 2809، مسلم 1904، أبوداود 2517، الترمذى 1646.
(4) (صحيح): مسلم 1909، أبوداود 1520، النسائى 3162، ابن ماجة 2797.

ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللهِ وَكَفَى بِاللهِ عَلِيمًا؛ فَادْعُ اللهَ أَنْ يَسْتَعْمِلَكَ فَعَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ(1): «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا اسْتَعْمَلَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ: وَكَيْفَ يَسْتَعْمِلُهُ؟! قَالَ: يُوَفِّقُهُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ ثُمَّ

يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ».

وَقَدْ تَحَقَّقَ هَذَا الحَدِيثِ فِي رَجُلٍ -وَإِنَّنِي لأَعْجَبُ مِنْ خَبَرِهِ- وَهُوَ الَّذِي أَسْلَمَ فَقَاتَلَ فَدَخَلَ الجَنَّةَ؛ فَعَنِ الْبَرَاءِ ت قَالَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيدِ فَقَالَ(2): «يَا رَسُولَ اللهِ؛ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ، قَالَ: أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ، فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ: «عَمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيرًا» فَقَدْ دَخَلَ الجَنَّةَ فِي سَاعَةٍ؛ وَهُوَ الَّذِي لَمْ يُصَلِّ للهِ صَلاَةً، وَلَمْ يَسْجُدْ لَهُ سَجْدَةً.

وَبعْدَ الدُّعَاءِ يَأْتِي الاجْتِهَادُ فِي العَمَلِ وَمُجَاهَدَةُ النّفْسِ وَالشَّهوَاتِ؛ لِتَكُونَ مِنَ المحْسِنِينَ وَيُحْسِنَ اللهُ خِتَامَكَ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت:69].

(1) (صحيح): أحمد 11804، الترمذي 2142، صحيح الجامع 305.
(2) (صحيح): أحمد 18093، البخاري 2808.

خَاتِمَةُ الكِتَابِ

كَعَادَتِي في كُتُبي كُلِّهَا فَإنّني أَخْتِمُ دَائِمًا بدُعَاءٍ نَبَوِيّ كَرِيمٍ: «اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَكَلِمَةَ الإِخْلاصِ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لا يَنْفَدُ وَقُرَّةَ عَيْنٍ لا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ(1)».

تَمَّ الانْتِهَاءُ مِنْهُ في يَوْمِ الأَحَدِ 20 مِنْ رَبيعِ الآخِرِ 1439هـ

الموَافِق السَّابعِ مِنْ يَنَاير 2018م

وآخِرُ دَعوَانَا أنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ

نَسْأَلُكُمُ صَالِحَ الدُّعَاءِ بِظَهْرِ الغَيْب

هَانِي سَعد غُنيْم

أَبو محْمُود

(1) (صحيح): صحيح الجامع 1306.

كُتُبٌ أخرى صَدَرَتْ للمؤلف

فِي المَجَالِ اللُّغَوِيّ:

1- أَشْهَرُ الأَخْطَاءِ اللغَوِيَّةِ الَّتِي يَقَعُ فِيهَا الدُّعَاةُ وَمُحِبُّو اللغَةِ العَرَبِيَّةِ.

2- فُنُونٌ وَلَطَائِفُ لُغَوِيَّةٌ مِنْ رِيَاضِ لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ (مُجَلَّد).

3- أَسْرَارٌ لُغَوِيَّةٌ وَدلاَلاَتٌ لَفْظِيَّةٌ مِنَ الآيَاتِ القُرْءَانيَّةِ (مُجَلَّد).

فِي المَجَالِ الإِسْلاَمِيّ:

1) رَمَضَانُ ذَلِكُمُ الشَّهْرُ الفَضِيلُ وَضَيْفُ اللهِ الجَلِيل (مُجَلَّد).

2) مَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟! .

3) تَذْكِرَةُ المُسْلِمِينَ بِمَنْزِلَةِ وَطَاعَةِ النَّبِيِّ الأَمِينِ ﷺ.

4) الابْتِلاءُ تَطْهِيرٌ وَنِعْمَةٌ مِنْ رَبِّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ (مُجَلَّد).

5) التَّقْوَى جُنَّةٌ .. وَطَرِيقُكَ إِلَى الجَنَّةِ.

6) الإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ.

7) الرَّحْمَةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَحَيَاةِ سَلَفِ الأُمَّةِ (مُجَلَّد).

8) الاسْتِغْفَارُ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا الغَفَّارِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الأَبْرَارِ.

9) مِنْ فَضَائِلِ الإِسْلاَمِ .. الأُخُوَّةُ وَصِلَةُ الأَرْحَامِ.

10) هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ (الرَّحْمَةُ المُهْدَاةُ).

11) النَّجَاةُ قَبْلَ المَمَاتِ وَلِقَاءِ اللهِ.

12) الشُّهُورُ العَرَبِيَّةُ .. رُؤْيَةٌ لُغَوِيَّةٌ وَشَرْعِيَّةٌ (مُجَلَّد).

13) الصَّلاةُ .. طَوْقُ النَّجَاةِ.

14) الوَالِدَانِ.. وَحَقُّهُمَا مِنَ القُرْءَانِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الأَنَامِ.

15) تَذْكِرَةُ عِبَادِ الرَّحْمَنِ بِأَسْرَارِ أُمِّ القُرْءَان.

16) فَضَائِلُ الأَعْمَالِ وَالأَقْوَالِ مِنْ أَحَادِيثِ سَيِّدِ الرِّجَالِ ﷺ.

17) تَارِكُ الصَّلاَةِ .. عِقَابُهُ وَمَا يُحْرَمُ مِنْهُ فِي الدّنْيَا وَالآخِرَةِ.

18) ذِكْرُ اللهِ .. الفَوَائِدُ العَظِيمَةُ وَالأُجُورُ الكَرِيمَةُ.

19) أُرِيدُ أَنْ يَرْحَمَنِي اللهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ.. فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!.

20) أُرِيدُ وَلَدًا صَالِحًا .. فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!.

21) أُرِيدُ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي .. فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!.

22) أُرِيدُ أَعْلَى دَرَجَاتِ الجَنَّةِ .. فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!.

23) أُرِيدُ أَنْ يَسْتَجِيبَ اللهُ دُعَائِي .. فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!.

24) أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ تَقِيًّا .. فَمَاذَا أَفْعَلُ؟!.

25) أَنا فِي أزْمَةٍ .. فَمَاذا أَفْعَلُ لِلْخُرُوجِ مِنْهَا؟! (مُجَلَّد).

26) الحِوَارُ فِي الإِسْلامِ (مَطْبُوعٌ بالسُّعُودِيَّة).

27) أَمْرَاضُ اللّسَانِ وَآفَاتُ الكَلاَمِ وَعِلاَجُهُمَا مِنَ القُرْآنِ وَسُنَّةِ سَيِّدِ الأَنَامِ.

28) الهُوِيَّةُ .. (الشَّخْصِيَّةُ الإِسْلاَمِيَّةُ المُسْتَقِلَّةُ).

اطلب مؤلفاتنا جميعها من:

1- مكتبة الإيمان، المنصورة، أمام جامعة الأزهر، هاتف رقم 2257882 / 050

2- مكتبة جزيرة الورد القاهرة 4 ميدان حليم خلف بنك فيصل ش 26يوليو ميدان الأوبرا ت/ 27877574/ 02

3- مكتبة جزيرة الورد،القاهرة، شارع محمد عبده أمام الباب الخلفي لجامعة الأزهر بالحسين، ت/ 5114371 2/ 02

4- مكتبة الإيمان طنطا أول شارع عبد الحليم المتفرع من شارع البحر هاتف رقم 3343885 / 040

5-مكتبة كنوز المعرفة المنصورة شارع جيهان أمام بوابة الجامعة هاتف رقم 2236745 / 050

فهرس الكتاب